اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة / كلية الآداب

الحياة السياسية في نهج البلاغة
(دراسة تاريخية)

رسالة قدمتها
إلى مجلس كلية الآداب / جامعة الكوفة

رغد سعيد جفات الخفاجي

وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه
في فلسفة التاريخ

إشراف
أ.د. حسن عيسى الحكيم

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م



﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

سورة يوسف: آية ٧٦

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى من وضعني بيدي عطفه في ساحة الإمام علي u صغيراً . . .

إلى من علمني أبجديات حب الوصي

إلى من أشعل في سنواتي الخمس الأولى شموع الولاء فأضاءت سنَي عمري بالرضا والأمل . . .

أبي . .

لا زلت أحبو على حروف (علي) منذ تركتني وحتى آخر خطوة إليك يا أبي . . .

أهدي ثواب هذه الخطوات فلم تكن تملك إلا العطاء ولم يتبقى لي إلاَّ الوفاء فتقبله مني . .

أبنتك . . .

شكر وعرفان

الحمد لله أولاً وآخراً على عظيم نعمه وجزيل عطاياه والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين، فلابدّ لي في بادئ الأمر أن أقدم شكري لله عزّوجلّ الذي أعانني على إكمال هذه الدراسة.

وأجد إلزاماً علي أن أشكر كل من قدم لي مساعدة وعوناً وكانت له يد بيضاء في تيسر عملي وفاء لحسن الصنع وعرفاناً بجميل الفضل.

وان كلمات الشكر لا تفي حق أستاذي الدكتور حسن عيسى الحكيم لما قدمه من توجيهات سديدة في أثناء إشرافه على الأطروحة.

وأخص بوافر الشكر والامتنان الدكتور سعد الجنابي، فقد وجدته مثلاً لرصانة العلم ودماثة الخلق، فكان لسداد ارشاداته وتوجيهاته العلمية القيمة أثر كبير في إعداد هذه الاطروحة وأتقدم بشكري وتقديري إلى كل أساتذة قسم التاريخ وأخص منهم بالذكر الأستاذ الدكتور جاسب عبد الحسين رئيس قسم التاريخ وإلى الأستاذ الدكتور طالب العنزي والأستاذ الدكتور جابر الكربطي والأستاذ الدكتور عمار نصار جزاهم الله خير الجزاء وبارك الله في جهدهم وعملهم، وشكري إلى جميع أساتذتي الأجلاء الذين قاموا بتدريسي في السنة التحضيرية.

والشكر الجزيل للأستاذ هاشم المحنك بما قدمه لي من توجيهات خاصة في (كتاب نهج البلاغة) وما أمدني به من كتب وما كتبه عن (نهج البلاغة) متمنية من الباري عزّوجلّ أن ينعم عليه بالخير.

وأتقدم بالشكر والامتنان للدكتور سلام كناوي عباس لجهوده الخيرة والجليلة في إتمام الأطروحة، وشكري وتقديري إلى كل العاملين في مكتبة الحكيم ومكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشراف ومؤسسة نهج البلاغة في كربلاء المقدسة للتعاون المخلص الذي أبدوه في تسهيل اكمال عملي.

ويلزمني تقديم شكري وعرفاني لأسرتي التي كانت لي خير عون طول مدة دراستي وتذليل كل ما يعترضني من عقبات داعية الباري عزّوجلّ أن يجزي الجميع عني أفضل الجزاء.

وأخيراً أقدم الشكر والتقدير إلى كل من قدم لي المساعدة لإنجاز هذا البحث وفاتني ذكر اسمه مهما كان حجم العون والمساعدة.

إقرار المشرف

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة الموسومة (الحياة السياسية في نهج البلاغة دراسة تاريخية...) المقدمة من الطالبة" رغد سعيد جفات الخفاجي" قد جرى تحت إشرافي، وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ.

الإمضاء:

الدرجة العلمية: أ. م. د

الاسم: حسن عيسى الحكيم

التاريخ: / / ٢٠١٧

بناء على التوصيات المتوافرة من السيد المشرف والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء:

الدرجة العلمية:

الاسم:

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / /٢٠١٦م

إقرار المقوم العلمي

أشهد أنّي قومت علمياً الرسالة الموسومة: (الحياة السياسية في نهج البلاغة دراسة تاريخية) والمقدمة من طالبة الدكتوراه "رغد سعيد جفات الخفاجي" في جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم التاريخ.

التوقيع:

الاسم:

اللقب العلمي: الدكتور

التاريخ:

اقرار المقوم اللغوي

أشهد أني قرأت هذه الرسالة الموسومة:

(الحياة السياسية في نهج البلاغة دراسة تاريخية) والمقدمة من طالبة الدكتوراه "رغد سعيد جفات الخفاجي" وقد صححتها من الناحية اللغوية بحيث أصبحت بأسلوب علمي سليم خال من الأخطاء والتعبيرات اللغوية والنحوية غير الصحيحة ولأجله وقعت.

التوقيع:

الاسم:

اللقب العلمي: الدكتور

الكلية: الآداب

التاريخ:

اقرار لجنة المناقشة

استناداً إلى محضر مجلس الكلية بجلسته (٣) المنعقد في / / ، بشأن تشكيل لجنة لمناقشة الرسالة الموسومة (الحياة السياسية في نهج البلاغة دراسة تاريخية)، للطالبة (رغد سعيد جفات)، نقر نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها باننا اطلعنا على الرسالة وناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ / / م فوجدناها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بتقدير ( ).

الإمضاء:
الاسم:
الدرجة العلمية:
التاريخ: / /٢٠١٧ م
رئيس اللجنة

الإمضاء:
الاسم:
الدرجة العلمية:
التاريخ: / /٢٠١٧ م
عضواً

الإمضاء:
الاسم:
الدرجة العلمية:
التاريخ: / /٢٠١٧ م
عضواً

الإمضاء:
الاسم:
الدرجة العلمية:
التاريخ: / /٢٠١٧ م
عضواً

الإمضاء:
الاسم:
الدرجة العلمية:
التاريخ: / /٢٠١٧ م
عضواً ومشرفاً

صادق مجلس كلية الآداب ــ جامعة الكوفة ــ على قرار لجنة المناقشة

الإمضاء:
اللقب العلمي والاسم:
عميد الكلية:
التاريخ: / /٢٠١٧م

المحتويات

الإهداء.....
الشكر والعرفان.....
المقدمة..... ١-١٣

التمهيد: القيمة العلمية لكتاب نهج البلاغة ١٤-٢٤

الفصل الأول

((دولة الوحي في نهج البلاغة))

مدخل: رؤيا الإمام علي عليه السلام للحياة السياسية لعرب قبل الإسلام ٢٦- ٣٠

المبحث الاول: دولة الوحي.....٣٠ــ ٣١

نشوء دولة الوحي في الإسلام:.....٣١ــ ٣٨

المبحث الثاني: الأثر السياسي للإمام علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله من خلال.....٣٩- ٤٩

المبحث الثالث: الإمام علي عليه السلام خليفة الرسول صلى الله عليه وآله في ضوء نصوص نهج البلاغة... ٥٠ــ ٧٣

الفصل الثاني

المواقف السياسية للإمام علي عليه السلام

في مجريات أحداث عصر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله (١١هـ-٣٥هـ)

المبحث الأول: حادثة السقيفة وموقف الإمام علي عليه السلام من خلافة ابي بكر في ٧٥ــ ٩١

المبحث الثاني: موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عمر بن الخطاب..... ٩٢- ١٠٦

المبحث الثالث: موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عثمان بن عفان.....
١٠٧ــ١١٨

الفصل الثالث

تجربة الإمام عليه السلام السياسية خلال فترة خلافته (٣٥ـ٤٠هـ)

المبحث الأول: بيعة الإمام علي عليه السلام وخروج أهل الجمل ١٢٠ــ ١٤٣

المبحث الثاني: القاسطون ومعركة صفين في نهج البلاغة..... ١٤٣ــ ١٦٤

المبحث الثالث: التحكيم وابعاده السياسية في نهج البلاغة..... ١٦٥ــ ١٨٣

الفصل الرابع

سياسية الإمام علي الإدارية في نهج البلاغة

المبحث الأول: مفهوم (الدولة، الحكومة، السياسية الادارية) من خلال نهج البلاغة ... ١٨٣ــ ١٩٤

المبحث الثاني: المؤسسات العليا للدولة من خلال نهج البلاغة..... ١٩٣ـ ٢٠٥

المبحث الثالث: الجهاز الاداري من خلال نهج البلاغة..... ٢٠٤ـ ٢٣٤

الخاتمة ٢٣٢

الملاحق..... ٢٣٧ـ ٢٧١

المصادر والمراجع..... ٢٧٢ـ٢٨٥

***

المقدمة

الحمد لله الّذي ذكرُهُ شرفٌ للذاكرين وصلّى الله على نبينا محمّد وآله الطيبين الطاهرين وبعد..

أدى الإمام علي أثراً بارزاً في الحياة السياسية فقد كان وصي رسول الله ﷺ.... إنّ الإمام علياً بن أبي طالب عليه السلام «ت٤٠هـ/ ٦٦٠م» وصيُّ رسول الله ﷺ أبرز أعلام التاريخ الإسلامي. كلّفهُ الرسول ﷺ بكثير من المهمات العظيمة المتعلّقة بروح الدعوة، فأثبت جدارتهُ وصدق إيمانهُ وسعة اطّلاعه، بكثير وعوّل الخلفاء الثلاثة على الأخذ بمشورته في كثيرٍ من القضايا السياسية والفقهية والاجتماعية، وأخذوا وعملوا بما أفتى به عليه السلام .

كانت مدّة خلافته عليه السلام – خمس سنوات (٣٥ ــ٤٠هـ/ ٦٥٦ ــ ٦٦١م) – وكان سيفاً مسلطاً على الفتن التي قسّمت المسلمين على فرقٍ متناحرةٍ، فكانت حياته عليه السلام ضحية لذلك التناحر، فهو الى جانب كل ذلك قائد البطولات الاسطورية ، والمثال المحتذى به في الفصاحة والبلاغة.

جاءت هذه الدراسة لتكون امتداً للدراسات التي تناولت سيرة الإمام والتي ركزت في بعض جوانبها على غزواته وظروف توليه الخلافة، من دون التركيز على الحياة السياسية، التي هي صلب موضوع دراستي القائمة على تحليل النصوص الواردة في كتاب نهج البلاغة لرسم صورة للسلوك السياسية للإمام في ظل التحديات الجسمية التي كانت الأمة، فإنّ تناول (نهج البلاغة) برؤى جديدة هو تعاطٍ جديدٍ مع الماضي، إذ أنّهُ يكشف رؤى المستقبل، فضلاً عن ذلك فإنّه يشكّل هوية الإنسان لما في هذا السِّفر القيّم من مواضيع شتّى.

لذلك، فإنّ اختيار هذا الموضوع كان من الصعوبات التي واجهتني، ولاسيّما بعد هذا الكمّ الهائل من الدراسات الإسلامية؛ لذا كان لابدّ من الاستشارة والطلب إلى أُستاذي المشرف الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم في إرشادي إلى موضوعٍ جديدٍ في فحواه، عميقٍ في أصالته، بالرغم من أنّه قد تناوله آخرون بعناوين مختلفة، فقدّم لي أستاذي الفاضل موضوعاً قيّماً ألا وهو (الحياة السياسية في كتاب نهج البلاغة دراسة تاريخية)، فإنّ (نهج البلاغة) يعدّ أثراً نادراً وكتاباً ذا قيمةٍ علميّةٍ، ومهمّة تقويمية، ومنزلة تاريخية جعلته كتاباً فريداً؛ لاحتوائه على مضامين متعدّدة تخدم المجتمع، وهي جديرة بالدراسة والبحث.

ولعلّ في هذه الدراسة شاهدٌ لنا على وعورة مسلكنا وصعوبة مرتقاه وأنّ مثل هذه الدراسة تحتاج إلى إبحار الباحث في تراث المرحلة، راصداً كلّ حركة فيها، وهو أمرٌ لا يتمّ إلّا بالتعمّق بالنصوص ذلك المنعطف الأكثر خطورة في التاريخ الإسلامي، وما قمتُ به ليس أكثر من قراءة هادئة لتاريخ عاصف ما برح (فتى الإسلام) حاضراً فيه بدءاً من النشأة المميزة والانخراط المبكّر في الدور، وانتهاءً بالخيار الأصعب الذي تشبّث به وهو يدرك تماماً النتائج المترتبة على اختياره، في وقتٍ لم يعد الطريق محدّداً بين وجهتين وإنما أخذت تنشأ مسارات واتجاهات وتتشعّب مبتعدةً عنه، آخذةً معها الأكثرية من الناس.

كان هدا التحدي الفعلي للإمام كخليفة يبحث عن الحل لتصويب الامور بعد اختلالها ، سواء على جبهة الحرب او على جبهة السلام الاكثر تعقيدا من الاخيرة ، فثمة امر واقع كان يحتم على الامام مواجهته بالحسم العسكري بعد انعدام الجدوى من معالجته بالوسائل الاخرى .

ولو نظرنا إلى الجيش نفسه الذي كان يخرج للحرب مع الإمام عليه السلام نجد القلّة القليلة من ذلك الجيش كانت ترى بأنّه إمام معصوم مفترض الطاعة، وإلا فالغالب الأعم من ذلك الجيش كان من القبائل التي سبق أن فاوضها الإمام على الولاء قبل الانتقال إلى الكوفة، بعد أن أصبح الانتقال إلى الكوفة ضرورياً لمواجهة الانقسام الموجود فعلياً في الدولة، بعدما استحالت معالجة ذلك في عاصمة الخلافة الأولى. هذا بالإضافة إلى أنّ جيش الإمام الذي كان عماده قبائل الكوفة لم يرتق بوعيه السياسي إلى مستوى مقارب للوعي السياسي عند الإمام عليه السلام، كما افتقد في المقابل إلى التماسك الذي تمتعت به قبائل الشام (جيش معاوية) لقدم العلاقة مع معاوية والبيت الأموي.

لذا؛ حاولت في هذه الفصول تجنّب السرد المطوّل للتفاصيل المعروفة، مكتفيةً منها بالإشارة إلى بعض النصوص التي ذكرها الإمام علي عليه السلام عن واقع الحياة السياسية في تلك المرحلة التاريخية، ولاسيّما وأنّ تلك المرحلة بتأريخها الصراعي الحاد ليست مستقلة عن الروايات المتأثّرة بصورةٍ أو بأُخرى بها؛ لذلك فقد كان اعتماد الدراسة على الجانب التاريخي لا كمجرّد وقائع وروايات مسرودة في إطارها الزمني الذي حدثت فيه، بل كعنصر إضاءة لكشف واقع بالإمكان تلمّسه وإدراك أبعاده من خلال ومضات سريعة في ركام سرد الحوادث المفتعلة إلى تصوّر وجهات نظر معيّنة غايتها إضفاء الشرعية على أحداث معيّنة أو تثبيت نظام معيّن؛ لذلك فإنّ نهج البلاغة في نصوصه الشريفة وقف على كشف الحقائق السياسية في تلك المرحلة، لكون نصوصه صادرة عن شاهد عيان ثقة، عايش أحداث تاريخ صدر الإسلام وعايشها مباشرةً منذ بزوغ فجر

الدعوة حتّى الوقت الذي تحوّلت فيه الخلافة الإسلامية إلى ملك وراثي.

بعد الانتهاء من جمع مادة الدراسة والوقوف عليها وتحليلها قمت بتقسيم الموضوع على تمهيد وفصول أربعة، إذ عرضت في التمهيد كتاب نهج البلاغة والتعريف به وبقيمته العلمية.

وجاء الفصل الأول في ثلاثة مباحث، إذ استعرض المبحث الأول مدخلاً رؤيا الامام علي عليه السلام للحياة السياسية للعرب قبل الإسلام ثم نشوء دولة الوحي في نهج البلاغة، أمّا المبحث الثاني فكان حول الأثر السياسي للإمام علي عليه السلام في ظل دولة الوحي من خلال نهج البلاغة، وجاء المبحث الثالث بعنوان الامام علي عليه السلام خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ضوء نصوص نهج البلاغة.

أمّا الفصل الثاني الذي جاء بعنوان (مواقف الإمام علي عليه السلام من مجريات الحياة السياسية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله (١١ – ٣٥هـ، ٦٢٢هـ، ٦٥٥م) في نهج البلاغة)، فقد كان المبحث الأول فيه متضمّناً لحادثة السقيفة وأثرها على الحياة السياسية في نهج البلاغة، وتطرّق المبحث الثاني إلى موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عمر بن الخطاب في نهج البلاغة. أمّا المبحث الثالث فقد أوضح موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عثمان بن عفّان في النهج.

واختصّ الفصل الثالث بتجربة الإمام عليه السلام السياسية خلال مدة خلافته (٣٥-٤٠هـ)، وجاء في ثلاثة مباحث أيضاً، تضمّن المبحث الأول بيعة الإمام علي عليه السلام، وخروج أهل الجمل (الناكثون). أمّا المبحث الثاني فتناول القاسطون ومعركة صفين في نهج البلاغة. واختصّ المبحث الثالث بقضية التحكيم وأبعاده السياسية في نهج البلاغة.

أمّا الفصل الرابع، فقد تطرّق إلى سياسة الإمام علي عليه السلام الإدارية في نهج البلاغة، وتناول المبحث الأول مفاهيم كل من الدولة والحكومة والسياسة الإدارية في نهج البلاغة. وتضمّن المبحث الثاني المؤسسات العليا للدولة في نهج البلاغة. وتطرّق المبحث الثالث إلى الجهاز الإداري للدولة في نهج البلاغة، أمّا الخاتمة فقد جاءت متضمّنةً أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة. هذا وقد واجهت بعض الصعوبات؛ لأنّ من ضمن الموضوعات التي تعرّض لها نهج البلاغة هي قضية الإمامة وأحقّية الإمام علي عليه السلام في الخلافة، وبعض قضايا العقيدة كالتنبّؤات ومعارضة خلافته وغيرها من القضايا التي كان لابدّ من الوقوف عندها ومناقشتها في ضوء النصوص التي وردت في نهج البلاغة، وما دار حول تلك الأفكار من جدل، لها أو عليها، في المصادر التاريخية، فضلاً عن كثرة المصادر، وتشعّب موضوعات البحث، وتعدّد مناحيها من

حيث المعالجة، ومن ثمّ جمع تلك التشعّبات والتفريعات، مع إيماني الراسخ بأنّ ما بذلته من جهد لم يكن إلّا جهداً متواضعاً في هذا المنبع الثرّ الأصيل في مجال السياسة، راجيةً قبول اعتذاري عن كلّ قصور، والله الموفّق.

تحليل المصادر

استندت الدراسة إلى مجموعة من المصادر والمراجع والدراسات المتعدّدة والمتنوّعة والتي أسهمت في رسم الصورة التي هدف إليها البحث، وهي الاطلاع على واقع الحياة السياسية في كتاب نهج البلاغة.

وكان تنوّع المصادر تبعاً لمحاور الدراسة وعناوينها التي تناولتها، وقد جاء في مقدّمتها كتاب (نهج البلاغة)، فهو المحور الذي دارت حوله الدراسة، ومن المعلوم أنّ هذا الكلام موزّعٌ على مقاماتٍ عديدةٍ في خطبه وكلامه وحِكَمه عليه السلام فقد شكّلت بمجموعها رؤية واضحة عن واقع الحياة السياسية آنذاك، ومن المعلوم أنّ كتاب نهج البلاغة قد طُبع وحُقّق مراراً، فكانت نُسَخَهُ متعدّدة، وقد تم اختيار أحدث الدراسات التوثيقية وأضبطها لنهج البلاغة بضبط وفهرسة الأُستاذ صبحي الصالح، لتميّز الدراسة بمقدّمة ضافية عن تاريخ النهج وقيمته العلمية والأدبية، وما انتاب نسخه المخطوطة من تصحيف وتحريف، مع تعريف بالنّسخ الموثّقة التي اعتمدها الدارسون المحدثون ممّن سبقه في شروحهم، إلى غير ذلك من ملاحظات ذات صلة وثيقة بالتحقيق، والدراسة في مجملها ذات فائدة لبحثنا في النهج وكيفية استخراج نصوصه.

أمّا الفهرسة الدقيقة التي تضمّنتها الدراسة فهي عمل مفيد لما فيها من تسهيل على الباحث للوصول إلى بغيته في النهج بيُسر.

فضلاً عن ذلك فإنّ ما أعانني أيضاً على فهم مرامي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، شروحات نهج البلاغة، وفي مقدّمتها شرح ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) الذي بذل جهداً كبيراً في توثيق كثير من نصوصه، وهو أيضاً من أطول الشروح القديمة، وقد غلبت عليه الصبغة التاريخية، إذ آثر تفصيل الحوادث وشرح المعاني بمعظمه، مع الخوض في بعض القضايا اللغويّة والبلاغية ومقارنة أُسلوب الإمام عليّ عليه السلام بأُسلوب قدامى الشعراء والناثرين لغرض بيان هيمنته على اللغة وحسّه في اختيار الأساليب الملائمة لمقتضى الحال. هذا بالإضافة إلى وقوف الشارح -وكان معتزلياً - عند النصوص التي توافق آراء المعتزلة مسهباً في شرحها وتقليب معانيها

ومقارنتها بما جاء عند الشيعة من تأويلات لها.

أمّا (شرح نهج البلاغة) لابن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) فيغلب عليه الطابع الصوفي الوعظي، ممّا يجعله بعيداً في معظمه عن دراسة فكر الإمام علي عليه السلام.

وتصدّى كثير من الدارسين المحدثين لعملية التوثيق تلك، منهم عبدالحسين الأميني في كتابه (الغدير)، وامتياز عليخان العرشي في كتابه (استناد نهج البلاغة)، والهادي كاشف الغطاء في القسم الثاني من كتابه (مستدرك نهج البلاغة)، وعبدالله نعمة في كتابه (مصادر نهج البلاغة)، وعبد الزهراء الحسيني في كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده / ٤ أجزاء). إضافة إلى الدراسات التي قامت على (نهج البلاغة) وأُنشئت حوله، فقد اقتصرت على شروحه وتوضيح أساليبه اللغوية ودراسة بعض جوانبه البلاغية دون الوقوف على تأثيراتها ودون الالتفات لما تحويه نصوصه من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية وتربوية، ودون ربط للمواقف والقرارات والأحكام التي ذكرت عن الإمام عليه السلام.

من تلك الشروح (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) لسعيد بن هبة الله الراوندي (ت٥٧٣هـ) وهو لا يعدو كونه شرحاً لمفرداته اللّغوية دون دراسة النصوص أو التعليق عليها إلاّ ما ندر، مع ذكر بعض الحوادث التأريخية الجزئية المتعلّقة ببعض النصوص.

أمّا شرح الشيخ محمّد عبده لنهج البلاغة الواقع في (٢١) جزءاً لميرزا حبيق الله الخوئي، فهو استعراض لما سبق من شروح حاول فيه المؤلّف إبداء وجهة نظره في معظم ما ورد في تلك الشروح من آراء، خاصّةً ما ورد منها عند ابن أبي الحديد، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالإعراب والوقوف على كثير من المسائل الفقهية، وإبداء الرأي فيها من وجهة نظر الشيعة الإمامية، وترجمة النصوص للّغة الفارسية، ولم يتعرّض الشارح بصورة مباشرة إلى الفكر السياسي للإمام علي عليه السلام إلا في لمحات خاطفة؛ لاعتماده أساساً على الشرح والتفسير، والاستناد في استنتاجه إلى ما جاء به الشرّاح السابقون.

ومن شروح النهج الحديثة أيضاً (في ظلال نهج البلاغة) لمحمد جواد مغنية، وهو عبارة عن تفسير لمفرداته وإعراب لبعض جمله وشرح معانيها والربط في بعض الأحيان بين إيحاءات النصوص وبين واقع الأُمّة الإسلامية المتفكّكة اليوم، مركّزاً على قيمة نصوص النهج من حيث بثّ اليقظة في النفوس؛ لذا لم يتناول الشارح قضايا الفكر إلّا بشكلٍ هامشيٍّ؛ لأنّه أراد لشرحه

الانتشار بين جميع طبقات القرّاء في الأُمّة الإسلامية، ليحقّق هدفه في إيقاظها بإثارة الحميّة، وبثّ الحماس، كما أشار في مقدّمته.

أمّا (دراسات في نهج البلاغة) لمحمّد مهدي شمس الدين، فهي دراسة جادّة، بحث المؤلّف من خلالها بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكنّ اهتمامه بالشرح والتفسير والوعظ دون التحليل حال دون تعمّقه في دراسة النصوص التي اختارها لدراسته، هذا بالإضافة إلى الاختصار الشديد الذي تميّزت به أحكامه واللّهجة الحماسية الخطابية التي طغت على أُسلوبه.

أمّا دراسة علي آل إبراهيم (في رحاب نهج البلاغة) فلا تتعدّى كونها شرحاً لبعض نصوص النهج، عزّزهُ المؤلّف بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والشواهد التاريخية، لكنّه لم يتعرّض فيما اختياره من نصوص لما حوته النصوص من أفكار.

- **كتب التأريخ العام:**

أمّا من أهم كتب التأريخ العام بوصفها المصادر الأساسية التي تعرض الحوادث التأريخية، فنبتدأها بكتاب سليم بن قيس الهلالي (ت٧٦هـ / ٦٩٥م) ويعدّ هذا الكتاب أُقدم كتاب تاريخي وصل إلينا، إلّا أنّ إمكانية الاستفادة من هذا الكتاب كانت على السقيفة، وانّه يعد من الكتب الشيعية الخالصة ومادّته التأريخية تمثّل رأي الشيعة فقط، كذلك تحدّث سليم بن قيس في هذا الكتاب عن موقف معاوية بن أبي سفيان من العلويين بعد تسلّمه الخلافة، إذ كشف لنا المؤرّخ المعاناة التي عاشها العلويون في عهد معاوية بن أبي سفيان والإجراءات التي اتّبعها معاوية لتقصّي أثر العلويين والإطاحة بهم في كلّ الأمصار الإسلامية.

أمّا (تاريخ خليفة بن خياط) لمؤلّفه المتوفَّى (٢٤٠هـ/٨٥٤م) وقد تضمّن معلومات مهمّة على الرغم من الاختصار الشديد الذي اتّسم به، وقد عرض المؤرّخ هذه المعلومات بحسب المنهج الحولي ابتداءً من سنة ١هـ، وتميّز بتقديمه قوائم بأسماء الذين شاركوا بحروب الإمام علي عليه السلام وأسماء الذين قُتلوا من كلا الطرفين، مع بعض الروايات المهمة التي اعتمدتها في مختلف مراحل الحياة السياسية في نهج البلاغة.

وبالنسبة لكتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) فله أهمية بالغة، فقد تضمّن هذا الكتاب في جزئه الأول روايات مهمة عن التطورات السياسية بعد

وفاة الرسول ﷺ ، مع بيان موقف الإمام علي عليه السلام من تلك التطورات، كذلك تضمّن روايات مفصّلة عن خلافة الإمام علي عليه السلام وحروبه.

وكان لكتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ / ٨٩٥م) فقد أوضح فيه اهتمامه بالحوادث السياسية التي شهدتها الخلافة الإسلامية مع بداية تولّي الإمام علي عليه السلام الخلافة بعد أن كان اهتمامه في الأقسام الأُولى من الكتاب بتأريخ الدولة الساسانية مع بعض الإشارات إلى الفتوحات الإسلامية؛ لذا استقيت منه روايات مهمّة عن خلافة الإمام علي عليه السلام وما رافقها من تطورات سياسية عسكرية.

وكتاب (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت٢٨٤هـ / ٨٩٧م) فعلى الرغم من اختصاره وعدم توسّعه في عرض الروايات لكنّه تميّز بنضج تاريخي واضح كشف عن منهجه في الاختيار والتعليل، وهذا ما دفعني إلى الاهتمام برواياته واعتمادها في أحيان كثيرة، مع انّ ذلك لم يمنعني من استبعاد بعض الروايات الضعيفة التي أوردها هذا المؤرّخ.

وكتاب (وقعة صفين) لابن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ / ٨٢٧م)، إذ تكمن أهمّية هذا الكتاب فيما تضمّنه من روايات كثيرة بشأن معركة (صفين)، وقد تميّز المنقري في كتابه هذا بميله إلى التفصيل لدى عرضه لمجريات المعركة ودور الإمام علي عليه السلام فيها، فضلاً عن ذلك، أورد المنقري خطب الإمام علي عليه السلام ورسائله قبل المعركة وخلالها، وإن كان المؤرّخ قد أثقل كتابه بالإكثار من إيراد الأبيات الشعرية التي ادّعى أنّها قيلت خلال المعركة، حتّى لا تكاد رواية من رواياته تخلو من قصيدة قيلت في الحديث الذي تصفه، الأمر الذي يصعب تصديقه.

أمّا كتاب (الغارات أو الاستنفار والغارات) لإبراهيم بن محمد الثقفي (ت٢٨٣هـ / ٨٩٦م) تضمّن هذا الكتاب روايات كثيرة عن الصراع بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان بعد معركة صفين، وقد استفدت منه كثيراً لدى دراسته لتلك المرحلة السياسية المهمة، فضلاً عن تضمّن الكتاب لخطب الإمام علي عليه السلام ورسائله في تلك المدّة الزمنية.

أمّا كتاب (تاريخ الرّسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) فكان أكثر المصادر التي اعتمدتها في ذكر الروايات المتعلّقة بتأريخ الإمام علي عليه السلام نظراً لسعة الكتاب وتضمّنه لعددٍ كبيرٍ جداً من الروايات التي عبّرت عن رؤى وتصورات مختلفة للرواة والاخباريين الذين تناقلوها، وتميّز بشموليته؛ إذ لا تكاد فقرة من فقرات الحياة السياسية للإمام علي عليه السلام تمرّ

من دون أن يكون للطبري فيها رواية أو أكثر من رواية.

وكتاب (الفتوح) لابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م) من أهمّ الكتب التي تضمّنت روايات غاية في الأهمية عن المرحلة السياسية التي تلت وفاة الرسول ﷺ سنة (١١هـ/ ٦٣٢م)، ولا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ بعض رواياته لم تذكرها المصادر الأُخرى؛ نظراً لحساسيتها، سيّما تلك المتعلّقة بحركات الردّة والدور السياسي للإمام علي عليه السلام في العصر الراشدي، وكذلك تضمّن هذا الكتاب روايات مفصّلة عن خلافة الإمام علي عليه السلام وحروبه، خصوصاً معركة صفّين، لكنّ ابن أعثم بدا فيها معوّلاً كثيراً على المنقري مؤلّف كتاب (وقعة صفين)، وإن حاول أن يمزج روايات المنقري بروايات غيره من الاخباريين ويقدمّها بمنهجه الخاص.

ويعدّ كتاب (الكافي) للكليني (ت٣٢٨هـ / ٩٣٩م) من المصادر الشيعية المهمة التي استفدت منها في بعض الروايات التأريخية.

أمّا كتاب (مروج الذهب) للمسعودي (ت٣٦هـ/ ٩٥٧م) فقد أفاد الدراسة بروايات عديدة عن جوانب من حياة الإمام علي عليه السلام ودوره في تطوير النظام الإداري في عهده عليه السلام.

وتمّت الاستفادة أيضاً من كتب التاريخ العام ومنها (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير (ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ومقدّمة ابن خلدون (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

وكان لكتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) أهمّيةً كبيرة في كثير من جوانب البحث الخاصة بحياة الإمام علي عليه السلام ودوره السياسي.

- **كتب الطبقات والتراجم:**

استفدت من مجموعة من المؤلّفات التي تصنّف تحت هذا العنوان، نبتدئها بكتاب (السيرة النبوية) لابن إسحاق (ت١٥١هـ / ٧٦٨م) التي هذّبها ابن هشام (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)، إذ تضمّن هذا الكتاب -كما هو معلوم- روايات مفصّلة عن مرحلة عصر الرسالة، حملت بين طياتها معلومات مهمّة عن إسهامات الإمام علي عليه السلام في الحياة السياسية في تلك المدة، ولاسيّما إسلامه ودوره في الدعوة الإسلامية، وغزوات الرسول ﷺ وسراياه.

أمّا كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (ت٢٣٠هـ / ٨٤٤م) الّذي تميّز بسعة مادّته وكثرة

أعداد الصحابة والتابعين الذين ترجم لهم، فقد تضمّنت تراجمه معلومات قيّمة استفدت منها في مناقشة الروايات السياسية التي نقلها المؤرخون، فضلاً عمّا خصّصه ابن سعد للإمام عليٍّ عليه السلام من ترجمة خاصة تضمّنت عدداً من أخباره، وعلى الرغم من انّ ابن سعد قد اعتمد في بعض تراجمه على روايات نقلها عن كتاب (طبقات خليفة بن خياط) فكان هذا الكتاب مختصراً في مادّته؛ إذ لم يتوسّع هذا المؤرّخ في تقديم معلومات مفصّلة عن الشخصيات التي ترجم لها، ومع ذلك استفدت منه في بعض المواضع توسّعاً في استقصاء الروايات بشأن الدور السياسي للإمام علي عليه السلام.

- **كتب الأنساب:**

يأتي كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م) في مقدّمة الكتب التي تقع ضمن هذا الباب، وقد استفدت منه كثيراً في مختلف فصول الأطروحة. لقد تميّز هذا الكتاب عن بقية كتب الأنساب بسعة المعلومات التأريخية التي تضمّنها، فلم يكتفِ البلاذري بتوضيح الانتماء النسبي للشخصية التي يذكرها، بل كان يترجم لها ترجمة واسعة جداً؛ لذا جاء في كتاب ترجمة وافية عن الإمام علي عليه السلام ومراحل حياته المختلفة، مركّزاً على خلافته عليه السلام ودوره السياسي بشكلٍ عام، مع ذكر بعض فضائله وإيراد بعض النصوص الفكرية عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

وتجدر الإشارة إلى انّ هناك طبعتين مختلفتين من كتاب (أنساب الأشراف)، طبعة المحقّق محمد حميد الله الذي عني بتحقيق الجزء الأوّل المتضمّن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، أمّا الجزء الثاني من الكتاب الذي تضمّن سيرة الإمام علي عليه السلام فقد اعتمدت فيه على طبعة المحقّق محمّد باقر المحمودي، وهي في رأيي المتواضع طبعة مهمّة بتعليقاتها، وعند التوثيق والإحالة إلى الكتاب ميّزت بين الطبعتين بذكر اسم المحقّق بشكلٍ مختصر.

ومن أهمّ كتب الأنساب كتاب (السمعاني) (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) إذ استعنت به في التعريف ببعض القبائل التي ورد ذكرها في بعض الروايات، فصلاً عن توضيح الانتماء النسبي لبعض الشخصيات، وأخذ بعض المعلومات التي اطّلعت عليها من هذا الكتاب القيّم.

- **كتب فضائل الإمام علي عليه السلام:**

من أهمّ هذه الكتب كتاب (المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)= عليه السلام) للاسكافي (ت٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وتضمّن هذا الكتاب روايات مهمة عرضها المؤرّخ ضمن مجادلاته الكلامية، الأمر الذي استفدت منه في بعض المعلومات التي لا نجدها عند غير الاسكافي.

ومما يزيد هذه المعلومات أهمّية أنّ الاسكافي الذي أوردها سبق كلاًّ من الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) والبخاري (ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م) وابن قتيبة (٢٧٦هـ / ٨٨٩م) والدينوري (ت٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، واليعقوبي (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، والطبري (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م).

أمّا كتاب (مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) لمحمد بن سليمان الكوفي، وهو من علماء القرن الثالث الهجري، فقد استفدت منه في الاطلاع على عددٍ من الأحاديث النبوية الشريفة والروايات التي كشفت عن جوانب مهمّة ومتعددة من الحياة السياسية للإمام علي عليه السلام وتفسير بعض مواقف الصحابة منه عليه السلام.

- **كتب الأدب العربي:**

استعنت في دراسة (الحياة السياسية في كتاب نهج البلاغة) بعددٍ من كتب الأدب العربي؛ نظراً لما تضمّنته تلك الكتب من معلوماتٍ تأريخية لا يمكن تجاهلها، وفي مقدّمتها كتاب (رسائل الجاحظ) الذي ضمّ مجموعةً كبيرةً من الرسائل ذات الموضوعات المختلفة التي ألّفها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، وقد تضمّن هذا الكتاب مثل باقي مؤلّفات الجاحظ بعض آرائه السياسية ومواقفه من الإمام علي عليه السلام التي تعدّ جزءاً من مواقف بعض المؤرّخين، إضافةً إلى ذلك فقد تضمّن روايات مهمة كشفت عن جوانب من الدور السياسي والفكري للإمام عليه السلام.

أمّا كتاب (الكامل في اللغة) لأبي العبّاس المبرّد (ت٢٨٥هـ / ٨٩٨م) فقد تضمّن مجموعة من خطب الإمام ورسائله وقصار حكمه، فضلاً عن تضمّن هذا الكتاب بعض الروايات المهمّة التي أسهمت في الدور السياسي للإمام علي عليه السلام.

- **كتب الجغرافيا:**

استعنت أيضاً ببعض كتب الجغرافيا لتعيين بعض المواقع التي وردت في بعض الروايات، ومن أهمّ تلك الكتب كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، والذي أفاد الدراسة في تعيين الطرق والمواقع التي حدثت فيها المعارك، ولا سيما في عهد الإمام علي عليه السلام.

- **المراجع الثانوية:**

أسهمت المراجع الثانوية –ولا سيما المراجع الخاصة بالإمام علي عليه السلام وبنهج البلاغة – في إغناء هذه الدراسة ببعض الاستنتاجات المهمة وللاستفادة بما ورد عند أصحابها من آراء فيما يخصّ موضوع الدراسة من أبرزها كتاب (علي صوت العدالة الإنسانية) للأستاذ جورج جرداق، صاحب الموسوعة التي تدور أبحاثها حولها شخصية الإمام علي عليه السلام وتقع في خمسة أجزاء، والتي تبعها بملحق كبير بعنوان (روائع نهج البلاغة)، وقد أفدتُ من جزئه الرابع (علي وعصره) في عموم فصول الأطروحة، وهو كتاب غاية في الروعة.

من المراجع المهمة أيضاً وذات قيمة تأريخية علمية عالية كتاب (الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ) للأستاذ إبراهيم بيضون، ويعدّ هذا الكتاب من الكتب التي ناقشت الحياة السياسية ودور الإمام علي عليه السلام فيها حيث عالج جميع النصوص مستقرئاً محلّلاً مقيّماً لها؛ ليقف على الحقائق التأريخية، وقد أفدتُ منه فائدة كبيرة في هذه الدراسة.

أمّا كتاب (الإمام علي بن أبي طالب) للأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود، والذي يعدّ من أبرز مؤلفاته على الإطلاق، بسبب إثارته جدلاً واسعاً في أوساط العالم الإسلامي لخوضه في البحث عن الأزمات التي شهدها عصر خلافة الإمام علي عليه السلام وحروبه التي خاضها، ولاسيما في جزئيه الأول والثاني والذي أفاد الدراسة بفصولها جميعاً وذكره لتنبّؤات الإمام علي عليه السلام للأحداث السياسية المستقبلية.

وثمّة كتاب آخر من المؤلفات الحديثة هو (فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما يبدو في نهج البلاغة)، يعدّ كتاباً جديداً في منهجه ورؤيته، فقد تضمّن رؤية جديدة لفكر الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة مناقشاً ومحلّلاً ومستعرضاً الجوانب جميعاً (اجتماعية، سياسية، أخلاقية، إدارية، اقتصادية، تأملات كونية)، فقد وقف عند تلك الأفكار في مواضعها مناقشاً لها، فقد كان مرجعاً قيّماً أفاد دراستي، ولا سيّما في الفكر السياسي منه.

وله كتاب آخر (الحجاز في الدولة الإسلامية دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري) تأتي قيمة هذا الكتاب لكونه راعى المراحل التأريخية للحجاز قبل الإسلام والعناصر المتكاملة في تأريخه على امتداد القرن الأول للهجرة، ذلك القرن الأكثر أهمية وإثارة في تاريخ المسلمين العرب، وكان منهجه تحليلاً شفوياً.

أمّا كتاب (الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر) للدكتور هشام جعيط، فقد تضمّن

هذا الكتاب رؤية فلسفية جديدة للتأريخ الإسلامي منذ الجاهلية وحتى استيلاء معاوية على الحكم، مع بعض الملاحظات المهمة عن اتجاهات الحياة السياسية في تلك المدّة، فهو كتاب غاية في الروعة، وقد أفاد الدراسة فائدة قيّمة في فصولها جميعاً.

ويعدّ كتاب (حركة التاريخ عند الإمام علي دراسة في نهج البلاغة) لمحمّد مهدي شمس الدين، كتاباً مهمّاً في توضيح كيفية تعامل الإمام علي عليه السلام مع التأريخ لا كمؤرّخ، وإنّما بوصفه رجل عقيدة ورسالة، ورجل دولة وحاكماً، فقد أوضح المؤلّف في هذا الكتاب أنّ الإمام عليه السلام لم يكن يستعمل التأريخ كمادّة وعظية فقط، وإنّما كان يهدف إلى النقد السياسي والتربية السياسية لمجتمعه والتوجيه الحضاري لذلك المجتمع، فقد أفاد الدراسة فائدةً جمّة لما لها من حقائق تأريخية تكلّم بها الإمام علي عليه السلام.

وللمؤلّف محمّد مهدي شمس الدين كتاب آخر في نهج البلاغة هو (دراسات في نهج البلاغة) كشف فيه المؤلّف آراء الإمام علي عليه السلام في الاجتماع والاقتصاد والسياسة، فقد كان الكتاب رداً على الوعّاظ الذين يقدّمون نهج البلاغة إلى الناس على أنّه كتاب وعظي يشدّ في الإنسان إرادة الحياة على ما هو المعروف من أساليب الوعّاظ، فقد أوضح فيه أنّه ليس كتاباً وعظياً بقدر ما هو كتاب يعنى بمشاكل الإنسان الروحية والاجتماعية والاقتصادية وتأثير الحياة السياسية على المجتمع، ويضع لها الحلول المناسبة، إضافةً إلى ذلك كان المؤلف يعطي معاني بعض الكلمات في الخطب من كلام سيد البلغاء عليه السلام، مما أفادني كثيراً في تصنيف الخطب في فصول الدراسة.

وكتاب المستشرق (بترسن) بعنوان (علي ومعاوية في الرواية العربية المبكّرة) الذي ترجمه الأستاذ عبدالجبار ناجي، فقد اعتمدته في بعض فصول الأطروحة لما تضمّنه من تحليلٍ سياسيٍّ وفكريٍّ واجتماعيٍّ لواقع الروايات التأريخية التي وضعت في القرون الهجرية الأُولى.

ومن الرسائل الجامعية التي أفادت الدراسة وتمّ الاطلاع عليها أُطروحة الباحثة انتصار عدنان (السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، دراسة في نهج البلاغة)، وكانت الإفادة منها في المبحث الأول من الفصل الأول في الجانب السياسي لعرب ما قبل الإسلام ودولة الوحي في النهج.

وأطروحة الدكتوراه (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مؤلفات مؤرخي القرن الثالث الهجري دراسة في دوره السياسي والفكري) للدكتور إياد كاظم راجح، فقد أفادت هذه الدراسة

القيّمة البحث، ولا سيما في الدور السياسي للإمام عليه السلام.

ومن الرسائل والأطاريح الجامعية التي أفادت الدراسة، أطروحة (الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة) للباحثة هدى ياسر سعدون، وكانت الإفادة من هذه الأطروحة في الفصل الرابع، إذ اطلعت من خلالها على الفكر الإداري للإمام عليه السلام، وسياسته الإدارية التي جاءت على لسانه في نهج البلاغة، وكانت هذه الأطروحة ممتازة في عرضها للمادة العلمية، ومتسلسلة في موضوعاتها التي أوضحت من خلاله نهج البلاغة كل ما يخصّ الأمور الإدارية التي تهدف إلى بناء المجتمعات.

وقد تمّ الاطلاع على بعض الرسائل والأطاريح من ضمنها (الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) للدكتور علي جميل عبد الموسوي، ورسالة الماجستير (الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تأريخية) للباحث غزوان عبد الكاظم، ورسالة الماجستير (رسائل الغمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الولاة والعمّال والأُمراء والقادة، دراسة تأريخية) للباحثة زينب سمير الماجدي، وغيرها العديد من المواضيع التي درست جانب من جوانب فكر الإمام علي عليه السلام.

***

التمهيد

القيمة العلمية لكتاب نهج البلاغة

التمهيد

القيمة العلمية لكتاب نهج البلاغة

انتهى الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، جمعه بنصوص نهج البلاغة في شهر رجب سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، كما أشار في نهاية الكتاب[١]، و صدر أول شرح له في حياته لمعاصره علي بن ناصر (ت: في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، بعنوان (أعلام نهج البلاغة)[٢]، ويبدو ان هناك شرحاً آخر لأبي الحسن علي بن القاسم البيهقي (ت: ٥٦٥هـ/م)[٣].

لم ينل كتابه من الشهرة والانتشار ما ناله كتاب (نهج البلاغة) الذي جمع الشريف الرضي بين دفتيه كثيراً مما ذكر عن الإمام علي عليه السلام من خطب ووصايا وعهود ورسائل وحكم ومواعظ، أما سبب تسميته بـ(نهج البلاغة)، لأنه كما يقول جامعه: "يفتح للناظر فيه أبوابها أي أبواب البلاغة ويقرب عليه طلابها، لأن ما حواه الكتاب عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي)[٤].

ثم جاء من بعد الشريف من تناول محتوى الكتاب بالشرح[٥]، فقد ذكر هبة الله الراوندي عن

---

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت: ٤٠٦هـ/١٠١٦م)، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، تحقيق: فاتن محمد خليل اللبون دار إحياء التراث، (بيروت ،: د.ت)، هامش، ص٦٠٠.

(٢) الامين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، (بيروت: ١٩٨٢م)، ج٧، ص٣٦٣؛ ينظر: المجتبى، عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة، ط٢، مؤسسة الأعلمي، (بيروت: ١٩٧٥م)، ج١، ص٢٠٣.

(٣) ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم الأدباء، دار صادر، (بيروت: ١٩٨٤م)، ج١٣، ص٢١٩.

(٤) الشريف الرضي، مقدمة الشريف الرضي في نهج البلاغة، ص١٥.

(٥) ثبت أن الشروح (نهج البلاغة) قال محسن الأمين "لاقى من الشهرة والقبول ما هو أهله وشرح شروح كثيرة تنبؤ عن الاحصاء؛ ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج٩، ص٢١٨؛ وقال الهادي كاشف الغطاء: "شرح هذا الكتاب الجليل من فطاحل العلماء وجهابذة الفن ما يناهز الأربعين فاضلاً بشروح موجزة ومسهبة وعربية وفارسية " ينظر: الهادي، مستدرك نهج البلاغة، ط٣، كار الاندلس، (بيروت: ١٩٨٢م)، ص١٩٢؛ أما صاحب (مصادر نهج البلاغة) فقد وصف مائة وواجد من الشروح القديمة والحديثة للنهج منه إيراده ترجمة مقتضبة لكل شارح من أولئك؛ ينظر: الحسيني، عبد الزهرة، مصادر نهج البلاغة، ج١، ص٢٠٢-٢٥٤؛ وفي موسوعة اغا بزرك الطهراني ترجمة المائة وثلاثين شارحاً لنهج البلاغة في العربية والفارسية والأوربية؛ ينظر: الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، (بيروت: ١٩٨٣م)، ج١٠، ص١١١؛ اضافة الى العديد من الشروح التي حظي بها كتاب نهج البلاغة لأهميته البالغة.

محتواه أنه "**دون كلام الله ورسوله وفوق كلام البشر**"[١]، وفي السياق نفسه قال عنه ابن أبي الحديد هو "**دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق**"[٢].

لقد فتح الشريف الرضي بجمعه النهج – الباب واسعاً لدراسات متعددة الجوانب، فلاقى كل طالب علم بغيته فاهتم بتحقيقيه "حملة العلم والحديث في العصور المتقدمة حتى اليوم يتبركون بذاك الحفظ كحفظ القرآن والحديث الشريف، وعد من حفظته في قرب عهد المؤلف القاضي جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاساني، فإنه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه"[٣].

وفي جانب آخر من الدراسات يتمثل في نظم بعض الشعراء للكثير من معاني النهج[٤]، إضافة إلى العديد من الدراسات التي اتخذت من بعض جوانبه منهجاً للدراسة كشرح (الخطبة الشقشقية)[٥]، أو شرح (عهد الإمام للأشتر النخعي)[٦]، حين ولاه مصر، وإلى غير ذلك من نصوص استقطبت آراء الباحثين والمفكرين، على أن كل ذلك لا ينقص من المجهود الكبير الذي بذله الشريف الرضي في حفظه هذا التراث الانساني الذي ذكر عن الإمام علي عليه السلام الجامع لكل المجالات (السياسية، الاجتماع، الاخلاق، الفلسفة، الأدب، البلاغة).

من خلال دراستنا لنصوص نهج البلاغة خرجنا بنتيجة مفادها ان تلك النصوص وان تنوعت في موضوعاتها الا أنها متكاملة من حيث أساليبها العلمية والفكرية، فهي تمثل الجمع الجميل في شخصية الإمام علي عليه السلام فهو الفارس الذي يجيد القتال بسيفه وجواد وهو السياسي الذي يجادل ويحاور وهو الأديب الذي صاغ اللفظ في أروع ما تكون الصياغة، وهو الفيلسوف الذي ينتزع بفلسفته إلى ضم الكون كله في أحكام موجزة ومركزة نافذة إلى صميم الحق، فتلك

---

(١) الرواندي (ت: ٥٧٣هـ/ ١١٧٦م)، منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة اية الله المرعشي، (قم: ١٩٨٥م)، ج١، ص٤.

(٢) عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت: ٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٨٣م)، ج١، ص٢٤.

(٣) الاميني، عبد الحسين بن احمد، الغدير في الكتاب والسنة، ط٤، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٧٧م)، ج٤، ص١٨٦.

(٤) الطهراني، الذريعة، ج١٤، ص١٣٧.

(٥) الحكيمي، محمد رضا، شرح الخطبة الشقشقية، دار الوفاء، (بيروت: ١٩٨٢م)، وقد ذكر لها عشرة شروح ذكر لها شروح بأسهاب؛ ينظر: الحسيني، عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة، ج١٠، ص٣٠٩

(٦) ذكر الطهراني عدة شروح لعهد الاتشر اثناء ذكره لشروح نهج البلاغة المختلفة، ينظر: الطهراني، الذريعة، ج١٤، ص١٤٤، ١٤٦، ١٥٩؛ كما شرح العهد في كتاب مستقل توفيق الفكيكي اسماه (الراعي والرعية)، ط٣، دار الوفاء، (بيروت: ١٩٨٣م).

الاشعاعات المتفرعة من ذلك الكل المتكامل هي التي منحت (نهج البلاغة) الثراء العلمي من حيث القيمة الأدبية والبلاغية، والقيمة التاريخية القيمة الفكرية.

فقد عرفنا أن الهدف البلاغي هو الأساس الذي من أجله جمعت نصوص نهج البلاغة ونعتقد أن الشريف الرضي حين قام بذلك الجمع وهو الأديب الشاعر ذو الذوق الرفيع قد فضل عما سيحدثه الكتاب من ضجة في الاوساط الادبية وما سيناله من مكانة رفيعة عند المهتمين بالبلاغة والأدب خاصة قد جمع شتاته بناء على رغبة المتأدبين من أبناء عصره [١]، وإن اطلاعه على أثر تلك النصوص في بلاغة من سبقه من الكتاب[٢]، كان حافزاً له على ذلك الجمع، اضف الى ذلك معايشته لتلك النصوص اثناء الاختيار منها، فبراعته بصناعة الكلام تنعكس من اختيار درر الكلام التي أصبحت من بعده قطب رحى الدراسات والشروح الكبيرة والصغيرة[٣]، وتناقلتها الألسن في لغاتها المختلفة[٤].

أصبحت معاني نهج البلاغة ميزاناً تتبارى العقول في إظهار عجائبها، وشرح غريبها والوقوف عند أسرار بلاغتها بحيث شكلت تلك الدراسات والشروح مكتبة تكاد تكون متكاملة[٥].

ولم تقف الدراسات حول نهج البلاغة عند مرحلة معينة بل هي في زيادة مطردة فقلما صدرت دراسة أو ترجمة للامام علي عليه السلام إلا وتعرضت لبلاغته، مشيرة في ذلك لما حواه النهج من روائع وإنه من النادر جداً ان يترجم للشريف الرضي دون ذكر نهج البلاغة وموضوعاته وما دار حولها من جدل، ولم تقتصر الدراسات في نهج البلاغة على القديم بل مازالت مستمرة بالاستفادة من النهج فيدكر محمد عبده في معرض اشادته بكتاب النهج مانصه" **فاءجدر بالطالبين لنفائس اللغة، والطامعين في التدرج لمراقبتها ان يجعلوا هدا الكتاب اهم محفوظاتهم وافضل مأثورهم مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لأجلها وتأمل الفاظه في المعاني التي صيغت**

---

(١) الشريف الرضي، مقدمة نهج البلاغة، شرح محمد عبده، تحقيق: فاتن محمد خليل، ص١٥.

(٢) لابد أنه من هو قد اطلع ما روي عن الكاتب عبد الحميد بن يحيى (ت: ١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، حين سئل: " ما الذي مكنك من البلاغة وخرجك فيه؟ قال: حفظ كلام علي بن ابي طالب عليه السلام؛ ينظر: الجهيشاري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، ط٢، مطفى الحلبي، (القاهرة: ١٩٨٠م)، ص١٨٢، وذكر عن ابن نباته الفارقي قوله: " حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلا سعة وكثرة، حفظت فصل من مواعظ علي بن ابي طالب عليه السلام؛ ينظر: ابن ابي الحديد، عزالدين عبدالحميد المدائني (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٤م)، ج١٠، ص٢٤.

(٣) الاميني، اعيان الشيعة، ج٩، ص٢١٨.

(٤) الطهراني، الذريعة، ج١٠، ص١١١.

(٥) الحسيني، مصادر نهج البلاغة، ج١٠، ص٢٢٠.

للدلالة عليها ليصيبوا افضل غاية.."[1].

فنجد بلاغة نصوص النهج وأساليبها الرفيعة حيرت عقول الدارسين لأن العقلية الفذة التي صاغتها استطاعت توظيف البلاغة العربية في طبيعتها الخالصة لمعالجة موضوعات الحياة معالجة تتسم بالحيوية والصدق فأذابت السياسة والأخلاق والفلسفة والزهد في قوالب محكمة من المتعذر الفصل بين عناصرها وإقامة أي عنصر منها وحده بعيداً عن سائر العناصر[2]، لذلك فإن عنصري البلاغة والأدب في نهج البلاغة وإن كانا هما السبب المباشر في جمع نصوص الكتاب الا أنهما لم يكونا عنصري القيمة الوحيدين، لأن معالجة تلك النصوص لجوانب متعددة من الحياة منحها القيمة العالية على اعتبارها إثراء انسانياً له مكانته من حيث القيمة التاريخية.

إذن فالقيمة التاريخية في ثقافة الإمام علي عليه السلام والتي أوضحها في النهج هي قيمة الوعي بالتاريخ من خلال قوله عليه السلام: "**واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقض، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه...**"[3]، وقوله عليه السلام في وصيته للامام الحسن عليه السلام ونصها "**أحيي قلبك بالموعظة .. وأعرض عليه اخبار الماضين، وذكره بما اصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في يدارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا، وكما انتقلوا، وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم انتقلوا عن الاحبة، وحلوا دار الغربة وكانك عن قريب قد صرت كأحدهم**"[4]، والقيمة التاريخية لا يعرف ثمرتها إلا القليل، لأن فيها وعياً تاريخياً هذا الوعي يكشف لك من أنت؟ وأين أنت؟ ومن أين جئت؟ وفي أي مقام أنت؟ ولماذا لا تفهم الله ولا دينه ولا كتابه ولا نبيه ولا سننه... او كنت تفهمهم وكيف تختلط عليك الأمور أو لا تختلط، ففي هذا الصدد ذكر الامام علي عليه السلام ما نصه "**أي يا بني، أني ووان لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فق نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل اني كما انتهي انتهى إلي امورهم قد عمرت الى اولهم من آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره**"[5]، فالقيمة التاريخية يحبها الأذكياء الصادقون لأنهم يعرفون أنها خطوة دينية

---

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ص٩.

(٢) ابن أبي الحديد، مقدمة الشرح، ج١، ص١٢.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، ص٢٣٢؛ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/)، الكافي (الأصول والفروع)، ط٤ (بيروت: دار صعب، ١٩٨٠م)، ج٨/ ص٣٢٨. شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ من الإمام علي دراسة في نهج البلاغة (بيروت: الأعلمي للمطبوعات، د. ت)، ص٦٢.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٢٢.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٢٣.

عقلية إيمانية، وينفد عنها أهل النفاق لأنها تكشف جذورهم وثقافتهم[١].

لذلك كان الإمام علي عليه السلام يكره لأصحابه والناس الجهل بالتاريخ فحثهم على ان يلتمسوا هذا العلم من أهله بقوله: " فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصفتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق"[٢] وهذا النص يوضح فائدة التاريخ ويندرج تحت قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [٣]. لقد دعا الامام علي عليه السلام الى اعتماد التاريخ لاعداد أفردا المجتمع من خلال الاطلاع على تجاربه في سبيل مواجهة الحياة بواقعية وصرت وهو مايتوضح في احدى خطبه فذكر عليه السلام ما نصه "ألستم في ساكن من كان قبلكم اطول اعماراً وأبقى آثاراً وأبعد آمالاً وأعد عديداً واكثر جنوداً تعبدوا للدنيا أي تعبدوا للدينا أي تعبد وأثروها أي ايثار، فهل بلغكم ان الدنيا سبخت لهم نفساً بفدية.. فبئستِ الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وأنتم تعلمون انكم تاركوها"، وهذا يعني ان الامام علي عليه السلام كان قد ركز على عاملين أساسيين عامل التغيير والتقلب في احوال الحياة وعامل الزمن الذي يغير احوال الحياة بصورة مستمرة لأن وعي الانسان بهذين العاملين وادراكه آثارهما في حياته يجعه قادراً على مواجهة الحياة بكل تقلباتها الايجابية والسلبية[٤].

فإذا كان مؤرخو عصر صدر الإسلام يذكرون الحوادث التاريخية متسلسلة اعتماداً على روايات اخذت سماعا فان في نهج البلاغة نصوصاً كثيرة تؤرخ لمعظم تلك الحوادث عن مشاهدة عيان لان قائلها طرف اصيل في تلك الحوادث في بداية الدعوة الإسلامية واثناء الخلافة الراشدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وبناء عليه فان نصوص النهج اذا ما نظرنا فيها بحيادية هي من اصدق الوثائق التاريخية السياسية التي أرخت لتلك الحقبة وتتجلى أهمية تلك الوثائق التاريخية في عدم اقتصارها على سرد الحوادث ووصف المشاكل التي تعرض لها المجتمع الإسلامي، بل في مناقشتها لتلك المشاكل من جميع الوجوه مع وضع الحلول المناسبة لها، فالنصوص التاريخية السياسية في النهج عن الإمام علي عليه السلام "تعطي صورة واضحة عن نظراته الثاقبة وآرائه البعيدة

---

(١) العريضي، جليل منصور، فكر الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، كما يبدو في نهج البلاغة دار المحجة البيضاء، (بيروت: ٢٠١٤م)، ص٣٨.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٣٢؛ ينظر: الكليني، فروع الكافي، ٨/ ٣٢٨.

(٣) سورة الأحزاب: الآية٦٢.

(٤) نهج البلاغة، ص٢١٨.

في مبادئ السياسية وأساليب حكم الرعية وإدارة شؤونها والحث على الفتن عنها"[١]. وهو ما سار بأثره أمير المؤمنين عليه السلام وحاول تبصير الناس به من خلال خطبه ووصاياه فذكر ما نصه "**أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون أولم ترون الى الماضين منكم لايرجعون والى الخلف الباقين لايبقون اولستم اهل الدنيا يصبحون ويمسون على احوال شتى...**"[٢].

ثم إن الدارسين للحوادث التاريخية السياسية من خلال النهج يمكنهم متابعة التاريخ الإسلامي في انعطافته الكبيرة التي عبر عنها حديثاً بـ(الفتنة الكبرى)[٣]، والتي تمكن دارس تلك الحقبة من معرفة الأسرار الخفية الدقيقة التي بسببها تحولت الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض.

وربط الامام علي عليه السلام يقظة الامم والمجتمعات بامكانيات قاداتها لذا اشار الى صنع رجال المرحلة القادرين على تحمل اعباء الأمة مثل رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته المنتجبين الذين تحملوا متاعب نشر الدعوة الاسلامية وإعلاء كلمة الله تعالى فذكر في هذا الصدد ما نصه "**إن من أبغض الرجال الى الله لعبد وكله الله الى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل ان دعي الى حرب في الدنيا عمل وان دعي الى حرث الاخرة كسل كأنما عُمل وجاب عليه وكانما نوى فيه ساقط عنه وذلك زمان لاينجو فيه الا كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد اولئك مصابيح الهدى وأعلام السرى.. يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته**"[٤].

إضافة إلى ذلك نجد الإمام علي عليه السلام قد عرض في أحاديثه لأصحابه إلى تنبؤات تاريخية سياسية، مثلاً ذكره في معركة النهروان عن الخوارج ومصيرهم عندما سمع قول اتباعه له بهلاك الخوارج جميعهم في النهروان فأجابهم قائلاً عليه السلام: "كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين"[٥]، حتى ينتهوا إلى

---

(١) الصالح، صبحي، مقدمة تحقيق نهج البلاغة، ط٣، (دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٣م)، ص١١.

(٢) نهج البلاغة، ص١٩١ ؛ ينظر: السويطي، محمد حسين علي، مفهوم علم التاريخ واهميته في فكر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، (بحوث مؤتمر العميد العلمي العالمي الثاني، ديوان الوقف الشيعي، ٢٠١٧م)، ص١١٨.

(٣) أرخ طه حسين لفترة عثمان ثم لفترة الإمام علي عليه السلام في كتابين منفصلين بعنوان (الفتنة الكبرى) وقد ارخ في هاتين الكتابين الى ما اصاب الدولة الإسلامية من شرخ عميق احالها في نهاية الامر ملك وراثي، حسين، طه، الفتنة الكبرى (عثمان)، ط٧، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٨١م)؛ ينظر: الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ط١١، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٨٢م).

(٤) نهج البلاغة، ص٦٧ ؛ السويطي، مفهوم علم التاريخ وأهميته في فكر الامام علي عليه السلام ، ص١٢٠.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٩٨.

جماعة من لصوص لأنهم ومنذ البداية اسسوا فرقتهم على تعاليم وقيم لأتمت إلى الإسلام بطلة، وأيضاً اشارته لفتنة بني امية بقوله: " **الا ان خوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فإنها فتنة عمياء...**"[1]، فهذا التنبؤ تحذير للناس من هذه الفتنة التي لا تبقى امامها قيم ومفاهيم ومثل وفعلاً صدق الإمام علي عليه السلام فقد كانوا كذلك إذ أُعيدت أعراف الجاهلية في عهدهم وتسلط رجالهم على رقاب المسلمين واشغالهم مواقع مهمة في الدولة.

كذلك عرض عليه السلام التنبؤ التاريخي إلى ما سيحدث بالبصرة من فتن دموية جراء الاضطهاد والظلم الذي سيقع على الفقراء والمستضعفين "**ومنها فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تأتيكم مذمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهلها راكبها اهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رجع له ولا حس وسيبتلى اهلها بالموت الاحمر والجوع الأغبر**"[2].

وتحدث عليه السلام عن فتن سيحدثها جنس من الأتراك في عهد من عمود الإسلام (العهد العباسي) فوصفهم عليه السلام قائلاً: "**كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْـمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ، حَتَّى يَمْشِيَ الْـمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ المَأْسُورِ!**" [3].

وهذه الكثيرة في التبؤات التاريخية للإمام عليه السلام وورودها في النهج بشكل خاص أدى الى اتهامه عليه السلام أنه يعلم الغيب دون الله، فتذكر المصادر أنه قال رجل كلبي للإمام عليه السلام: " لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، انما علم الغيب، علم الساعة وعلم الساعة وهذا ماذكره الله سبحانه تعالى بقوله :﴿**ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام**﴾... فهذا العلم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمينه ودعائي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي"[4].

فعلم الغيب كما واضح من قول الإمام علي عليه السلام هو العلم بالكليات دون الاستعانة بمعلم أي

---

(١)الشريف الرضي، نهج البلاغة ، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٤؛ سورة لقمان: الآية: ٣٤.

انه ذاتي ولا يجوز العلم الذاتي الا في الله سبحانه لأن كل عالم غيره متعلم فللإمام عليه السلام يقر بأن علمه مكتسب والعلم المستفاد من الغير لا يجوز أنيسمى غيباً بل تنبؤاً، كما ذكر ميثم البحراني: "**وان كان اطلاقاً على أمر غيبي لا يناهل للاطلاع عليه كل الناس**"(١)، وإقرار الإمام علي عليه السلام بصحة اكتسابه تؤيده نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من ذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٢)، فقد قال معظم المفسرين انه لما نزلت هذه الآية قال رسول صلى الله عليه وآله:" سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي، قال علي عليه السلام، فما نسيتُ شيئاً بعد ذلك وما كان لي أن أنسى"(٣).

وفي موضع آخر ورد للامام علي عليه السلام في نهج البلاغة قول الرسول صلى الله عليه وآله له: "**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ**"(٤)، فالذي نفهمه مما ورد بشأن التنبؤات لدى الإمام علي عليه السلام هي اكتساب بعض الجزئيات الغيبية عن طريق التعلم من متلقي الوحي عليه السلام، لا يكسب المتعلم صفة عالم الغيب فهو على هذا لم يقل بعلمه الغيب، الا انه حاول توظيف ما تلقاه عن الرسول صلى الله عليه وآله من علم في خطبة التوعية الى ما سيؤول اليه مصير المجتمع فيما لو انحاز ابناؤه عن جادة الحق بظلم بعضهم البعض وميلهم له عن اصحابه والمؤهلين له، ومنهم شخصة كوارث لعلم النبي صلى الله عليه وآله وحكمته وقد ورد شيئا كثيراً من ذلك في حق نفسه خاصة وآل بيته(عليهم السلام) على وجه العموم(٥)، ومن ذلك ما ورد بشأن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في نهج البلاغة على لسان أمير المؤمنين.

فمن ضمن قضايا التنبؤ بالمستقبليات التي تعرض اليها الإمام علي عليه السلام في النهج والتي اضفت عليه قيمة واهمية تاريخية، وصف للإمام المهدي (عجل الله فرجه) الذي يظهر بعد فتن تسفك الدماء، وينبذ القرآن ويعمل بالرأي ويتبدد المسلمون هلعاً وخوفاً في اقاصي البلاد من ذلك قوله عليه السلام: "**يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ، منها:حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاق، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً**

---

(١) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت: ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)، شرح نهج البلاغة، ط٢، دار العالم الإسلامي، (بيروت: ١٩٨١م)، ج١، ص٨٤.

(٢) سورة الحاقة: الآية: ١٢.

(٣) القرطبي، عبد الله بن محمد بن احمد (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الجامع لإحكام القرآن، ط٢، الهيئة المصرية، (القاهرة: ١٩٦٧م)، ج٨، ص٢٦٤.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٣٨، التستري، محمد تقي، نهج الصياغة في شرح نهج البلاغة، (طهران دار الأمير د.ت)، ج٢، ص٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢؛ وهم موضع سره ولجأ امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام اعناء ظهره واذهب ارتعاد فرائضه.

أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا، أَلاَ وَفِي غَد ــ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ــ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الاَرْضُ وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ ويحي ميت الكتاب والسنة"[1].

فكل من تناول كلام الإمام علي عليه السلام هذا من شراح النهج متفق على أن أمير المؤمنين يقصد منها وصف الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) الذي ينادي بالعمل بالقرآن وإحياء السنة النبوية[2].

إلا أن وجهة نظر المعتزلة الذين يرون كما يقول ابن ابي الحديد: "إن في ذلك إشارة إلى إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان"[3]، في حين يرى الشيعة الإمامية أنه قد عنى بذلك الإمام المنتظر وهو الإمام الثاني عشر الغائب والذي لا بد أن يظهر يوماً ما ليملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، كما أوضح الإمام علي عليه السلام في كلامه السابق، خاصة أنه عليه السلام يرى ان الأئمة المصلحين موجودون في كل عصر بهدف تبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، حتى لا تكون للناس حجة على الله من ذلك قوله: "**اللَّهُمَّ بَلَى! لاَ تَخْلُو الاَرْضُ مِنْ قَائِم لله بِحُجَّة، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً**"[4].

إذاً القيمة التاريخية السياسية والتنبؤات في النهج تعتبر من اسسه التي لم تكن الصياغة إلا خادمة لها لاجلاء وجهها ورفع غبار الزمن عنها لتبدو واضحة بعين التاريخ وتحلل الحوادث بعيداً عن أية تأثيرات خارجية.

أما بالنسبة إلى القيمة الفكرية لنهج البلاغة فتعتبر من الركائز التي انبنى عليها نصوص النهج التي عرضت قضايا العدل والتوحيد وعلم الأخلاق والسياسة والمجتمع إلى غير ذلك من موضوعات تتعلق بالحياة والموت وذلك ما جعل النهج مصدراً مهماً وأساسياً بالنسبة لجميع الفرق الإسلامية.

فمن ذلك تعويل الشيعة على نصوصه كمصدر لعقائدهم، وبالأخص العدل والتوحيد كما ذكر الشريف المرتضى: "ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه

---

(١) يقصد الإمام عليه السلام بـ (ويعطف الهوى على الهدى يقهر الهوى وهو العمل بالرأي ويثنيه ويجعله منقاداً الى العمل بهدي القرآن والسنة وكذلك قوله: يعطف الرأي على القرآن: أي يقهره بتغليب حكم القرآن عليه والساق الشدة والتواجد اقضى الاخراس وهو كناية عن بلوغ الحرب شدتها ومملؤة اخلاقها والاخلاف جمع خلف: أي حلمات ضرع الباقة وهو كناية عن اشتداد الفتن وعلقم عاقبتها أي مدة نهايتها، وقوله: " يأخذ الوالي... اعمالها" أي ان الإمام المنتظر يأخذ العمال والامراء على سوء اعمالهم ويعاقبهم بها والافاليذ جمع فلذ وهو كناية عن الكنوز، أي تظهر للقائم، ينظر: ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٥، ص١٣٨.

(٢) ميثم البحراني، شرح النهج، ج٣، ص١٦٨؛ ينظر: عبده، شرح النهج، هامش ٢٤٩.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٤٠.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٥٥٩.

وخطبه فأنها تتضمن مالا زيادة عليه ولا غاية وراءه"[١].

ويمكن للباحث ان يستعين على كثير من العناصر الأولية التي انبنت عليها آراء الخوارج وعقائدهم في الإمامة وأحكام القرآن وغير ذلك من الآراء التي تدور حول الايمان والكفر وذلك من خلال الجدل الذي دار بين الإمام علي عليه السلام وبينهم وبعد قضية التحكيم وقد حفظ لنا النهج طرفاً كبيراً من ذلك النزاع.

أما تأثر المعتزلة وعلماء الكلام بأقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه فواضح باعتراف شيوخهم[٢]، استعملها المعتزلة وعلماء الكلام كمصطلحات في بعض من نصوص النهج إلى الشك في نسبة تلك النصوص للإمام علي عليه السلام.

هذا وقد اعتمد الأشاعرة في كثير من حججهم الكلامية وعقيدتهم في الخلق والخالق على ما ذكره عن الإمام علي عليه السلام من خطب وأقوال[٣].

واتخذ المتصوفة من أقواله عليه السلام في الزهد والتقشف وصفات المؤمنين ما يتناسب وأفكارهم حتى لقد أوّل أحد الشارحين بعض نصوص النهج تأويلاً صوفياً[٤]، كذلك أفرد شارح آخر فصولاً طويلة لدحض تلك الأفكار والرد عليها[٥].

فالقارئ لشروح (نهج البلاغة) المطولة يجد كل تلك الأفكار مبسوطة فيه، وذلك بناء على تأويله النصوص بما يتناسب وكل عقيدة على اعتبار أن ما ورد فيه كلام هو "عند أهل الفطنة والنظر دون كلام الله ورسوله وفوق كلام البشر واضحة مناره مشرفة آثاره لا يستبعد في هذا الدهر أن يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس أما من ألفاظه الغرائب أو معانيه العجائب"[٦].

أخيراً وفي ضوء ما سبق يمكننا اعتبار (نهج البلاغة) نصاً متكاملاً ، وذات قيمة علمية (أدبية بلاغية، تاريخية سياسية، فكرية) وهي من المصادر الأساسية فيه، لذلك سوف تركّز دراستنا على الجانب السياسي الذي أوضحهُا الإمام عليه السلام من خلال نهج البلاغة.

---

(١) الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى (ت: ٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، رسائل الشريف المرتضى، مؤسسة النور، (بيروت: د.ت)، ج٢، ص٢٩٣.

(٢) ابن النديم، محمد بن يعقوب الوراق (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، دار احياء التراث، (بيروت: ١٩٧١م)، ص٤٠٢.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١، ص١٧.

(٤) ميثم السجراني، شرح النهج، ج٢، ص٢١٦.

(٥) الخوئي، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ط٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت: ١٩٨٣م)، ج١٣، ص١٣٣.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١، ص٤٢.

الفصل الأول
((دولة الوحي في نهج البلاغة))

المبحث الأول

مدخل: رؤيا الإمام للحياة السياسية لعرب قبل الإسلام

- المبحث الثاني: الأثر السياسي للإمام علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله من خلال نهج للبلاغة

- المبحث الثالث: خليفة الرسول في ضوء نصوص نهج البلاغة

المبحث الاول

مدخل:

لقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الواقع السياسي عند العرب قبل الإسلام، في نهج البلاغة أوضح فيه الوضع السيء الذي عاشه العرب آنذاك إذ تميز واقعهم بالفرقة الذي كان للنظام القبلي اثره في تفرقة العرب، إلى ((قبائل متفرقة))[١] في شبه الجزيرة العربية إذ وصفها عليه السلام بأنها "**قرى متقطعة**"[٢]، وقال عليه السلام واصفاً حالهم: "**تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ**"[٣].

فمع هذه الفرقة تميز تاريخ العرب قبل الإسلام بحروب متواصلة تقع أحياناً لأسباب بسيطة، مما أدى الى قطع الأرحام كما أوضحها الإمام عليه السلام :" **وَأَرْحَام مَقْطُوعَة وَغَارَات مَشْنُونَة** " [٤].

حتى أن بعثه النبي صلى الله عليه وآله جاءت: "**عَلَى حِين، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ**"[٥]، هذه الحروب التي سميت بأيام العرب وكانت موضع فخرهم في أنديتهم ومجالسهم[٦]، وكانت سبباً لقيام بعض القبائل بوأد بناتها[٧].

اضافة الى الهيمنة الخارجية التي كانت من نتائج الفرقة والحروب فيما بينهم أدت إلى هذه الحال من عدم الاستقرار والى سهولة السيطرة عليهم من قبل القوى الكبرى يومذاك "**لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ**"[٨].

فقد تمكن الساسانيون من مد سيطرتهم على العراق واتخذوا من المدائن عاصمة لهم ولا يستبعد أنهم شجعوا الخلافات بين القبائل العربية، ونصبوا المناذرة ملوكاً على العرب في العراق

---

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٣٢٤.
(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص٣٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٢٥.
(٤) نهج البلاغة، ص٣٢٥، ينظر: الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، (الموصل: ١٩٩٤م)، ص٤٠٧.
(٥) نهج البلاغة، ص٣٢٤؛ ينظر: العواد، انتصار عدنان، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، اطروحة دكتوراه، دار الفيحاء، (العراق: ٢٠١٥م)، ص٢٢٤.
(٦) الملاح، الوسيط، ص٢١٣.
(٧) نهج البلاغة، ص٣٢٤.
(٨) نهج البلاغة، ص١٧٦-١٧٨؛ انتصار، السيرة النبوية في رؤية أميرالمؤمنين، ص٢٢٤.

مقابل قيامهم بحماية المصالح الفارسية[١].

وكذلك سيطر الروم على بلاد الشام ونصبوا الغساسنة ملوكاً لحماية مصالحهم ولصد الغارات العربية على حدودهم[٢]، وكان الغساسنة مخلصين إلى درجة انه قام الملك الغساني بقتل الرسول الذي ارسله النبي محمد ﷺ يدعوهم السلام ارضاء لأسياده الرومان[٣].

لكن هذا الحال تغير بعد وجود الإسلام الى حال مغاير تماماً، إذ تميز واقعهم بأن الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ أدت إلى اجتماعهم تحت لواء واحد مما الف بين قلوبهم، فزالت الحروب والمنازعات وأصبح لهم سلطان واحد يفزعون إليه، بل أصبحوا هم حكاماً على الناس بعد أن كانوا تابعين للغير فبخصوص هذا الجانب يقول عليه السلام: "**فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ، قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ! لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!**"[٤].

كما أوضح الإمام علي عليه السلام طبيعة العرب قبل الإسلام ووصفه للأوضاع التي بعث فيها النبي ﷺ، فقال: "**بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُ وفِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ**"[٥]، وفي مقام نصحه لأصحابه قال عليه السلام: "**وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ**"[٦]، ووصف حال المسلمين بعد

---

(١) الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٣م)، المغازي، تحقيق: مارسدن جون، ط٣، (بيروت: دار الأعلمي ١٩٨٩م) ج١، ط٤١٥. العواد، انتصار، السيرة النبوية، ص٢٢٦.

(٢) اليعقوبي، ابن واضح احمد بن ابي يعقوب (ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت: د.ت)، ج١، ص١٧٦؛ اليافعي، عبد الله بن اسعد (ت: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، مرأة الجنان، (بيروت:مؤسسة الأعلمي ١٩٧٠م)، ج١، ص١٩٤.

(٣) الواقدي، ج١، ص٤١٥، ابن الأثير، أبو الحسن بن محمد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، (بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)،ج٢، ص٣٠٤.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٢٤.

(٥) نهج البلاغة، ص٢٣١.

(٦) نهج البلاغة، ص١٦٣.

مقتل عثمان بأنه " هذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة"[١].

فلابد من بيان النصوص التي وردت فيها لفظة الجاهلية في كلام الإمام علي عليه السلام تعبيراً عن عرب قبل الإسلام، فقد ذكرنا سابقاً وسنكمل ما قاله الإمام عليه السلام في وصفه لعصر الجاهلية وطبيعته السياسية، فذكر عليه السلام أم من يتبع الشيطان هم: "**صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ**"[٢]، وعاد عليه السلام محذراً من التكبّر فقال: "**فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلاَقِ الشَّنَآنِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، اللاَتِي خَدَعَ بِهَا الاْمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ**"[٣].

وفي وصفه المتكبرين والتحذير من طاعتهم: "**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ !الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ إِعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ**"[٤].

إن الإمام علي عليه السلام أطلق لفظة الجاهلية على المدة التي سبقت الإسلام من تاريخ العرب والحياة السياسية التي كانت سائدة وأوضح مثال على ذلك قوله مفتخراً: "**فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ**"[٥].

اشارة الى ان شرف بني هاشم ودورهم لايقتصر على الإسلام فقط بل ان شرف بني هاشم قبل الإسلام (الجاهلية) مشهور ومكارم أخلاقهم لا ينكرها منكر، ويظهر ان بعضهم تصور أن الإمام عليه السلام يشير إلى الجاهلية بمعناها الخلقي لذا استبعد ذلك وأشار الى أن اللفظة هكذا "**وجاهليتكم لا تدفع**"[٦]، لكن الواضح من سياق الكلام ان استعمال الإمام عليه السلام لفظة (الجاهلية) كانت في مقابل لفظة الإسلام، فإسلامنا مقابل وجاهليتنا لفظة الجاهلية وهذا دليل التقابل الزمني فأن في كلا المدتين كان بني هاشم مأثرة محمودة، وكذلك في معرض كتابه لابن عباس واليه على البصرة

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٧٠؛ محمود، عرفة محمود، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية و؟؟؟؟ وأهم مظاهر حضاراتهم، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م)، ص٤٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٣١٥.

(٣) نهج البلاغة، ص١٦٣.

(٤) نهج البلاغة، ص١٦٣.

(٥) نهج البلاغة، ص٤١٦.

(٦) نهج البلاغة، ص٤١٦؛ عواد انتصار، السيرة النبوية في رؤية أميرالمؤمنين، ص٢٢٧.

يوصيه ببني تميم قائلاً: " وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْم فِي جَاهِلِيَّة وَلاَ إِسْلاَم "[1].

إن الإمام علي عليه السلام يوضح من خلال هذه النصوص الشريفة أن لهذا النعت (الجاهلية) اسباباً و دوافع استوجبت نعت المجتمع آنذاك بهذه الصفة، منها الممارسات السلبية التي ابتعدت بهم عن هدى الشرائع السماوية كما هو واضح في قوله عليه السلام: "**وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ**"[2].

ويبين عليه السلام من خلال النصوص تفشي التكبر والحمية والعصبية والاستخفاف والحقد وعدم احترام المرأة فضلاً عن غيرها من السمات.

وغير خاف على المطالع للنصوص السابقة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد ألقى تلك الخطب التي صورت هذه النصوص في أغلبها ان لم تكن كلها في مدة خلافته أي بعد ظهور الإسلام ومضي مدة ليست بالقليلة ومع ذلك فأنت تلحظ وبشكل لافت للنظر ان الدلائل واضحة على عودة المظاهر الجاهلية ونشاطها من جديد في المجتمع الإسلامي[3].

مما دعاه عليه السلام الى الجد في إعادتهم لهدي الشريعة السمحاء ووضعهم على الطريق الصحيح بالوعظ والانذار والتوضيح لمكامن العلل والحرص منه عليه السلام على معالجتها ومن ذلك قوله عليه السلام: "**فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ**"[4].

وعاد يؤنب سامعيه وما هم عليه من روح قبلية وتعصب عنصري ذميم، وهما من صفات الجاهلية مبين ان هذه الافة الخطيرة قد ابتليت بها قريش: "**أَلاَ وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الاْ رْضِ، مُصَارَحَةً للهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ**"[5].

ثم أن ما ذكره الإمام عليه السلام عن موجبات ذلك النعت لعرب قبل الإسلام وحتى المدة الإسلامية يحاكي ما جاءت به آيات الذكر الحكيم في السور المدنية في أربع مواضع وهي: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ**

---

(١) نهج البلاغة، ص٤١٦؛ الماجدي، زينب سمير علي، رسائل الإمام علي بن أبي طالب إلى الولاة والعمال والأمراء والقادة دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد كلية التربية، ٢٠٠٤م)، ص٨٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٠١.

(٣) العواد، انتصار، السيرة النبوية في رؤية أميرالمؤمنين عليه السلام، ص٢٣٠.

(٤) نهج البلاغة، ص٣١٥.

(٥) نهج البلاغة، ص٣١٥.

يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]، و**﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾**[2]، **﴿ووَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾**[3]، و**﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولى﴾**[4].

ومن خلال تأمل ما جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام نجد تناغماً واضحاً ما بين الاستعمال القرآني لوصف الحياة الجاهلية وما بين استعمال الإمام عليه السلام لها.

فبعد هذا العرض الموجز الذي تم لملمة شتاته من بين مواضع شتى تناثرت في كلامه الشريف عليه السلام حتى تكونت لنا هذه الصورة عن الحياة السياسية للعرب قبل الإسلام وقبيل البعثة النبوية صلى الله عليه وآله وبعد فان الإمام علي عليه السلام قد شخص وجوه الفساد والانحراف في ذلك المجتمع واصلاح الانحراف هو من مهام النبوة، كما في قوله عليه السلام واصفاً دور النبي صلى الله عليه وآله: "**طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَمْضَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ من ذلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوب عُمْيٍ، وَآذَان صُمٍّ، وَأَلْسِنَة بُكْمٍ؛ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ**"[5].

فنجد دولة الوحي تعالج وجوه الفساد كلها في الإنسان في الروح والمادة والمؤسسات لتحقيق الغاية العظيمة النبيلة وهي تكوين الإنسان المتكامل والدولة النموذجية المتكاملة.

---

(١) سورة المائدة : الآية: ٥٠.

(٢) سورة الفتح: الآية: ٢٦.

(٣) سورة آل عمران : الآية: ١٥٤.

(٤) سورة الأحزاب: الآية :٣٣.

(٥) نهج البلاغة، ص٦٣.

دولة الوحي

مدخل :ــ

من دراسة سيرة الرسول ﷺ يتبين لنا أنه كان بجانب تبليغهُ الدعوة يضع أسس الدولة التي ستحتضن الدين، ولم يكن ذلك الهدف منه اجتهاداً شخصياً، استناداً لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]، الأمر السماوي في الآية الكريمة يمثل جميع التصرفات قولاً وفعلاً ويفرق في التشريع بين العقائد والعبادات وأكد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: "**وعمر فيكم نبيه أزمانا حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وأنهى إليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره**"[2].

لذلك فإننا "**جميع الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت لتشريع حكم من الأحكام التي تتعلق بموضوع الدولة وشؤونها جاءت على أساس قيام دولة شرعية في المجتمع الإسلامي**"[3].

لكون الإسلام كلا متكاملا لا يمكن تجزئته بين عمل دنيوي وآخر أخروي للترابط الوثيق بينهما، فالدين "وهو الحياة باسرها وهو روحها الناطقة الحية ومحركها الرئيسي وقوتها الدافعة وهو الفهم والشعور والوعي والفكر والنظر والادراك"[4].

فالرابط بين الدين والدولة في الإسلام ينطلق من منظور ان الحياة بالنسبة للمسلم مسلك يعبره من خلال معاملاته وعلاقاته الإنسانية يصل إلى النعيم المقيم الدائم في الآخرة، لأن "مقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم"[5].

وبسبب الترابط بين الدين والدولة، نجد أن سياسة الدولة في الإسلام مرتبطة ارتباطا تتابعياً يكون الدين قائدا والسياسة مقتادة ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تتبعنا لنشوء دولة الوحي في الإسلام.

---

(١) سورة الحشر: الآية: ٧.

(٢) نهج البلاغة، ص١٣٣.

(٣) الفضلي،عبدالهادي، الدولة الإسلامية، دار الزهراء، (بيروت: ١٩٧٩ م)، ص١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤ــ ١٥؛ ينظر: العلي، صالح أحمد، دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها، ط٣، شركة المطبوعات للتوزيع، (بيروت: ٢٠٠٩م)، ص٦٨.

(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ /١٤٠٥م)، المقدمة، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨٠م)، ص٢٣٨.

نشوء دولة الوحي في الإسلام:

مما لاشك فيه أن الرسول ﷺ قد تمكن بعد بيعة العقبة الثانية[١] من وضع الحجر الأساس للمجتمع الإسلامي نواة الدولة، لأنه ﷺ بهذه البيعة قد تمكن من وضع اثنين من اهم ركائز الدولة في الإسلام وهي الحصول الحماية والمساندة التي كان محتاجا اليها لتأمين حياة أصحابه وتمكين الدعوة من الاستقرار ليتاح لها الانتشار في قولة ﷺ للمبايعين ليلة العقبة "**ابايعكم على أن تمنعوني مما فتمنعون منه نساءكم وابناءكم**"[٢].

وهذا دليل على الجهد العظيم الذي يسعى من اجله لإقرار الدعوة داخل سياج امين وقوي لأنه ما طلبه من حماية ليس بالسهل اليسير على العربي الذي يرى في العرض وصيانته اغلى القيم وامنعها، هذا بالإضافة الى أن تلك المعاهدة تساعدهم وتساندهم على مجابهة عداوة قريش وسخطها[٣] والذي عبر الإمام علي عليه السلام عن هذا السخط بقوله: "**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا**"[٤]، لما لها من قوة ونفوذ في القبائل العربية بحكم مكانتها الدينية.

أما الركيزة الثانية فكانت بهجرة الرسول ﷺ مع من امن به إلى المدينة بأمر من الله تعالى لقوله ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٥]، فحماية المؤمن وموالاته ومؤازرته لا تكون فرضا على المؤمنين حتى يهاجروا الى المدينة المنورة آنذاك لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾[٦].

---

(١) بيعة العقبة الثانية: العقبة هي موضع بين منى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد ومنها ترمى حجارة العقبة وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة ويتتبع القبائل في رحالها يدعوهم إلى أن يمنعوه ليبلغ رسالات ربه فلا يجد أحدا ينصره حتى إذا كانت سنة (ت١١هـ/ ٦٣٢م) من النبوة لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة فدعاهم ﷺ إلى الإسلام وعرض عليهم أن يمنعوه... فآمنوا به وصدقوه فانصرفوا إلى المدينة وذكروا أمر رسول الله ﷺ فأجابهم ناس وفشا فيهم الإسلام ثم لما كانت سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م) من النبوة وافى الموسم منهم (١٢ رجلا) فآمنوا وأسلموا فسميت (بيعة العقبة الاولى) ما كانت سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم (٧٠) رجلا وامرأتان بايعوا الرسول عن المنعه وهي بيعة العقبة الثانية. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٣.

(٢) ابن اسحاق، محمد (ت: ١٥١هـ/٧٦٨م)، السيرة النبوية، دار احياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، ج٢، ص٨٤.

(٣) بيضون، إبراهيم، الحجاز والدولة الإسلامية دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري، (بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٨م)، ص٤٤.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٥٠.

(٥) سورة النساء : الآية :٨٩.

(٦) سورة الانفال: الآية :٧٢.

هذا وقد وردت (الهجرة) والحث عليها بالمعنى الذي نقصده، ثلاثة وعشرين موضعاً من القران الكريم[١]، مما يدل على أهميتها في بناء العلاقات الإنسانية.

أما في نهج البلاغة لا نجد تفاصيل عن الهجرة إلا فيما يخص الأشارة الواردة عن هجرة الإمام علي عليه السلام الى المدينة والتحاقه بالرسول صلى الله عليه وآله بعد ما بات في فراشه لا يهام المشركين وان يؤدي عن الرسول صلى الله عليه وآله الودائع التي عنده للناس، اذ يقول عليه السلام "**جَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ**" [٢]، ثم ذكر عليه السلام كيف كان يتبع الرسول صلى الله عليه وآله في كل نهجه وسنته بقوله " **وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ**"[٣].

فبعد أن توافد المسلمون الى المدينة امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى، دخلت الدولة الفتية مرحلة وضع القوانين التي تربط مختلف الفئات التي كانت تقطن المدينة بالجماعة الوافدين اليها، ولاسيما أنها كان يستوطنها اليهود والكفار، فكان كتاب الرسول صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود[٤].

فالمتمعن في محتوى هذا الكتاب يلمس مدى الدقة والشمولية في معالجة القرآن الكريم من توضيح للعلاقات بين المسلمين وعلاقة المسلمين بغيرهم في حالتي السلم والحرب من جهة اخرى ومعالجة إبرام آية معاهدة إلا بعلم منه، والمتصفح للقرآن الكريم سيجد في آياته تأييدا[٥]، ومن المعلوم ان الكتاب قد كتب في بداية السنة الاولى من الهجرة اي قبل نزول معظم آيات التشريع، وليس يعني هذا أن القرآن قد كان ينزل بحسب رغبة النبي صلى الله عليه وآله والتي يعني ان القرآن الكريم

---

(١)سورة البقرة : الآية: ٢١٨؛ سورة آل عمران : الآية: ١٩٥؛ سورة النساء : الآيات: ٨٩،٩٧، ١٠٠؛ سورة الانفال: الآيات: ٧٢ ــ ٧٤ــ ٧٥؛ سورة التوبة : الآيات: ٢٠، ١٠٠، ١١٧؛ سورة النحل: الآيات: ٤١، ١١٠؛ سورة الحج: الآية: ٥٨؛ سورة النور: الآية: ٢٢؛ سورة الأحزاب: الآيات: ٦، ٥٠؛ سورة الحشر: الآيتان: ٨، ٩؛ سورة الممتحنة : الآية: ١٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٨٩.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٠٧.

(٤)كتاب الموادعة مع اليهود: وهو تنظيم العلاقات بين المؤمنين مع الديانات الامم الاخرى وبين المسلمين بعد ان حدد الاطار العام للعلاقات بين اهل مكة (المهاجرين) واهل المدينة (الانصار)، وحددت لهم حقوق وواجبات كمواطنين وميزت بين المسلم الذي فرض عليه القتال وغير المسلم الذي تركت له جزية الاختيار لا وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين " وتصف اخر من الكتاب " وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم وانهم فانه يوتع الا نفسه واهل بيته وان اليهود مثل ما ليهود بني عوف وان يهود بني الحارث ما ليهود بني عوف..."، ينظر: ابن اسحاق، السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٧؛ بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص٤٦.

(٥) ينظر: سورة الانفال: الآية: ١٧.

معجزة الهية، إذ تمكن ﷺ أن يرسم الخطوط العريضة للدولة دون سابق تجربة او ممارسة وعليه يمكننا القول إن الأساس الذي قامت عليه دولة الرسول ﷺ هو الوحي الإلهي وحتى المسجد النبوي الشريف الذي كان معداً لحكومة النبيﷺ لم يكن باختيار أحد فعلى الرغم من العروض الكثيرة التي عرضها أهل المدينة على الرسول ﷺ للسكن في جوارهم والاخذ بزمام ناقته، فقد قال للجميع "**انها مأمورة خلوا سبيلها... فانطلقت حتى بركت في محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد**"(١).

ثم أن الرسول ﷺ بعد كتاب الموادعة سارع في بناء الدولة لإنشاء مجتمع إسلامي متكامل، وجعل المدينة نواة الدولة وإذابة الفوارق وتبديد هاجس الغربة من نفوس المسلمين المهاجرين اليها، بزرع مواطنة جديدة اساسها العقيدة واخوة الإسلام تجعل من الارض والمال شيئاً مشتركاً، فكان ﷺ بين المهاجرين والانصار فقد "**آخَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ اصحابه حين نزلوا الْمَدِينَةَ، لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ وَيُؤْنِسَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ وَيَشُدّ أَزْرَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ**"(٢).

فيقول الإمام عليه السلام: "**وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ**"(٣)، وفي موضع آخر قال عليه السلام "**دَفَنَ [اللهُ] بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، وَأَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ**"(٤).

واستقرت تلك المؤاخاة بشموليتها لكل شيء في ذلك الميراث حتى تمكن الإسلام من النفوس، واطمأن المسلمون في وطنهم الجديد بعد ان ذابت الفوارق، ولم تعد الغربة تشكل صاحباً للتأكيد علي المؤاخاة روحية خالصة لوجه الله تعالى ففي قوله جل جلاله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٥).

حصر سبحانه وتعالى التوارث على القرابة من الأهل بعد أن كانت مؤاخاة "النبي ﷺ بين أصحابه وبينه وبين الإمام علي عليه السلام النصرة والميراث"(٦).

---

(١) الحلبي، علي بن برهان الدين (ت: ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م)، السيرة الحلبية، دار احياء التراث، (بيروت: ج٢، ص٢٤٥.

(٢) السهيلي، عبد الرحمن (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، الروض الانف، دار احياء التراث، (بيروت: د.ت)، ج٢، ص ١٥٠، حتي، فيليب، تاريخ العرب، (بيروت: دار الكشاف للنشر، ١٩٥٣م)، ج١، ص١١٤.

(٣) نهج البلاغة، ص١٣٩.

(٤) نهج البلاغة، ص١٣٩.

(٥) سورة الانفال: الآية: ٧٥.

(٦) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٦٨م)، ج٣، ص ٥١٦.

ظلت المؤاخاة بين المسلمين دون الأرث على حالها لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] فالقصد في الآية على المؤمنين يؤكد بقاء تلك الأخوة واستمراريتها، فإذا كانت الدولة "**هي جمع من الناس مستقرون في أقليم معين الحدود ويستقلون بحكم أنفسهم وفق نظام خاص**"[٢].

فإن ما قام به الرسول ﷺ من خطوات يكاد يطابق ذلك التعريف للدولة، وأن ذلك الكيان الجديد لم يكن اجتهاد الرسول ﷺ، لأن الوحي كان يساير عمله ﷺ خطوة بخطوه كما بينا سابقا.

إن نظم الجهاد وقواعد الحرب وما يترتب على ذلك من غنيمة هو من وحي السماء، فعن الاذن بمحاربة الكفار واعداء الإسلام بعد ان قامت الدولة، يقول سبحانه وتعالى :﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣]، ويقول سبحانه في اهلية القيادة ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٤].

فيقول أمير المؤمنين عليه السلام في الاستعداد للحرب في دولة الوحي "قاهر أعداءه جهادا على دينه. لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لإطفاء نوره"[٥].

ولان سيرته ﷺ لم تبن على التغلب والتسلط، بل كانت لنجاة الإنسان من الضلال " فقاتل بمن أطاعه من عصاه. يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم "[٦].

ان الاستعداد للحرب من أجل إقرار السلم والعدل يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [٧]..

في المقابل وضع التشريع السماوي الجنوح إلى السلم كما جاء في الآية الكريمة ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٨].

فكان الرسول ﷺ قبل البدء بالحرب يتبع الآية الكريمة بالدعوة إلى السلم وترك القتال، فأوضح ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله: "**فبالغ ﷺ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة**" [٩].

---

(١) سورة الحجرات: الآية: ١٠.

(٢) خياط، يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، (بيروت: د.ت)، ص٢٤٠.

(٣) سورة الحج : الآية: ٣٩.

(٤) سورة القصص: الآية: ٥.

(٥) نهج البلاغة، ص١٨٢؛ العريض، فكر الإمام علي عليه السلام، ص٢١٥.

(٦) المصدر نفسه، ص١٨٢.

(٧) سورة الانفال، آية:٦٠.

(٨) سورة الانفال، آية:٦١.

(٩) نهج البلاغة، ص١٠٦.

فمبايعة المؤمنين للرسول ﷺ هي مبايعة الله سبحانه وتعالى وفقاً لقوله الكريم في بيعة الرضوان[١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢].

أما في قضية الأسرى وهي من المشاكل السياسية المتولدة عن الحرب يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[٣].

فالراي الراجح في سبب نزول هذه الآية بعد غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، انه كان كتاباً من الله عز وجل لأصحاب النبي ﷺ أسرى قبل (الاثخان) [٤]، ولهم هذا الأخبار بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾[٥]، والنبي لم يأمر ببقاء الرجال وقت الحرب ولا أراد قط عرض الدنيا، وانما فعله بعض المسلمين في الحرب. فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجهاً بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الدية[٦].

من خلال ذلك تبين لنا أن القرار السياسي الذي اتخذه بعض المسلمين في أسرى بدر كان مخالفاً لحكم الإسلام وقد أشار القران الكريم إلى ذلك. مما يؤكد ارتباط الدين بالدولة، لأن قواعد الحرب وما يترتب عليها من معاهدات بشأن السلم والتسامح والأسرى وغير ذلك من أمور عسكرية واخرى اجتماعية لا يمكن أن تكون ذات فاعلية إلا في مجتمع مستقر تحكمه القوانين[٧].

ثم أن جميع آيات التشريع جاءت لتنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسة بين المسلمين انفسهم وبين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة وبين المسلمين والكفار، فضلاً عن ذلك، فقد وضع القرآن الكريم طريقة التعامل مع من يمتنع عن الدخول في الإسلام من الافراد والجماعات من ساكني شبه الجزيرة العربية، في حين ترك حرية العبادة لأصحاب الديانات السماوية شرط دفع الجزية[٨] ولو

---

(١) بيعة الرضوان: كانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ، قيل الف وثلاثمائة، وقيل اربعمائة، وقيل خمسمائة والأوسط أصح. ينظر: ابن كثير، تفسير بن كثير، ج٥، ص٣٤٣؛ والحديبية هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها... وبينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل... وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٩.

(٢) سورة الفتح: الآية: ١٠.

(٣) سورة الانفال: الآية: ٦٧.

(٤) الاثخان: يعني الاثخان في الشيء أي المبالغة فيه والاكثار منه والمراد والمبالغة في قتل الكفار.

(٥) سورة الانفال : الآية: ١٢.

(٦) القرطبي، ج٨، ص٤٥ــ٤٦.

(٧) بيضون، ابراهيم، الإمام علي عليه السلام في رؤية النهج ورواية التاريخ، ط٢، العتبة العلوية المقدسة، (النجف: ٢٠١٢م)، ص٣٣.

(٨) بيضون، ابراهيم، الإمام علي عليه السلام في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص٣٣.

انعمت النظر في صلح الحديبية[١].

الذي تنازل فيه الرسول ﷺ عن الكثير من صلاحياته الى حد جعل عمر بن الخطاب يقول للرسول ﷺ "ألست برسول الله ! قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين! قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين! قال: بلى قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا! فقال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره، ولن يضيعني"[٢].

فصلح الحديبية بناء على قول الرسول ﷺ قد كان بوحي من الله وكذلك بعث الرسول ﷺ رسله الى ملوك الممالك المجاورة في السنة السادسة للهجرة سبحانه وتعالى عندما انزل سورة الفتح[٣] أثناء مسيرة الرول ﷺ الى مكة لذلك سمي صلح الحديبية بالفتح المبين يدل على أن البعد السياسي في الدولة تابع للبعد الديني[٤] لان المحتوى لأولئك الملوك اما الدخول في دين الإسلام واما الخضوع لإرادة دولة الإسلام امتثالا لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٥].

فلم تكن كتبه تلك إلا بوحي من الله فبناء الدولة في الإسلام بجميع مؤسساتها جزء من الدين لأنها لم تكن خارجة عن نطاق الوحي، وبعد وفاة الرسول ﷺ حدثت تغيرات بسبب المصالح الشخصية والفتوحات الواسعة وانتشار الإسلام، فكان من جراء ذلك التغير محاولة العرب الانحراف بالسياسة الدينية نحو المصالح الدنيوية وقد بدا ذلك الانحراف يأخذ طريقه الى نفوس

---

(١) صلح الحديبية ان في ذي القعدة من السنة الخامسة لهجرة الرسول ﷺ خرج الرسول ودخل معتمراً لاريد حرباء ومعه جماعة من المهاجرين والانصار ومن تبعه من الاعراب ألف وارعمائة فلما سمعت قريش بمسيره اجتمعت على منعه من دخول مكة فلام استقر به المقام في الحديبية أخذ يفاوض قريش فانبثو عن تلك المفاوضات صلح الحديبية شروطاً مناه ان يرجع الرسول ﷺ وهو وأصحابه هذاالعام دون الدخول الى مكة واذا جاء العام التالي خرج اهلها منها ليدخلها المسلمين على ان يقيموا بمكة ثلاثاً دون ان تتعرض لهم قريش وعقدهم وكذلك على من يركن به الدخل في عهد محمد وعقده يدخل فيه ومن يرغب في الدخول في عهد قريش وعقدهم فله ذلك ومن يهذب من عند محمد ﷺ قاصداً قريش لايرد اليه ابداً واما من يهرب من قريش متجهاً الى محمد ﷺ فلزاما ان يرده محمد اليهم. ينظر: ابن اسحاق، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٢١ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٣٥ ؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٤، المعارف، (القاهرة: ١٩٧٩م)، ج٤، ص ١٤٣.

(٣) القران الكريم، سورة الفتح، ٤٨ .

(٤) جددت كتب رسول الله ﷺ الى الملوك وغيرهم بدعوتهم الى الإسلام فان ابو فالجزية وبذلك كان يوحي امراء جيوشه وسراياه وللاطلاع على نماذج من هذه الكتب. ينظر: ابن سلام، ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، الاموال، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦م)، ص٢٠.

(٥) سورة سبا : الآية: ٢٨.

القرشين في الخفاء منذ خلافة عمر بن الخطاب ﷺ[1]، ثم تكشفت معالمه في خلافة عثمان بن عفان ﷺ[2] وعايش الإمام علي عليه السلام في خلافته ظروف ذلك المنعطف الخطير في السياسة الدينية حاول جاهداً اعاد الامور الى الجادة التي رسمها صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله ولكن بعد فوات الاوان بانطلاق المصالح المادية واضمحلال روح الإسلام الحقيقية[3].

فكان على الإمام علي عليه السلام أن يعيد الاقتداء بالسياسة الدينية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله لأنه الممثل الشرعي للنبي الكريم صلى الله عليه وآله في تأكيد تلك السياسة ومحاولة احياؤها لذلك نجده في خطبته الاولى التي اعلن فيها سياسته، يقدر بان حكومته ما هي الا امتداد لحكومة الرسول صلى الله عليه وآله كما تبين لنا من قوله عليه السلام "**أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم**"[4].

فالواضح من تشبيه الإمام عليه السلام عصره بعصر بداية البعثة النبوية انه عازم على اعادة تلك السياسة التي نبذتها قريش لذا فانه عليه السلام يقول للمسلمين في خطبة اخرى "**وانكم علينا العمل كتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقيه ونعش سنته**"[5]. ذلك من خلال التزام الإمام علي عليه السلام بسياسة الرسول صلى الله عليه وآله والطاعة لهذه السياسة التي كانت بمثابة الدروس النظرية والعملية للإمام عليه السلام .

قد جعلت الإمام علي عليه السلام يتعامل مع أحداث عصره بسياسة رسول الله صلى الله عليه وآله الاخلاقية الدينية، وهذا ما سنوضحه في المبحث اللاحق.

***

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ١٤٥؛ العريض، فكر الإمام علي عليه السلام، ص٢١٧؛ بيضون الحجاز والدولة الإسلامية، ص٥٧.

(٢) جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ح٤، ص١٥.

(٣) بيضون، الإمام علي عليه السلام في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص٨٦؛ ينظر: عبد المقصود، عبد الفتاح، الإمام علي بن ابي طالب، ط٢، العتبة العلوية المقدسة قم الشؤون الفكرية، (النجف الاشرف: ٢٠١٢م)، ج١، ص٩٤.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٧.

(٥) الامدي، عبد الواحد محمد التميمي (ت: ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، غرر الحكم ودرر الكلم، دار القارىء، (بيروت: ١٩٨٧م)، ص٥٤٠.

المبحث الثاني

الأثر السياسي للإمام علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله من خلال نهج البلاغة

أشار الامام علي عليه السلام في أحدى خطبه إلى ما نصه في النهج «**ما شككتُ في الحق مُذ رأيتهُ**»[1] فعلى الرغم من الطبيعة العقائدية للإسلام بوصفه أحد الأديان السماوية الكبرى، ليس بمقدور احدٍ تجريده من ابعاده وأساليبه السياسية، إذ ثبت عقائدياً و تاريخياً أن الإسلام نظام شامل وجد لقيادة الحياة الانسانية بمجالاتها كافة، ومنها المجال السياسي، لهذا يعد إسلام الإمام علي عليه السلام أول موقف سياسي اتخذه في حياته، وقد ترجم الإمام علي عليه السلام في النهج بقوله: "**وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ [أَنْ] كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذ فِي الإسلام غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ**"[2].

ويوضح النص أنه كان النموذج الأمثل والأكمل لمؤازرة النبي صلى الله عليه وآله لما توفرت فيه من طاعة وانقياد وقوة لعمل هذا الأمر، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله بأمس الحاجة إلى الناصر والمؤازر فكان أمير المؤمنين عليه السلام يمثل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقها ولسان الدعوة الناطقة بها[3].

فالحقيقة أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر بالدعوة إلى الإسلام ولم يكن بإمكانه مواجهة قريش سياسياً من دون ان يأوي الى ركن شديد يمثل الدعامة الخارجية للدعوة، وهي تشق طريقها وسط ذلك المجتمع الغارق في الجاهلية والعصبية القبلية.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى بني هاشم عشيرة الرسول صلى الله عليه وآله الذي توارث العزة والشرف اباً عن جد بجانبها المعنوي والمادي ولعل أمر الله تعالى بنبيه محمد صلى الله عليه وآله في بداية الدعوة بقوله:

---

(١) نهج البلاغة، ص٥١٣.

(٢) نهج البلاغة، ص١٩٠؛ راجح، أياد كاظم، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مؤلفات القرن الثالث الهجري دراسة في دوره السياسي والفكري، اطروحة دكتوراه، (جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٠م)، ص٥١.

(٣) الصدر، محمد صادق، حياة أمير المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وآله (النجف: العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٥م)، ص١٤٥.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [1]،وكان من مصلحة الإسلام في تلك المرحلة ان يحتضن شيخ بني هاشم طالب بن عبد المطلب لتحمل مسؤولية توفير الحماية الكافية للنبي (ﷺ) [2].

وهنا يبدأ أول سياسي وأمر كلف به الإمام علي عليه السلام على صعيد الدعوة وهي التحضير لعقد اجتماع عاجل لبني هاشم لإبلاغهم بالتوجيه الإلهي، فيذكر الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الإمام علي عليه السلام لما نزلت الآية الكريمة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فقال: " يا علي إن الله أمرني أن انذر عشيرتي الاقربين فخفت بذلك ذرعاً وعرفت اني متى اباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما اكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد انك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة وأملأ لنا وعاءً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أمرت به"[3]، ففعل الإمام علي عليه السلام ما امره الرسول الله صلى الله عليه وآله وكلم رسول الله صلى الله عليه وآله قومه فقال: "يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما قد جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فإيكم يؤازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي ووصي وخليفتي فيكم" قال الإمام علي عليه السلام: "فأحجم القوم جميعاً وقلت وأني لأحدثهم سناً... انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال: ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا، قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع"[4].

بالإضافة إلى ما تمخض عنه هذا النص من إشارة إلى اجتماع الرسول بالإمام عليه السلام، فهو يحمل في طياته إشارة مهمة تتمثل بإعلانه الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام وصياً وخليفةً وزيراً له على أمر الدعوة الإسلامية فقد ذكر اليعقوبي[5] نتائج مهمة تمخضت عن هذا الاجتماع قائلاً: " فقال ابو لهب: خذوا على يدي صاحبكم قبل ان يأخذ على يده غيركم، فأن منعتموه قتلتم وان

---

(١) سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

(٢) الباقوري، احمد حسن، علي امام الائمة، مكتبة مصر، (القاهرة: ١٩٨٥م)، ص١١٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٢؛ ينظر: ابن الاثير، ابو السعادات المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، جامع الاصول من احاديث الرسول، ط٤، دار احياء التراث العربي، (بيروت: ١٩٨٤م)، ج١، ص٦٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩؛ ينظر: البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت: ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)، المحاسن والمساوىء، نهضة مصر، (القاهرة: ١٩٦١م)، ص٥٧، ينظر: القاضي الكوفي، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث الهجري)، مناقب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، تحقيق: محمد باقر المحوري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م)، ج١، ص٥٣١.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩.

تركتموه ذللتم، فقال ابو طالب: يا عروة والله للننصرنه ثم لنعيننه يا ابن أخي اذا أردت ان تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح وأسلم يومئذ جعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، واسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين"(١).

ومنذ تلك اللحظة عمل بنو هاشم بشكل عام، والإمام علي عليه السلام بشكل خاص على وفق مسؤوليتهم في مؤازرة الرسول صلى الله عليه وآله في جميع مراحل دعوته الشريفة، فعندما اجمع قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله طلب الرسول من الإمام علي عليه السلام المبيت في فراشه قائلاً: "نم على فراشي وتسع ببردي هذا الحضرمي الاصفر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم" (٢)، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام في برده ذلك إذا نام... ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وآله... حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش..."؛ فكان مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله أثناء هجرته في مقدمة الدور البطولي الذي أشار إليه بعض المستشرقين منهم المستشرق الفرنسي جان بروا فذكر ما نصه ((ترك النبي صلى الله عليه وآله على فراشه سيوف المؤامرة البطل المضجعي والمؤمن الشاب ابن عمه وربيبه علي بن أبي طالب))(٣)، وذكر المستشرق ارفنج ((... إن هناك روايات كثيرة تدور حول الرسول محمد صلى الله عليه وآله بعد أن ترك مكانه ابن عمه المخلص علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بات في فراشه))(٤)، وغيرها من العديد في النصوص التي ذكرها المستشرقون في هذا الموقف.

فلم يتردد الإمام علي عليه السلام بالقيام بهذا الأمر معرضاً نفسه للقتل في أية لحظة، إذ وضع الإمام عليه السلام موقفه هذا في النهج قائلاً: "**أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ، وَلاَ جَبُنْتُ**"(٥)..، وفي موضع آخر قال عليه السلام: "**وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ الأقْدَامُ**"(٦)، وموقفه عليه السلام صورة مجسدة لشجاعة المحاورة في دفاعه عن الإسلام وشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، اذ يعد اسلامه عليه السلام امراً وثيق الصلة بأفضليته ثم مدى

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩؛ ينظر: البيهقي، ص٥٧؛ نوفل، عبدالرزاق، محمد رسولاً نبياً، (القاهرة: مطبعة العلم العربي، ١٩٦١م)، ص٢١٧.

(٢) ابن اسحاق، السيرة النبوية، ص٢٣٢؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٩٩، القرشي، باقر شريف، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (قم، شريعت ٢٠٠٢م)، ص١٢٧.

(٣) محمد نابليون السماء، ترجمة محمد صالح البراق، (بيروت، دار الانصاف للطبع والترجمة، ١٩٤٧م) ص٥٦.

(٤)ايرفنج، واشنطن، محمد وخلفاؤه، ترجمة هاني يحيى، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م)، ص١١٧.

(٥) نهج البلاغة، ص٣٩٦.

(٦) نهج البلاغة، ص٣٩٨.

استحقاقه لخلافة الرسول ﷺ، وهو ما أصبح محوراً أساسياً من المحاور التي دارت حولها النزاعات السياسية عبر العصور المختلفة.

ثم تأتي السيدة خديجة (ع) بعد أمير المؤمنين عليه السلام لتكون خير ملب لنداء الحق وفي طليعة من آمن بدعوته ﷺ وإلى ذلك يشير الإمام عليه السلام "**وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإسلام غَيْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ**"(١).

والأمر الجدير بالالتفات إليه انه على الرغم من مكانة السيدة خديجة (ع) من رسول الله ﷺ ومن دعوته لكونها اول من آمن به ﷺ بعد أمير المؤمنين عليه السلام الا انه يقول في النص " أَرَى نُورَ الْوَحْيِ " آي أنه وحده كان قد اختص بهذا المقام هذا من جانب، من جانب اخر يصور لنا أمير المؤمنين عليه السلام المحنة التي واجهت رسول الله ﷺ وبني هاشم، اذ كان ﷺ معرضاً للقتل بعد اجتماع القرشين على ذلك(٢)، فيقول الإمام علي عليه السلام "**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلِ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ**"(٣).

ومنذ تلك اللحظة تحمل بنو هاشم بشكل عام والإمام علي عليه السلام بشكل خاص مسؤوليتهم في مؤازرة النبي في كل مراحل دعوته الشريفة، فعندما اجمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ إضافة إلى موقفه عليه السلام الذي فدى النبي ﷺ بنفسه بمبيته في فراشه أثناء هجرة الرسول ﷺ معرضاً نفسه للقتل في اية لحظة وما عدا هذا الموقف من المواقف طيلة الحياة السياسية لدولة الوحي، محبذا هذه المواقف بقوله عليه السلام "أما والله إن كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما ضعفت ولا جبنت"، وله قول اخر عليه السلام "ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال، وتتأخر فيها الأقدام "(٤) وما مواقفه إلا صوره مجسدة بشجاعته النادرة في دفاعه عن الإسلام

---

(١) نهج البلاغة، ص٣١١؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي، علي إمام البررة، شرح: محمد مهدي الخرسان، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣م)، ص٨٧.

(٢) راجح، الإمام علي عليه السلام في مؤلفات القرن الثالث الهجري، ص٥٦.

(٣) راجح، الامام علي عليه السلام، ص٣٩٦؛ كارليل، توماس، الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، (بغداد: دار الكتاب العربي، د. ت)، ج٢، ص٣٢٧.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٩٨.

وشخص النبي الاعظم ﷺ.

إضافة إلى ذلك دور الإمام علي عليه السلام في النشاط السياسي والعسكري في غزوات الرسول ﷺ هذا النشاط الذي يتميز عن عصر الرسالة، فمن أهم حوادث العهد المكي التاريخية فتتضح خصوصية الإمام عليه السلام واهمية دوره في هذه المرحلة من خلال جهاده مع الرسول ﷺ في كل نشاط عسكري، وكان له أثر كبير في حمل اللواء والراية[١]، إذ يكتسب حامل اللواء أهمية من اهمية اللواء ذاته في المعارك، فقبله الإسلام كان منصب اللواء من جملة مناصب قريش في حكومة مكة مما يدل على أهميته وكان القريشون يتفقون على اختيار حامل اللواء قبل المعركة أو يسلمونه الى أحد أصحابه هذا المنصب من بني امية[٢].

لذا نجد أن مهمة حمل اللواء أو الراية في الغزوات او السرايا قد أنيطت بالإمام علي عليه السلام مرات كثيرة، وهو اكثر الصحابة الذين ذكره المؤرخون ممن اضطلعوا بهذه المهمة، فابن سعد يجزم بذلك قائلاً: "ان علياً بن ابي طالب كان لواء رسول الله ﷺ يوم بدر وفي كل مشهد"[٣]، مما يدل على مدى ثقة الرسول ﷺ به وبقدراته القتالية والتعبوية على الرغم من حداثة سنه وقتذاك.

وقد كثرت الأخبار التي تذكر شجاعة الإمام عليه السلام وقيل فيها ما لا يحصى، فهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتعب من كتيبة ولا بارز أحداً الا قتله، ولا ضرب قط فاحتاجت الأولى الى ثانية، ويذكر ابن ابي الحديد: "كانت ضربات علي وتراً"[٤]، ولكننا نقتصر على ما ذكره الإمام عليه السلام فقط في نهج البلاغة، فقد أجمل الإمام عليه السلام القول بخصوص ما يمتلك من الشجاعة والاقدام بقوله: "**أَنَا وَضَعْتُ [فِي الصِّغَرِ] بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ النَوَاجِمُ من القرون: الظاهرة الرفيعة، يريد بها أشراف القبائل رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**"[٥].

---

(١) اللواء و الراية شيء واحد ولعله اللواء اصغر من الراية او ان الراية تسمى لواء اذا عقدت للحرب فقط، ينظر: الملاح، هاشم؟ ؟؟؟، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، (بيروت: دار احياء التراث، ٢٠١٣م) ص٤٩، المياحي، شكري ناصر، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دراسة في فكرة العسكري، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة البصرة، كلية الآداب ٢٠٠٥م)، ص٣٩

(٢) ابن عبد ربه، ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت: ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٨٢م)، ج٣، ص٣٢٤؛ ينظر: زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الحياة، (بيروت: د.ت)، ج١، ص١٨٠.

(٣) ابن سعد، محمد (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دار بيروت، (بيروت: ١٩٨٠م)، ج٢، ص٨٨.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٠.

(٥) نهج البلاغة، ص٥٠٣.

اضافة الى ذلك كان للإمام علي عليه السلام مهمات استثنائية كان الرسول صلى الله عليه وآله قد اختاره للنهوض بها صعوبة النهوض بها من لدن غيره من لصحابة وهذا يظهر من نصوص بعض المؤرخين في رواياتهم لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله ومن أمثلة ذلك اختيار الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام لرد غنائم أخذها زيد بن حارثة من قبيلة جزام"[١]، في مسيرة اليهم سنة (٦هـ/ ٦٢٧م) "[٢]، وذلك بعد ان شكى بن خليفة الكلبي الى رسول الله صلى الله عليه وآله ان جماعة من بني جذام قد قطعوا عليه الطريق وسلبوا تجارته التي كان قائداً بها من بلاد فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة فخرج الى بني جذام فهاجمهم وغنم اموالهم وسبي نساءهم، وصادف ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد كتب لرفاعة بن زيد احد بني جذام الذي وفد عليه ليعلن اسلامه لمن دخل الإسلام من قومه وامان لمدة شهرين ممن ادبر منهم ولما علم رفاعة بما حصل بقومه هرع الى رسول الله صلى الله عليه وآله في جماعة منهم فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب العهد الذي كان قد كتبه اليهم، وشكوا اليه ما لقوه من سرية زيد، عند ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام قائلاً: "اركب معهم يا علي" فقال علي عليه السلام يا رسول الله ان زيداً لن يطيعني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله خذ سيفي فأعطاه سيفه، فقال علي عليه السلام ليس لي راحلة يا رسول اركبها " فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله على حمل لثعلبه بن عمرو، فخرج الإمام علي عليه السلام ومعه القوم حتى لاقى الجيش في بعض الطريق، فأعاد ما في ايديهم من الاموال والنساء الى اهلها "[٣].

ومن اهم ما يثبت استثنائية المهمات التي كلف بها الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله أبلغ من السماء ان حاطب بن ابي بلتعة"[٤]، قد كتب الى مشركي مكة كتاباً يبلغهم فيه بان الرسول صلى الله عليه وآله قد أعد العدة لفتح مكة وذلك سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) فكان حاطب دفع الكتاب الى امرأة وامرها بتسليمه الى قريش، فيذكر ابن اسحاق " انها جعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قدرونها، ثم خرجت به "[٥]، فبعث رسول الله الإمام علياً والزبير بن العوام وقال لهما " ادركا المرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد اجمعنا له في امرهم فخذها حتى ادركاها...

---

(١) احدى قبائل اليمن التي نزلت بلاد الشام واصلها من حضرموت، ينظر: السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الانساب، تقديم: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، (بيروت: ١٩٨٨م)، ج٢، ص٣٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٨٨.

(٣) ابن اسحاق، سيرة النبوية، ص٢٣٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٣٩٤.

(٤) صاحبة بن ابي بلتعه اللخمي صحابي من قبيلة لخم الكهرلائية القحطانية دخل في قريش بحلفه مع بني اسد بن عبد العزى وبق انه حالف الزبير بن عوام وهو مولى عبيد الله بن محمد الاسدي القرشي توفي سنة (٣٠هـ/ ٦٥٠م)، ينظر: ابن اسحاق، السيرة النبوية، ص٢٣٤.

(٥) ابن اسحاق، السيرة النبوية، ص٢٣٤.

فاستنزلها فالتمت في رحلها فلم يجد شيئاً فقال لها علي بن ابي طالب اني احلف ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا وتعرض الي هذا الكتاب او لنكثفنك، فلما رأت الجد منه قالت اعرض عني فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته اليه فأتى به الى رسول الله ﷺ[1]، فيذكر اليعقوبي رد فعل الرسول ﷺ على ما قام به الإمام علي عليه السلام: " لما فعلت احب الي من حمر النعم، فداك ابواي"[2].

يتميز الإمام علي عليه السلام بشجاعته وبسالته أيضاً في غزوات الرسول ﷺ بأبدائه الشجاعة الفائقة وبسالة نادرة تجلت بوضوح من خلال مواقفه في تلك المعارك خصوصاً وفي الحياة السياسية عموماً كانت الاساس الذي قامت عليه قائمة أركان الإسلام بوصفها اولى المواجهات بين الجماعة المؤمنة وبين أعدائهم الوثنيين آنذاك، الامر الذي سجله الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة من خلال قوله: "**وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذلِكَ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْراً عَلى مَضَضِ الْاَلَمِ، وَجِدّاً عَلى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْاخَرُ مِنْ عَدُوِّنا يَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ المَنُونِ**"[3].

وتظهر شجاعة الإمام علي عليه السلام وبسالته في غزوات وسرايا الرسول ﷺ من كثرة من قتل من المشركين في تلك المعارك ولا سيما غزوة بدر، حتى قال رجل يوم بدر: "قد علمت ان ملك الموت في الجانب الذي فيه علي"[4]، وعدد القتلى التي ذكرها المؤرخون بالاسم عليه السلام يؤكد الأثر الحاسم للإمام علي عليه السلام في تلك المعارك، وقد أرخ الإمام علي عليه السلام لذلك بنفسه في نهج البلاغة من خلال رده على كتاب معاوية قائلاً: "**فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ**"[5]، إذ كانت صولاته عليه السلام اثرها في حسم المعارك في دولة الوحي.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٠، الخوارزمي، الموفق بن أحمد (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي (قم، مؤسسة النشر، د. ت)، ج٣، ص٩٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٠، المياحي، شكري، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دراسة في فكرة العسكري، ص٤٠.

(٣) نهج البلاغة، ص٩٢-٩٣، الدمشقي، محمد بن أحمد بن ناصر (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، (بيروت دار إحياء التراث، ٢٠١٥م)، ج٤، ص١١٢.

(٤) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل (ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: محمد الطباع، دار القلم، (بيروت: ١٩٩٩م)، ج٢، ص١٣٢.

(٥) نهج البلاغة، ص٣٩٨.

وكان للإمام علي عليه السلام وأثره الكبير في حسم المعارك، فلم تكن صولاته وجولاته في الغزوات أحداثاً عادية يتساوى تأثيرها في نتائج المعركة مع صولات غيره من الصحابة وجولاتهم، وان أبلى هؤلاء الصحابة بدورهم بلاءً حسناً في تلك المعارك يستحق ان يوصف بلا تردد بالقتال الحاسم اوضحه الإمام عليه السلام في النهج بقوله: "**فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصر**"[1]، فكان لهزيمة عدوه تأثيراً معنوياً على جيش العدو فكانوا يصابون بإحباط معنوي بسبب قتل قاداتهم وحاملي راياتهم على يده عليه السلام مما يؤدي الى هزيمة الجيش بأكمله وهذا ما يدعوا الى الاشادة بدور الإمام عليه السلام في المعارك من قبل مؤرخي المصادر التاريخية التي تذكر "ودنا القوم بعضهم من بعض... فصاح طلحة بن ابي طلحة صاحب اللواء من يبارز فبرز له علي بن ابي طالب (رضى الله عنه) فالتقيا بين الصفين فيرز علي فضربه على رأسه حتى فلق هامته فوقع وهو كبش الكتيبة فسر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك واظهر التكبير وكبر المسلمون وشدوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نقضت صفوفهم"[2].

هذا ودوره عليه السلام في معركة أحد التي حولها من هزيمة الى نصر فيذكر هذا النص: "لما اشتد القتال يوم احد جلس رسول الله صلى الله عليه وآله تحت راية الأنصار وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله الى علي بن أبي طالب عليه السلام ان اقدم الراية فتقدم علي فقال: من ابو الفعم، ويقال ابو القضم فيما قال ابن اسحاق: فناداه أبو سعد بن أبي طلحة لواء المشركين، ان هل لك يا ابا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم، فبرز بين الصفين، فاختلفا ضربيتين، فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه فقال له اصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: انه استقبلني بعورته فعطفتني الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله"[3]، وان الإمام عليه السلام قد قتل في المعركة نفسها أرطأة بن شرحبيل بعد ان حمل اللواء صؤاب مولى ابي طلحة قتله سعد بن ابي وقاص وقيل الإمام علي عليه السلام، كما قتل اهل السرايات في انتصار المسلمين على المشركين في بداية المعركة واقترابهم من النصر الحاسم لولا ان الرماة الذين جعلهم الرسول صلى الله عليه وآله على الجبل لحماية مؤخرة الجيش قد خالفوا اوامره صلى الله عليه وآله وتركوا مواقعهم طمعاً بالغنائم فتسببوا في هزيمة المسلمين وفي هذا الصدد ذكر ابن سعد[4] قائلاً:

---

(١) نهج البلاغة، ص٩٣، المياحي، الإمام علي بن أبي طالب دراسة في فكرة العسكرية، ص٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ج٢، ص٤٠؛ ينظر: ابن اسحاق، السيرة، ص٢٣٥.

(٣) ابن اسحاق، السيرة، ص٢٣٦.

(٤) الطبقات الكبرى، ج٢، ص٤١، الشريف الرضي، خصائص الأئمة عليهم السلام، تحقيق: محمد الأميني، (مشهد، مجمع البحوث، د. ت)، ص٤٧.

"فلما قتل أصحاب اللواء انكشفت المشركون منهزمين لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى اجهضوهم عن العسكر"، كان يوم حنين يوماً عظيم الخطب على المسلمين هزم فيه المسلمون لكن رسول الله ﷺ استنجد بالأنصار فأسرعوا اليه ففتح الله على نبيه، ومضى الإمام عليه السلام إلى صاحب الراية هوزان[1]، فقتله فكانت هزيمتهم[2].

فمن المعلوم أن لوجود القائد السياسي او الميداني، او البطل الذي يرهب جانبه في ساحة القتال اثره البارز في معنويات الجيش بوجود قائده او بطله ففي الوقت الذي ترتفع معنويات الجيش بوجود قائده او بطله وسط الميدان تنخفض معنويات المعسكر المقابل خشية منه او من اثره في مجريات المعركة، اما اذا حدث ان قتل القائد أو البطل في المعركة حتماً ان لذلك مردوداً معنوياً عظيماً على قتل قادة قريش في المعارك والسرايا من الامور المهمة لأنه عجل بحسم تلك المعارك لصالح المسلمين[3].

هذا فضلاً عن صبره مع الرسول ﷺ في بعض المواقف الحرجة التي مر بها في معاركه مع المشركين ففي معركة أحد تعرض المسلمون الى هزه عنيفة حينما انقلب نصرهم في ساحة القتال الى هزيمة كبرى حتى نال المشركون من النبي ﷺ بأن جرحوه في وجهه ورأسه[4].

إلا إن الإمام عليه السلام ممن دافع عن رسول الله ﷺ وثبت في القتال وهذا بشهادة معظم المصادر التاريخية، فيذكر ابن سعد "وكان علي ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم احد انهزم الناس"[5].

وروى الطبري[6]: " لما قتل علي بن ابي طالب عليه السلام أصحاب الرايات بعد رسول الله

---

(١) ان اسمه ابو جرول وكان يرتجز قائلاً: "ابا ابو جرول لا براح حتى تبيح القوم او نباح"، ينظر: الشيخ المفيد، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الارشاد في معرفة صحيح الله على العباد، تحقيق: مؤسسة ال بيت لتحقيق التراث، دار المفيد، (بيروت: د.ت)، ج١، ص١٤٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤١؛ ينظر: البلاذري، محمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م)، انساب الاشراف، مؤسسة الاعلمي، (بيروت: ١٩٧٤م)، ص٧٩.

(٣) المياحي، الإمام علي عليه السلام دراسة في فكرة العسكرية، ص٤٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥٩٧؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط١٠، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨٤م)، ج١، ص٧١.

(٥) الطبقات الكبرى، ج٣ ،ص ٢٣.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٩٧؛ ينظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب، ج١، ص٧٣.

جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم، ففرق جماعتهم وقتل عمرو بن عبد الله الجحمي قال: ثم ابعد رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: احمل عليهم فحمل عليهم، ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بني لؤي فقال جبريل: يا رسول الله ان هذه للمواساة فقال رسول الله ﷺ انه مني وانا منه، فقال جبريل وانا منكما، قال فسمعوا صوتاً: لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي".

وفي معركة الخندق كان ثبات الإمام عليه السلام إذ ظهر من اقدامه على قتل عمرو بن ود العامري على الرغم من هول الموقف الذي مر به المسلمون يوم ذاك، إذ كانوا في حالة من الخوف والوجل لم يسبق لها مثيل حتى قال الله تعالى :﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[1].

يتضح أكثر مدى ثبات الإمام علي عليه السلام وإقدامه في ذلك الموقف الرهيب من خلال حواره مع عمرو بن عبد ود الذي نقله ابن لإسحاق[2] قال: "فلما وقف (عمرو) هو وخيله قال من يبارز؟ فبرز له علي بن ابي طالب، فقال له: عمرو إنك قد كنت عاهدت الله الا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذتها منه، قال له: اجل، قال له علي: فإني أدعوك الى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فأني ادعوكم الى رسوله والى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك قال: فأني ادعوكم الى النزال، فقال له: لم يا ابن اخي؟ فو الله ما أحب ان اقتلك، قال له علي: لكني والله احب أن اقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقده وضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجادلا، فقتله علي (رضى الله عنه) وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة".

وفي غزوة حنين كان موقف المسلمين القتالي قد تعرض للاهتزاز لكن بعضهم ظل ثابتاً مع الرسول ﷺ وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام حيث اوضح ذلك في نهج البلاغة بقوله: "كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ"[3].

---

(١) سورة الاحزاب: الآيات: ١٠-١٣.

(٢) ابن اسحاق، السيرة النبوية، ص٢٤؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز أبو عبيد (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) معجم ما استعجم، ط٣، عالم الكتاب، (بيروت: ١٩٨٣م)، ج٢، ص١٤٤.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٩٨.

يتضح مما تقدم الأثر البارز والعظيم الذي قام به الإمام علي عليه السلام لمؤازرة ومساندة الرسول صلى الله عليه وآله وحماية الإسلام، لذلك فقد حظي بمنزلة لدى رسوله صلى الله عليه وآله لما له من خصائص عن غيره من الصحابة مما جعل الرسول صلى الله عليه وآله لديه ابعاد سياسية مستقبلية في بعض احاديثه واجراءته تجاه الإمام علي عليه السلام لأهميته وإخلاصه ومواقفه في الحياة السياسية في دولة الوحي، وقد أوضح الإمام علي عليه السلام اجراءات الرسول صلى الله عليه وآله اتجاهه التي كان لها مقاصدها السياسية، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

***

المبحث الثالث

خليفة الرسول في ضوء نصوص نهج البلاغة

أولاً :- التصريح بخلافة الإمام علي عليه السلام

يعرف ابو البقاء الكنوي الخلافة بأنها: " النيابة عن الغير أما لغيبة المنسوب عنه، واما لموته وأما لعجزه"[١]، ويكون الاستخلاف للجدارة والقدرة ولتشريف المستخلف، وعلى هذا استخلف الله عباده في الأرض "[٢].

فالخليفة بهذا المعنى هو الذي يقوم مقام من هو قبله في تدبير الأمور المناطة بالمستخلف ومنه تؤكد المعنى السياسي بتعريف الخلافة بالإمامة الكبرى"[٣]، والخليفة هو " السلطان الاعظم"[٤]، او الحاكم كما ورد في قوله تعالى: ﴿يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[٥]، أي ملكاً لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من الانبياء والائمة الصالحين[٦].

أما التصريح بخلافة الإمام علي عليه السلام، فقد وردت العديد من النصوص المهمة بهذا الشأن، حيث جاءت أولى الاشارات لمفهوم الخلافة في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله "يوم الدار"، لما نزلت الآية الكريمة :﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [٧]، وقد سمع بنو هاشم وآل عبد المطلب نداء السماء، وابلغه لهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله: فإيكم يؤازرني إلى هذا الامر على أن يكون اخي ووصي وخليفتي"[٨].

وقد سكت الجميع الا الإمام علي عليه السلام فقال له صلى الله عليه وآله: "انت أخي ووزيري ووصي ووراثي وخليفتي من بعدي"[٩]، ويذكر ابو الفدا[١٠] عن سلمان الفارسي: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انت

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ص١٩٠.

(٢) ايوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م)، الكليات، ط٢، وزارة الثقافة، (دمشق: ١٩٨٢م)، ج٢، ص٢٩٩.

(٣) الكفوي، الكليات، ج٢، ص٢٩٩.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، س٢٣٩.

(٥) سورة ص: الآية: ٢٦.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٨٨.

(٧) سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٣٠.

(٩) نهج البلاغة، ص١٩٠، الأصفهاني، أبو اسحاق، إبراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ/) الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين، (قم: شريعت، د.ت)، ج١، ص٣٥٤.

(١٠)عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر،(القاهرة، المطبعة المصرية د.ت)، ج١، ص١٦.

وصيي وخليفتي وخير من اترك بعدي وينجز موعدي ويقضى ديني علي بن أبي طالب"، وفي حديث اخر: "لكل نبي وصي ووراث وان علياً وصيي ووراثي"[١].

وقد أكدت الأحاديث الشريفة على لفظ الوصي فأصبح من القاب الإمام علي عليه السلام وقد روي اليعقوبي[٢]: "ان عطاء قد سئل جابر بن عبد الله الانصاري عن منزلة الإمام علي عليه السلام بقوله: "ما كانت منزلة علي بن ابي طالب (رضوان الله عليه) فيكم؟ فأجابه: منزلة الوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا شور واستؤمر"، وفي رواية أخرى لليعقوبي"[٣] أن مالك الاشتر خاطب الناس بالقول: هذا وصي الاوصياء ووارث علم النبي العظيم البلاء الحسنى العناء الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بجنة الرضوان من عملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله إلا وافد والأوائل".

فقد ذكر الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله بخلافته ووصاية في قوله: "**أنا خليفة رسول الله ووزيره ووراثة انا اخو رسول الله وصيه وحبيبه انا صفي رسول الله وصاحبه انا ابن عم رسول الله وزوج ابنته وأبو ولده أنا سيد الوصيين ووصي سيد النبين أنا الحجة العظمى والآية الكبرى والمثل الاعلى وباب النبي المصطفى، أنا العروة الوثقى وكلمة التقوى وامين الله تعالى ذكره على أهل الدين**"[٤].

وهذا النص يشير إلى قوة الروابط بين الإمام عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله، تلك التي تؤدي الى استمرارية الرسالة الإسلامية وأهدافها العظيمة، فيقول السيد[٥]: "فعلي هو صورة تكاد تكون طبق الاصل عن محمد ولو لا اختصاص محمد بالرسالة واضفاء الاله له لحملها وما يتطلب هذا الاختصاص وما تحتاجه هذه المهمة من صفات، لكان علي شبيهاً بمحمد من صفاته".

وتعطي صفة (الأخوة) مع (الوصية) في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة طبيعة العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام منها "علي بن أبي طالب سيد الوصيين وأمير المؤمنين وأخو رسول رب العالمين وخليفته على الناس أجمعين"[٦]، وعن عبد الله بن عباس في حديث النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الحسكاني، الحاكم عبيد الله بن عبد الله النيسابوري، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بيروت: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٧٤م)، ج١، ص٧٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٩.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٤٥.

(٥) علي بن ابي طالب دراسة عن حياته، مطبعة الجهاد، (بيروت: د.ت)، ص١٢٩.

(٦) المفيد، الارشاد، ص٢٨.

لأم سلمة (رضوان الله عليها): "اسمعي واشهدي هذا علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين"[١].

واشارت المصادر التاريخية أن للأنبياء عليهم السلام اوصياء ولما كان النبي صلى الله عليه وآله خاتم النبين فإن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام هو خاتم الوصيين وسيدهم مؤكداً ذلك في النهج: "انا بقية من بقايا"[٢]، أبقى النبي صلى الله عليه وآله يوم خرج الى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة الإمام علي عليه السلام في المدينة نائباً عنه وقال له: "أنا لا بد أن اقيم او تقيم"[٣]، فاستجاب الإمام علي عليه السلام لطلب الرسول صلى الله عليه وآله وقد أورد الطبري حديث آخر[٤] "اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي".

وقد أراد الرسول صلى الله عليه وآله تعميق الأحاديث الخلافة والوصاية في نفوس المسلمين ونقلها من دور النظرية الى دور الواقعية وذلك في السنة العاشرة للهجرة وعند حجة الوداع، اذ وقف في (غدير خم) وهو يقول: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه"[٥]، وفي هذا الحديث تجسيد لولاية وكشف رسول الله صلى الله عليه وآله به عن ممائلته له في فرض الطاعة والأمر والنهي والتدبير والسياسية والرئاسة[٦].

إذ يقول جلال السيد[٧]: " لولينا علياً الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فذاك الجوهر الصالح الحاكم علي، وعلي لم يختلف عن ذلك الجوهر ولا الجوهر اختلف عن تكوين علي"، ولكن الذي حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لم يكن وفق ما جاء في (غدير خم) ووفق الأحاديث الشريفة التي رشحت الإمام علي عليه السلام للخلافة وما نزل في ذلك الموقف من القرآن لكريم كقوله تعالى :﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾[٨].

وأصبح التبليغ ملزماً على جميع المسلمين حتى أن عمر بن الخطاب في غدير خم قال

---

(١) المفيد، الإرشاد، ص٢٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٣١٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٤.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٠٤، السيوطي، جلال الدين ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء تحقيق: محمد محي الدين (بيروت: الأعلمي، د. ت) ج٢، ص٧٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٤١؛ الحكيم، حسن عيسى، الإمام علي بن أبي طالب روح الإسلام الخالد وميزان الحكمة، (قم، مطبعة شريعت، ٢٠١٢م)، ص١١٩.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٣٦٨.

(٧) جلال السيد، علي بن ابي طالب، ص١٦٩.

(٨) سورة المائدة: الآية: ٦٧.

للإمام علي عليه السلام: " بخاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة "[1]، وقد اكتملت البيعة بنزول الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[2]، ووضح الإمام علي عليه السلام ذلك موضحاً منزلتهم ووراثتهم للرسول صلى الله عليه وآله في النهج بقوله: «**زرعوا الفجور وسقوه الغرور وجحدوا الثبور لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابداءهم اساس الدين وعماد اليقين إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله**»[3].

واصبح هذا الكمال (كمال الدين) في هذه المرحلة من الرسالة الإسلامية يقتضي تعيين من يستلم الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لكن حصل النقيض من ذلك فمخالفة لأمر الله ورسوله من خلال تولية أبي بكر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله بحجة أنه أوكل اليه إمامة الصلاة في المسلمين، مما جعل الإمام علي عليه السلام محتجاً ومناشداً قائلاً: "الله الله به معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته الى دوركم وقعر بيوتكم ولا ترفعوا اهله عن مقامه في الناس وحقه فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لان اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم أما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية المدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً"[4].

وجاء في النهج العديد من هذه النصوص التي سوف نتطرق إليها تفصيلاً في الفصل الثاني، لكن بعد ان أوردنا النصوص الخاصة بالوصية والخلافة، هناك نصوص خاصة بمفهوم الإمامة التي لا تقل أهمية عن (التصريح بالخلافة).

---

(١) المظفر، محمد حسن، دلائل الصدق، مطبعة ابو ذر، (طهران: د.ت)، ج٢، ص٤٧.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٣.

(٣) نهج البلاغة، ص.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص١١، الحكيم، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام روح الإسلام الخالدة، ص١٢٠.

مفهوم الإمامة:

الإمامة لغة: تجمع المعاجم اللغوية [١]، على أن مفهوم كلمة امام هو القدوة أو المثال أو النموذج الذي يحتذى، كما يفهم من ذلك.

ان كلمة إمام لا يقتصر اطلاقها على الإنسان فقط، اذ قد يكون الكتاب إماما، كما في قوله تعالى ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا﴾[٢]، "ويقال ان الخيط الذي يجمع الخرز إمام" [٣]، والإمام "المثال وما يتعلمه الغلام في الكتب وخيط البناء وخشية البناء الطريق"[٤].

وعلى هذا فإن تحديد معنى الكلمة ومعرفة نوعها وطبيعتها يمكن استخلاصة من السياق الذي ترد فيه سواء اقصد من ذلك المدح كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٥]، ام ذم كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[٦].

ووردت أيضاً كما في قوله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٧].

ولما كانت معاني مفردة (إمام) تنحصر في المثال والقيادة سواء كانت معنوية او مادية فقد تولد عن ذلك المعنيان، الاصطلاحي والسياسي، لكون السياق التعبيري منهما ذلك.

الإمامة اصطلاحا: ــ

لا يمكن تحديد المدة الإسلامية لمصطلح إمام، الا إننا نعتقد أن ذلك كان في فترة مبكرة جداً لارتباط المعنى ارتباطاً وثيقاً بالصلاة لكون الرسول ﷺ يأمر المساكين بالصلاة[٨].

وللأهمية التي يوليها المسلمون للمعنى الاصطلاحي لكلمة إمام فقد اختلف السنة والشيعة في أمر إمامة المسلمين في الصلاة أثناء مرض الرسول ﷺ الذي توفي فيه في السنة الحادية

---

(١) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج ١، ص١٥١.
(٢) سورة هود : الآية: :١٧.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦١.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٧.
(٥) سورة الانبياء: الآية: ٧٣.
(٦) سورة القصص: الآية: ٤١.
(٧) سورة يس : الآية: ١٢.
(٨) يذكر الطبري رواية صلاة الرسول ﷺ بالسيدة خديجة والإمام علي عليه السلام عند البيت العتيق بمشهد من العباس ابن عبد المطلب وهي عما نعتقد اول امامة للصلاة في الإسلام. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٣١١.

عشر للهجرة (١١هـ/ ٦٣٢م) [١].

أهل السنة أن الرسول ﷺ قد استناب أبا بكر عنه في الصلاة بالناس بينما يرى الشيعة ان صلاة ابي بكر بالناس اثناء مرض الرسول ﷺ بأمر من ابنته عائشة، حتى تمكن له من الخلافة فيما بعد، وهذا الاختلاف يدل على انبثاق المعنى السياسي الذي سيبرز بعد وفاة الرسولﷺ[٢].

وللاحتراز من الخلط بين المعنى الاصطلاحي وبين المعنى السياسي وجب تقيد أحدهما فوجدوا أنه من الأحرى تفسير المصطلح الديني بإضافته فقد " قال قوم ان اسم الإمامة قد تقع على الفقيه والعالم وعلى متولي الصلاة بأهل... قلنا نعم لا يقع على هؤلاء الاب اضافته لا بالاطلاق، فيقال: فلان إمام الدين وإمام بني، فلا يطلق لأحدهم اسم الإمامة بلا خلاف" [٣]، وعلى هذا الاساس اكتسبت لفظة امام (مطلقة معناها السياسي).

اما المفهوم السياسي للإمامة اذا ما أطلقنا كلمة (امام) على شخص ما دون تقيدها فإنها بالمفهوم الإسلامي تعني القائد الديني والسياسي للأمة لان الإمامة "**مَوْضُوعَةٌ لِخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا**" [٤].

ونطلق على متقلدها لقب (إمام) لأهليته واعتباره قدوة في افعاله واقواله، وقد اعتبر انعقادها في صدر الإسلام قياساً على امامة الصلاة، اعتباراً بقول كل من عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة "لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ؛ فإنك أفضل

---

(١) يذكر الزهري، حَدَّثَنِي حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنّ عَائِشَةَ قَالَتْ: " **لَمّا اُسْتُعِزّ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ بِالنّاسِ** ". ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ٣٠١.وفي رواية اخرى عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ زَمَعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، قَالَ: " **لَمّا اُسْتُعِزّ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَالَ دَعَاهُ بَلَالٌ إلَى الصّلَاةِ فَقَالَ مُرُوا مَنْ يُصَلّي بِالنّاسِ** ". ابن اسحاق، السيرة النبوية، ٤/ ٣٠٣. فممن الملاحظ ان الرواية الاولى تنص على تكليف ابي بكر بالصلاة بين لم تعين الرواية الثانية فرداً بعينه، يورد الشيخ المفيد رواية على " **ان ذلك القول كان من عائشة للبلال: قل لابي بكر يصلي بالناس، فلما افاقر ﷺ وقد سمع مقالتها قال: انكن حويحبات يوسف، ثم خرج ﷺ متوكئا على علي عليه السلام والفضل بن العباس... وتقدم فصلى بالناس** " ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ص٩٧.على اننا نعتقد ان صلاة ابي بكر بالناس لم تكن السبب المباشر لمبايعته في سقيفة بني ساعده ولكن احتاجه بالحديث (الائمة من قريش) هو ما احدث البلبلة في نفوس الانصار. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢١٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٢٠.

(٣) ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، الفصل في الملل والنحل، وضح حواشيه :احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٧١م)، ج٤، ص٩٠.

(٤) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الاحكام السلطانية، دار الفكر، (القاهرة: ١٩٨٣م)، ص٥.

المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة ؛ والصلاة أفضل دين المسلمين... ابسط يدك نبايعك"[١].

إذ صارت امامة ابي بكر للمسلمين في الصلاة من اهم المزايا التي اهلته لإمامتهم في تدبير شؤون دنياهم، ولكن هذا لا يعني ان المضمون السياسي لكلمة امام وليد اجتماع.

بدلالة ورودها بمضمونها السياسي في القرآن الكريم باتفاق المفسرين على ان قوله تعالى ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [٢] من قوله ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [٣].

أي نجعلهم "ولاة وملوكاً"[٤]، كما ذكر المعنى السياسي للإمامة عن النبي ﷺ في قوله "الائمة من قريش"[٥].

وقد رجح احتجاج ابي بكر بنص الحديث السابق، على مطالبة الانصار بالخلافة في سقيفة بني ساعده[٦].

فالإمامة بالمعنى السياسي يمكن اعتبارها من اقدم التعريفات لولي الامر في الدولة الإسلامية، كما انها الانسب من حيث تداخل المهام الدينية بالمهام الدنيوية في اختصاصاته كقائد وقدوة وقيم على الدين، لذلك فمن المرجح ان اختيار الشيعة للإمامة كمصطلح سياسي يطلقونه على " الرياسة العامة على جميع الناس "[٧].

هو من باب الاختيار الدقيق لجمع السلطتين الدينية والدنيوية، في شخص الإمام على اساس الترابط الوثيق، بين ما جاء في القران الكريم والحديث الشريف، وما ذكر عن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في نهج البلاغة، عندما ذم اختلاف الفتوى عند عمر بن الخطاب ورجوعه إلى الإمام عليه السلام فيقول «ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وألههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد، أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٢١.
(٢) سورة القصص : الآية: ٥.
(٣) سورة القصص: الآية: ٥.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣٤٩.
(٥) القرطبي، الجامع، أحكام القرآن، ج١٣، ص٣٤٩.
(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٨؛ الفلقشري، أحمد بن عبدالله (ت٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)، مأثر الأنافة في معالم الخلافة، (بيروت: عالم الكتاب، د. ت)، ج١، ص٢١.
(٧)ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٨.

عنه فعصوه؟ أم أنزل الله ديننا ناقصاً فاستعان بهم على إتمام؟ أم أنزل الله سبحانه ديننا تاماً فقصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

لذلك لا نتوقع الحصول على تعريف محدد في الإمامة ووجوبها فيما ذكر عن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام من اقوال في نهج البلاغة ولكن ذلك لا يعني سكوته عن الموضوع بصفته قطب رحى المعارضة التي استدارت حولها نظرية الإمامة، فالإمام عليه السلام في هذا المجال كان مطبقا لنظرية متكاملة الجوانب فاذا " كان علاج ابي بكر وعمر لقضية الإمامة علاجاً مؤقتاً لدرء فتنة متوقعة دون وضع اسس كاملة لنظام الحكم "[2].

فقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام كما هو ظاهر في نهج البلاغة اثناء خلافته القصيرة المليئة بالأحداث والفتن ان يضع تلك الاسس على ضوء القرآن والسنة، كما أفهمها له الرسول ﷺ بقوله «أنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه. إلا بلاغ في المواعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار استهمان على أهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله وأنهو عن المنكر وتناهوا عنه فإنما أمرتم بالنهي عن التناهي»[3].

فالإمامة في منظور الإمام علي عليه السلام واجبة وضرورية ولا يمكن على الاطلاق ان يسود النظام بدونها وينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة وفي هذا المجال يقوم «وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصدٍ ولا إمام قائدٍ»[4].

ثم وجوب الإمامة في نظر الإمام علي عليه السلام يمكن استنتاجه من كلام قاله عليه السلام قوم ارادوا منه استطلاع "**حقيقة حالة مع أصحاب الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، فَبَيَّنَ لَهُ، عن، مِنْ اءَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ اءَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: بَايِعْ، فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ إني رسول قوم، ولا أحدِث حدثاً حتى أرجع إليهم. فقال**عليه السلام**: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَا وَالْمَاءِ، فَخَالَفُوا إلى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً قال: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إلى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ. فَقَالَ لَهُ ــ عليه السلام ــ: فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ.**

---

(١) ينظر: نهج البلاغة، ص٥٣.

(٢) صبحي، احمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٦٩م)، ص٢٦.

(٣) نهج البلاغة، ص١٧٥.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٤٠.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَوَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايِعْتُهُ" [1]، نجده هنا عليه السلام قد طلب بيعة الرجل من وجهته نظر عقلية مبنية على الارادة التامة في حرية الاختيار بعد ان اوضح له الصورة فاستجابة الرجل هنا على اقتناع داخلي بان موقف الإمام عليه السلام هو الحق ولو ان الرجل رفض بيعته فباختياره المحض ايضا لان الحق لا يعرف بالرجال ولكن الرجال تعرف بالحق لذلك فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث بن حوط[2]، حين سأله عن اصحاب الجمل اكانوا على حق ام كانوا على باطل قال "**يَا حَارِثِ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَبَاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ**"[3].

أي أنك "نظرت الى طلحة والزبير من خلال صحبتهما لرسول الله صلى الله عليه وآله والى عائشة من خلال حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله"[4]، والحق لا يمكن ادراكه بالوجاهة والمركز وإنما من خلال أعمال العقل بالتأمل في مجريات الامور تاملا مترويا وعميقا، وعليه فان الاخذ بما حدث في السقيفة بانه تشريع او نص قانوني؛ لان بعضا من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله قد امروا به لا يمكن قبوله من وجهة نظر الإمام عليه السلام.

أما من حيث الغاية من الإمارة :فقد قصرها الإمام علي عليه السلام على الشؤون الدنيوية العامة لكونه يتحدث عن ضرورة السلطة لحفظ نظام لاستتباب امن المجتمع سواء أكان إسلاميا أو غير إسلامي فيذكر ذلك في رده على الخوارج «**أنها كلمة حق يراد بها باطل نعم أنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا أمته إلا لله وأنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في أمته المؤمن ويفتح فيها الكافر ويبلغ فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به الضعيف من القوي حتى يستريح به ويستراح من فجر**»[5] لذلك لا يمكن استكمال صورة الامارة ووجوبها من الناحية الشرعية في فكر الإمام علي عليه السلام إلا بالتعرض الى الشروط أي يجب توفرها من وجهة نظر الفرق الإسلامية ومن ثم مقارنتها بما ورد عند الإمام علي عليه السلام في ذات الموضوع.

---

(١) نهج البلاغة، ص١٧١.

(٢) الحارث بن حوط، يبدو انه من اصحاب الإمام علي عليه السلام لم اعثر له على ترجمة، ابن الحديد، الشرح، ج١٩، ص٣٧٦.

(٣) نهج البلاغة، ص٥٦٠.

(٤) مغنية، محمد جواد في ظلال نهج البلاغة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، ج٤، ص٣٧٦.

(٥) نهج البلاغة، ص٨٢.

شروط استحقاق الإمامة من وجهة نظر الفرق الإسلامية:

إن مفهوم الإمامة عند أهل السنة يغلب عليه الطابع السياسي والتنظيمي الذي يرمي إلى جعل كل شيء ممهداً لحاكم الدولة الإسلامية، ونجد هذا المفهوم واضحاً عند الماوردي فيشمل سبعة شروط:

١- العدالة على شروطها الجامعة.

٢- العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل.

٣- سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها.

٤- سلامة الأعضاء من نقص بمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض ـــــ

٥- الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

٦- الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البسيطة وجهاد العدو.

٧- النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه[١].

ومن جانب آخر يبين الماوردي[٢] دور الإمام في حماية الدين بقوله: «فليس دين زاد سلطانه إلا بدلت أحكامه وطمست السلطات إن لم يكن على دين تجمع به القلوب حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضاً والتناحر عليه حتماً لم يكن للسلطان لبث ولا لأيامه صفو وكان سلطان قهر ومفسر دهر، ومن هذين الوجهين وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت زعيم الأمة ليكون الدين محروساً بسلطانه والسلطان جارياً على سنن الدين وأحكامه»[٣]، فعندما صنف العلماء القدماء من أهل السنة فروع الدين وأحكامه فلم يذكروا الإمامة من فهمها بل يحثون على عدم الخوض فيها والكلام عليها بحجة ان ذلك قد يجلب النقد بحق الخلفاء ولاسيّما الأوائل منهم؛ فيذكر الغزالي[٤] ما نصه «اعلم

---

(١) الماوردي، ص٦؛ ويذكر ابن خلدون على ان الشروط التي يجب توفرها في مستحق الإمامة اربعة هي(العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس، واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص٢٤١؛ اما القلقشندي فيذكر اربعة عشر شرطا هي (الذكورة، البلوغ، العقل، البصر السمع النطق سلامة الاعضاء الحرية الإسلام العدالة الشجاعة النجدة العلم المؤدي الى الاجتهاد صحة الرأي التدين سلامة النسب ينظر: القلقشندي، مآثر الاناقة، ج١، ص ٣١، فأخذنا بقول الماوردي في المتن لأنه الاخطر والاشجل.

(٢) الأحكام السلطانية، ص٢٠.

(٣) قاسم، أسعد، أزمة الخلافة والإمامة وأثارها المعاصرة، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ص٤٩.

(٤) أبو حامد (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق علي بوملحم، (بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٢م)، ص٢٥٧.

ان النظر في الإمامة ليس من المهمات وليس أيضاً من فن المعقولات، بل من الفقهيات، ثم أنها مشار للتعصبات والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض وان أصاب، فكيف إذا أخطأ» يتبين لنا أنهم يجوزون على الإمام الجهل والخطأ إذا كان في الناس من هو يقوم خطاءه ويرده إلى الصواب ويهديه، وقد تصل التنازلات عن شروط استحقاق الإمامة لدينهم حداً لا يبقى معه شيئاً.

أما الشيعة الإمامية فيولون الإمامة اهتماماً كبيراً لارتباطه بالجانب الديني والدنيوي في آن واحد وهذا واضح في قول الإمام ما نصه «وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل لكنه إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه»[١].

وعلى هذا الاعتبار شرط العصمة من خصوصيات الإمام عند الشيعة دون سائر البشر فانهم لا يقصدون بشرط العلم والعدالة وغيرها من الشروط لأنهم يوجبون في الإمام "أن يكون افضل زمانه دنيا ودرئ وعلما وسياسة"[٢].

هنا يقصد به أن العلم والعدالة والاجتهاد وحدها لا تكفي لأن الجدارة والاستحقاق للأفضل والاقوى، فبعد ذلك سنحاول تلمس شروط التي يجب ان تتوافر في مستحق الإمامة رؤية الإمام عليه السلام والتي اوضحها في نهج البلاغة.

شروط استحقاق الإمامة في نهج البلاغة:

الإمامة في رؤية الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ولاية مطلقة عامة يتحمل الإمام بمقتضاها مسؤولية صيانة الاعراض والدماء والاموال وتطبق الشريعة بمقتضى الانصاف والعدل اللذين نص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عليها فلا " **ينبغي ان يكون الإمام الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين**»[٣].

فالإمامة ليست منصبا تشريفا يتوصل عن طريقه الفرد لتحقيق مأرب خاصة على حساب حقوق العباد الدينية والدنيوية، لأنها في جوهرها رعاية مصالح المؤمنين بما يؤمن لهم الحياة السعيدة في الدنيا والنعيم الدائم في الآخرة، فالأسس التي يجب أن تقام الإمامة عليها هي العصمة

---

(١) نهج البلاغة، ص١٥١؛ ينظر: المرتضى، أمالي المرتضى، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م) ج٢، ص٣٧٧.

(٢) المرتضى، أمالي المرتضى، ج٢، ص٣٧٧.

(٣) نهج البلاغة، ص١٣١.

أولاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]، وقوله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢] دلت هاتان الآيتان على العصمة باتفاق جميع المصادرالتاريخية ثم الكرم والعدل والنزاهة في تنفيذ الاحكام بما يصون حقوق الأفراد، لذلك يرى الإمام علي عليه السلام " ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله"[٣]، فيمكن اعتباره جامعا مانعا لكل ما يمكن توفره من شروط الاستحقاق المدينة، اذ يجب ان يكون المستحق "هو الاكمل قدرة على السياسة والاكمل علما بمواقعها وكيفية تدبير المدن والحرس وذلك سيلتزم كونه أشجع الناس"[٤].

٢ــ الأعلم بأمر الله: تستكمل حلقة الاستحقاق في فكر الإمام عليه السلام لأن الاعلم بأمر الله يجب ان يكون محيطا احاطة تامة ومتناهية في الدقة بأصول الدين وفروعه ليتمكن من معالجة المستنجدات في الحياة بما يتناسب تماما والشريعة الإسلامية [٥].

ومن الملاحظ أن الإمام علي عليه السلام قد استخدم في ذكره معنى (الأحق الأقوى) وقد علق ابن ابي الحديد على ذلك بقوله: " وهذا لا ينافي مذهب اصحابنا البغداديين في صحة امامة المفضول، لأنه ما قال: ان إمامة غير الأقوى فاسدة. ولكنه قال: ان الاقوى احق " [٦].

وكما يبدو لنا من النص، أن الشرطين لا يحتاجان الى تأويل بحسب فكرة الزيدية [٧]وبعض المعتزلة، والقائلة (بجواز امامة المفضول مع وجود الأفضل) لأن الإمام علي عليه السلام يعني ان المؤهل الوحيد المستحق للإمامة هو الأقوى والأعلم، ويمكن تفسير ذلك بناء على ما ورد في

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣١.

(٤)البحراني، شرح النهج، ج٣، ص٣٤٠.

(٥) البحراني، شرح النهج، ج٣، ص٣٤٠.

(٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص/٣٢٨.

(٧) **الزيدية:** هم اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، ساقوا الإمامة في اولاد فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة ان يكون اماما واجب الطاعة سواء اكان من اولاد الحسن عليه السلام... وكان من مذهب زيد " **جواز امامة المفضول مع قيام تلافضل فقال: كان علي بن ابي طالب عليه السلام افضل الصحابة، الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رؤاها وقاعدة دينية داعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطبيب قلوب العامة** ": ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص ٣٢٨؛ صبحي، نظرية الإمامة، ص٢٢٥.

موضع اخر من النهج " **ان اولى الناس بالأنبياء اعلمهم بما جاءوا به** " [١]

فلا حق الناس بنيابة الانبياء والقيام مقامهم، الا للعالمين برسالتهم العالمين بها الناصرين لها في جميع المواطن، فلا مجال للمفاضلة في الأسلوب اذ يمكننا القول باختصار ان رؤية الإمام علي عليه السلام في الاستحقاق على الأقوى والاعلم دون غيره من الناس، فالقول بتقديم المفضول مع وجود الافضل من الحجج الكلامية التي يقول بها الزيدية وبعض المعتزلة، هو من جانب الاحتجاج باقتضاء المصلحة بتقديم ابي بكر وعمر وعثمان على أمير المؤمنين عليه السلام من اجل الإسلام والخوف من فتنة قريش أن ولي الإمام علي عليه السلام مع انه الأفضل في نظر اولئك لكن السنة والاشاعرة يرفضون الفكرة، وبناء على رفض المقولة يقول أبو الحسن الأشعري بوجوب كون "الإمام أفضل أهل زمانه... ولا نعتقد الإمامة لاحد مع وجود من هو افضل منه فيها" [٢].

وعلى هذا فان ترتيب الخلفاء كان بحسب الأفضلية وان جوزوا المفاضلة فلا تدخل ابي بكر ولا خلافة عمر اذ تنحصر المفاضلة عندهم بين عثمان والإمام علي عليه السلام [٣].

فوضع المفاضلة في خلافة الراشدين من وجهة نظر الاشاعرة والسنة يتخذ من التسلسل التاريخي نصا شرعيا، لكون جمهور من الصحابة قد أقروّه واتفقوا عليه، كما يرفض الشيعة الإمامية القول بتقديم المفضول مع وجود الأفضل لمصلحة اقتضتها الظروف، لما في القول من منافاة لمنطق العقل، لان عدم قبول الأفضل من لدن فئة معينة تقدم مصلحتها الذاتية على مصلحة الامة بأكملها مما يرده العقل ولا يقره القرآن الكريم، فقد نص على إنكار ذلك، فقال تعالى﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٤].

ثم ان الإمام علي عليه السلام نفسه لا يقبل المفاضلة، لأنه الأحق والأفضل، فيقول لمعاوية ضمن رده على إحدى رسائله "**زعمت أن افضل الناس في الإسلام فلان وفلان... وما انت والفاضل والمفضول، والمسوس... فدع عنك من ما لتسبه الرمية فانا صنائع ربنا والناس صنائع لنا**"[٥].

اذ لا فضل لأحد علينا سوى فضل الله سبحانه، اما فضلنا فقد عم جميع الناس لانهم اهتدوا

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٢٠.

(٢) ابن حزم رفض القول بالمفاضلة وشنع على القائلين بها، وقال بأقلية الخلفاء بحسب ترتيبهم في خلافتهم. ينظر: ابن حزم، الملل والنحل، ج٤، ص١٠٥.

(٣) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، أصول الدين، ط٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨١)، ص٢٩٣.

(٤) سورة يونس: الآية: ٣٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ٤١٤.

بنا الى الإسلام، وعلى المعنى نفسه يمكن حمل قوله في موضع اخر من النهج " اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا؟ كذبا وبغيا علينا، إن رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرمهم، وادخلنا واخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلي العمى"[١].

فهو رد صريح على اولئك الذين يقولون بالمفاضلة على اهل البيت (ع) فالعلم المؤهل للهداية والقيادة هو المتمثل فيه، وفي عترة الرسول ﷺ من صلبه فموقفه على ما نظن من قضية جواز تقديم المفضول على الأفضل هو موقف الرافض، بحيث يمكن القول تجوزاً بأسبقيته الى تعني تلك المقولة قبل أن تبرز على سطح الحياة السياسية الإسلامية فاستخدامه لاسم التفضيل (احق واعلم) يعني حصر استحقاق الإمامة فيمن يتوافر الشرطان فيه دون أية مفاضلة [٢].

فشروط الاستحقاق التي حصرها السنة والأشاعرة ومعتزلة البصرة في العلم والعدالة والكفاية) تكاد تتفق في مضامينها مع ما ذكر من أقوال عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة من الا انها تختلف مع فكر الإمام علي عليه السلام في الكيفية التي تحدد تلك الشروط، اذ بينما يقول اولئك بوجوب كون الإمام أفضل رعيته، فانهم يكتفون من ذلك بكونه (عالما عادلا كفوءا)[٣].

فلا يحددون المقياس الذي صار به الإمام هو الأفضل، بينما يرى الإمام علي عليه السلام مستحق الإمامة يجب ان يكون (الأعلم، والأعدل، والأكفى)، وبذلك صار الافضل لتفرده بتلك المزايا دون سواه من افراد امته، ومن هذا النبع استسقى الشيعة الإمامية نظريتهم في الإمامة، ثم بعد ذلك بينوا الكيفية التي يمكن معرفة الافضل بها[٤].

أما شرط وجوب (الائمة من قريش) الذي يكاد يكون لا خلاف عليه عندما نزلت الآية الكريمة ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ قال رسول الله ﷺ أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ»[٥] عن النبي ﷺ، فوجهة نظر الإمام عليه السلام فيه الحصر عليهم السلام لقوله: "**إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ**

---

(١) نهج البلاغة، ص ٢٢٩.

(٢) صبحي، نظرية الإمامة، ص١٢٦، تامر، عارف، الإمامة في الإسلام، (بيروت: دار الأضواء ١٩٩٨م)، ص٤٥.

(٣) البغدادي، اصول الدين، ص٢٧٧.

(٤) الكنجي، الحافظ محمد بن يوسف (ت: ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام ط٣، دار احياء تراث ال البيت، (طهران: ١٩٨٣م)، ص٩٢.

(٥) الكنجي، كفاية الطالب، ص٩٣.

هَاشِم، لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ"[1].

فالإمامة ليست دولة في قريش، بل يجب حصرها في البطن الهاشمي الذي جاء منه النبيﷺ[2]، فقد ذكر عنه ﷺ قوله "ان الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانه واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم"[3].

وبناء على ما ورد في الحديث الشريف فإن بني هاشم هم المصطفون من قريش، لذلك فإن الإمام علي عليه السلام يرى ان "**وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ**"[4].

دون غيرهم كما خصهم الله سبحانه بالنبوة دون غيرهم.

أما شرط (العصمة) الذي انفرد به الشيعة، فيمكن تلمسه في فكر الإمام علي عليه السلام في عدة مواضع من نهج البلاغة، فتميز علاقته بالرسول ﷺ دون سائر قرابته وصحابته منذ طفولته، غرس في نفسه المثل العليا فراض نفسه على الهدف قولا وعملا منذ نعومة اظافره ويمثل ذلك قوله عليه السلام "**قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً**"[5].

ولكن تعلقه بالفضيلة وامتناعه عن الرذيلة لم يكن عن تقليد كما لم يكن تصرفا اليا لا خيار له فيه مما يعد من قبيل الالجاء ولكن تحكمه في نفسه ارادته هو ما حال بينه وبين الاثام بتصرف ارادي حر[6]، مما يدل على التصرف الارادي الحر في مفهوم الإمام علي عليه السلام قوله " انما نفسي اروضها بالتقوى لتاتي امنة يوم الخوف الاكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصف هذا العسل، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٢٩.

(٢) الوائلي، الشيخ احمد، هوية التشييع، دار الصفوة، (بيروت: ٢٠٠٩م)، ص١٤٦.

(٣) مسلم، ابو الحسن بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٣١م)، صحيح مسلم، دار احياء التراث، (بيروت: د.ت)، ج٤، ص١٧٨٢.

(٤) نهج البلاغة ص٣١.

(٥) نهج البلاغة، ص٣١٠.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٤٨.

وحســـبك داءً، أن تبيـــت ببطنـــة وحولك أكبـــاد تحـــن إلـــى القـــد

يعني حمل الاستثناء في قوله "الا ان يكفي الله من نفسي ما هو املك مني"[١].

على قوله تعالى على لسان النبي يوسف عليه السلام "**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**"[٢].

وقول الإمام علي عليه السلام بالعصمة لا يعني اقتصارها نفسه دون سواه من ولده من أهل البيت الذين وصفهم بانهم " ازمة الحق واعلام الدين وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القران"[٣].

والقران كتاب الله الذي "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ"[٤] وأنزال آل البيت منازل القران يعني الاقرار بعصمتهم لذلك جاء امر الى المكلفين " بان يجدوا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجدى القران"[٥].

فقول بعض المعتزلة باختصاص الإمام علي عليه السلام بالعصمة دون سواه من ال البيت[٦] لا يتسق واستخدامه للعترة (هم انزلوهم)، وعليه فان العصمة كشرط من شروط استحقاق الإمامة، لم يكن من اجتهاد ومتكلمي الشيعة وفقائهم، لأنهم ــ قد اخذوه عن الإمام علي عليه السلام الذي يرى ان الإمامة نيابة عامة مطلقة عن الرسول صلى الله عليه وآله فيقول عليه السلام في وصف الرسول وأهل بيته «ألا وان الله جعلنا للخير أهلاً وللحق دعائم وللطاعة عصماً»[٧] في كل ما يتعلق بالدين والدين وعلى ضوء ذلك اوضح الإمام علي عليه السلام في النهج ان تلك المقولات تمسه مباشرة لأنه صاحب حق وقطب من اقطاب الحياة السياسية في عصره، لذلك لم يقبل مقولة، انعقاد الإمامة باتفاق اهل الحل والعقد لأنها فكرة استحدثت لتبرير الواقع، بل وانها ايضا لم تكن مكتملة الجوانب لأنّ معظم رؤوس اهل الحل والعقد الذين كانوا في المدينة غير متواجدين اثناء انعقاد البيعة لابي بكر في سقيفة بني ساعده، فقد انعقدت تلك البيعة حسب معظم المصادر [٨] بخمسة هم: عمر بن الخطاب، ابو عبيدة بن الجراح،

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١١.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٥٣.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٨٦.

(٤) سورة فصلت: الآية: ٤٢.

(٥)ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص ٣٧٦.

(٦) يذكر ابن ابي الحديد: فقد قصد العصمة على الإمام علي عليه السلام دون سواه. ينظر: شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٣٧٦.

(٧) نهج البلاغة، ص٣٥٦.

(٨) القلقشندي، ماثر الاناقة، ج١، ص٤٢.

أسيد بن حضير [١]، وبشير بن سعد[٢] وسالم مولى أبي حذيفة [٣].

ولمجرد الاحتجاج وتسجيل الموقف على تلك البيعة يقول الإمام علي عليه السلام **وَاعَجَبَاهُ! أَتَكُونُ الْخِلاَفَةَ بِالصَّحَابَةِ وَلاَ تَكُونُ بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ؟ وورد قائلاً في هذا المعنى:**

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ؟
وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ[٤]

فاذا كان مقياس صحته انعقاد الإمامة لأبي بكر كما يراها عمر بن الخطاب هي صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المواطن فالأولى بها قريب اللحمة ومن صحبه صلى الله عليه وآله منذ نعومة اظافره حتى اليوم الذي الحده صلى الله عليه وآله في قبره، اما الاحتجاج "بالاختيار ورضا الجماعة"[٥] فلم يثبت الغياب جل الصحابة عن السقيفة حين انعقدت البيعة، أما قضية الشورى سوف نوضحها في الفصل الثاني.

اما الاحتجاج بانعقاد البيعة لقرابة الرحم من الرسول صلى الله عليه وآله حسب قول أبي بكر يوم السقيفة يشان قريش " هم أولياؤه وعشيرته واحق الناس بهذا الامر بعده"[٦]؛ فعلى ذلك لمقياس بالقرابة القريبة من عترة ال البيت هم أحق وأولى بالأمر دون باقي قريش ثم ان الإمام علي عليه السلام في مجال رده على معاوية حين امتنع عن بيعته، يقول: "**لَئِنْ كَانَتِ الإمامةُ لاَ تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذلك سَبِيلٌ**"[٧].

---

(١) اسيد بن خضير الانصاري الاوسي الاشهي اسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة وكان اسلامه بعد العقبة الاولى وقبل الثانية وكان ابو بكر يكرمه ولا يقدم عليه وابة في احدا... اخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين زيد بن حارثة توفي سنة ٢٠هـ/٦٤٠م. ينظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، كتاب الشعب، (القاهرة: ١٩٧٠م)، ج١، ص ١١١.

(٢) بشير بن سعد بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج... شهد العقبة الثانية وبدرا واحدا والمشاهد بعدها يقال انه اول من بايع ابا بكر يوم السقيفة من الانصار وقتل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد بعد انصرافه من اليمامة سنة (١٢هـ/ ٦٣٣م) ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٢٣١.

(٣) سالم مولى ابي حذيفة وهو سالم بن عبيد بن ربيعة من اهل اصطخر هاجر الى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وآله كان عمر بن الخطاب يكثر الثناء، آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين معاذ بن ماعض... شهد المشاهد كلها، قتل يوم اليمامة سنة (١١هـ/٦٣٢م)، ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٢، ص ٣٠٧.

(٤) نهج البلاغة، ص٥٤٠.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٤١٦.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٠.

(٧) نهج البلاغة، ص ١٧٥.

فشرط الاجماع الذي اتخذه معاوية ذريعة للامتناع عن البيعة لم يكن إلا من باب طلب المستحيل، لذلك يجب على معاوية وأمثاله من الذين امتنعوا عن البيعة الانقياد الى ما تعارف الناس عليه منذ خلافة ابي بكر بالرجوع إلى اهل الحل والعقد الذين "**يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ**"(١).

ارى ان كل ما ورد عند الإمام علي عليه السلام عن انعقاد الإمامة بالقرابة او باتفاق اهل الحل العقد او بالشورى كان لمجرد الاحتجاج على من يحاولون تسويغ خلافة أبي بكر بمقتضاها، او نظر بعد ان تم اقراره فيقول الأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود: "لأنّ الشورى التي قبل باستخلاف ابي بكر بمقدر لمقتضاها، او نظر اليها على أنها الأساس المقدر لاختيار الخلفاء، فإنها مبدأ لاحق مسبوق لم ينشأ ساعة الا استخلاف بل طرأ من بعد على الاذهان"(٢).

إنّ المتتبع للنصوص المتعلقة بالإمامة في نهج البلاغة يجد انّ ما قيل من اتفاق أهل الحل والعقد لم يكن إلا محاولة من سياسيي العصر لإضفاء شرعية على واقع فُرض بالقوة، كما ان الشورى ما هي الا (مجرد اسم تلعب به الشفاه، افرغ من مضمونه) (٣).

أضف الى ذلك أن الإمام علي عليه السلام لم يكن ليقيم للقرابة أيّ قيمة بعقد الإمامة لأنه يعتقد "**إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّد مَنْ أَطَاعَ اللهَ وإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّد مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!**"(٤).

وهو كما نلاحظ "على القرشين الذين احتجوا على الأنصار يوم السقيفة بزعمهم انهم اولى بالخلافة لقرابتهم من الرسول صلى الله عليه وآله فالإمام علي عليه السلام وإن نوه بالقرابة في استحقاق الإمامة إلا انه لم يكن يقصد من ذلك سوى اقامة الحجة على من اتخذ القرابة ذريعة لذلك فانه (لم يضع قرابته من النبي صلى الله عليه وآله ميزة ترشحه الخلافة من بعده)"(٥).

فمن خلال الترتيب لنصوص نهج البلاغة التي تطرقت لشروط انعقاد الإمامة، نجد ان الإمام علي عليه السلام يذكر الى أن الأرض لا تخلو "**مِنْ قَائِم لله بِحُجَّة، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ**"(٦).

---

(١) نهج البلاغة، ص ١٧٥.

(٢) السقيفة والخلافة، مكتبة غريب، (القاهرة: ١٩٧٧م)، ص١٤٦.

(٣) عبدالمقصود، السقيفة والخلافة، ١٤٦.

(٤) نهج البلاغة، ص٥٢٠.

(٥) العقاد، عباس، محمود، عبقرية الإمام علي عليه السلام، العصرية، (بيروت: د.ت)، ص١١.

(٦) نهج البلاغة، ص٥٣٤؛ وقد علق ابن ابي الحديد على قول الإمام علي عليه السلام ذاك بانه "**يكاد يكون تصريح بمذهب الإمامية، على ان اصحابنا (أي المعتزلة) يحملون على ان المراد به الابدال الذين وردت الاخبار=**

ووجود الحجة في الفكر الشيعي لطف من الله بعباده بقربهم من الطاعات ويبعدهم عن المعاصي، وعليه فقد بيّن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: "لو لم يبق في الارض الا اثنان لكان أحدهما الحجة"(١).

لذلك فإنّ الإمام علي عليه السلام مبلّغٌ عن النبي صلى الله عليه وآله قائمٌ مقامه قائلٌ بلسانه، يقول لأصحابه: " والله ما اسمعكم الرسول شيئا الا وها انا اليوم وما اسماكم اليوم بدون اسماعكم بالأمس ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الزمان إلا وقد أُعطيتم مثلها في هذا الزمان"(٢)، وقوله عليه السلام: "**أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ**"(٣).

وهو حين يقوم بذلك لأنّه الوصي بعد الرسول صلى الله عليه وآله بدلالة حديث (المنزلة) استناداً لروايته عنه صلى الله عليه وآله في بدء نزول الوحي إذ قال له "إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير وإنك لعلى خير"(٤)، كما أوضحنا سابقاً.

اذ يفهم مما ذكر عنه من أقوال إنه حين يقوم بأمر المسلمين فليس لأنّه خليفة منتخب من قبل جمهور المسلمين، بل لكونه إماماً منصوصاً عليه من قبل الله سبحانه، كما يتضح مما ورد في وصيّته لعماله على الصدقات "**فإذا قَدِمتَ على الحيِّ فانْزِلْ بمائِهِمْ مِنْ غَيرِ أن تُخالطَ أبْيَاتهم ثمَّ امضِ إليهم بالسكينةِ والوَقارِ حتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلّمَ عَلَيْهم ولا تَخْرُج بالتَّحيةِ لَهُمْ وَتقول: أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ**"(٥).

فنصه على انه ولي الله يلقي ضوءاً على تفكيره في أن الإمامة لا تكون مطلقة يرشح لها اهل الحل والعقد من يرونه صالحاً لها، لأن رؤيتهم مهما اتسعت فهي دون رؤية الخالق سبحانه

=**النبوية عن انهم في الارض سائحون** " ينظر: شرح نهج البلاغة، ٣٥١/١٨. اما الميثم البحراني فيذكر " انه تصريح منه عليه السلام بوجوب الإمام بين الناس.

(١) الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ/٩٣٤م)، الكافي (الاصول والفروع والروضة)، ط٤، دار صعب، (بيروت: ١٩٨٠م)، ج٢، ص١٤٦.

(٢) نهج البلاغة، ص١٣٨.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٨٧.

(٤) نهج البلاغة، ص١٤٠، ويروي ابن ابي الحديد " أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب و كالذراع من العضد و كالكف من الذراع رباني صغيرا و آخاني كبيرا و لقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري و أنه أوصى إلي دون أصحابه و أهل بيته و لأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال أفعل ثم قام فصلى فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائل اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ فقال أواحد أكرم منك عليه فأستشفع به إليه؟ "ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢١٦/٢٠.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٠٨.

في مصلح عباده فالأئمة في فكر الإمام علي عليه السلام **"قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ منْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ"**(١).

وهنا يمكن توضيح المقولة بين المعتزلة والشيعة فابن ابي الحديد من المعتزلة يؤولها في ضوء قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(٢).

اي "كل قوم باسم إمامهم"(٣)، أما ميثم البحراني(٤) من متكلمي الشيعة فيرى كلام الإمام علي عليه السلام يعني به نفسه والائمة من ولده وقد استند في رأيه ذاك على أمرين:

الأول: ان الشريعة بما حوته من أوامر ونواهٍ محتاجة الى من يوضح كيفية العمل بها لتسلك بالإنسان طريق الخير والجنة، ولا يكون ذلك الا بمعرفة من يعمل بها، وهم الائمة الواجب الاقتداء بهديهم، أما الأمر الثاني: وهو المشهور عن الإمام علي عليه السلام عن ان الائمة الذين يريدهم أهل بيته والمعرفة بذلك من أمر الدين أي ركن من أركان الدين يؤدي الى الجنة ويبعد عن النار(٥).

ولعل رأي ميثم البحراني هو الأرجح فالأئمة الذين يعنيهم الإمام علي عليه السلام كما نص هي العترة من آل بيت النبوة بوصفهم أحقّ الناس بولايته دون الخلق اجمعين في كل منقول ومعقول(٦) لأنه **"لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ... وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ"**(٧).

وقد فسّر ابن أبي الحديد الولاية بأنها "حق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله على الخلق " فلا يقصد بها الإمامة كما تقول الشيعة وتأول (الوصية والوراثة) بانها ليست "النص والخلافة ولكن امورا أُخرى لعلها اذا لمحت اشرف واجل"(٨).

فعلى أي محمل يمكن تفسير قول الإمام علي عليه السلام بعد كلامه السابق وفي الفقرة نفسها **"الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ"**(٩).

---

(١) نهج البلاغة، ص٢١١.
(٢) سورة الاسراء: الآية: ٧١.
(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٥٢.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٤١٤.
(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٣٥.
(٦) ميثم البحراني، شرح النهج، ج١٨، ص٤١٥.
(٧) نهج البلاغة، ص٣١.
(٨) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٣٩.
(٩) نهج البلاغة، ص٣١.

فالنص يشير لذلك ولا مجال فيه الى التأويل ثم أننا لو قبلنا قول ابن أبي الحديد بأن المقصود من الوراثة وراثة العلم فعلى أي محمل يمكننا تأويل قول الإمام علي عليه السلام "**كَانَتْ في أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّماءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ**"(١).

فالإمام علي عليه السلام يؤكد حقهم في فدك(٢) مما يجعل مقولة اقتصار وراثة آل البيت على العلم دون سواه من لوازم الوراثة الأخرى في فكر الإمام علي عليه السلام في المطالبة بالخلافة فلا يجوز له وهو اول من آمن برسالة محمد صلى الله عليه وآله أن يكذب عليه (حاشا للإمام) ويدّعي ما ليس له، فلو لم يكن عالماً انّ الخلافة من حقّه بالنص لما جادل دونها، ولما طالب بها وما قوله " أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله والله لانا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري"(٣).

وتتكرر كلمة الحق في الخلافة بمرارة في كثير من خطبه عليه السلام من ذلك قولة " فَوَاللهِ مَا زِلتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا "(٤).

ذكر ما نصه الإمام عليه السلام على إحدى رسائل "**وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلاَ مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهذِهِ**

---

(١) نهج البلاغة ، ص٤٤٧.

(٢) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، افاءها الله على رسول الله صلى الله عليه وآله في سنة (٧) صلحا. ينظر: البلاذري، محمد بن يحيى بن جابر (ت٢٣٩هـ /٨٥٣م)، فتوح البلدان، (بيروت: الاعلمي، ١٩٧٤م)، ٢٣٨/٤؛ ويذكر السيوطي في ذيل تفسيره قوله تعالى ﴿ **وات ذي القربى حقه** ﴾ سورة الاسراء: الآية: ٤٦. قال: واخرج البذاذ وابو يعلي وابن ابي حاكم وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكا وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله جاءت حينئذ تطلب فدك وما بقي من خمس خيبر فقال ابو بكر: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه صدقة فابي ابو يدفع الى فاطمة الزهراء عليها السلام منها شيئا فغضب عليه عليها السلام توفيت؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور، ط٤، (بيروت: الاعلمي، ١٩٨٢م)، ج٣، ص ١٦٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٥، ويبدو من كلام الإمام علي عليه السلام خلاف ما ذكر عن ابي بكر وانه كان يقول وريت النبي كل ما يورثه المسلم لأهله ثم يشهد بقول امام علي عليه السلام عند دفنه فاطمة الزهراء عليها السلام " وستنبئك ابنتك تضافر امتك على هدفها فاصفها السؤال واستخبرها الحال ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر " ينظر: نهج البلاغة، ص٣٣٨؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج١٦، ص٢٠٥.

(٣) نهج البلاغة، ص٨١.

(٤) نهج البلاغة، ص٨١.

حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا"(١).

فالنصّ يوضح انّ الإمام علي عليه السلام كان يطالب بحقّه وانّ تنازله عن ذلك الحق لم يكن بمحض ارادته وسكوته عن ذلك لا يعني اقتناعه بصلاحية حكم من سبقه بدلالة قوله " لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ "(٢).

كذلك فإنّ الربط بين النبوة والولاية في نظر الإمام علي عليه السلام أوضحها من خلال محاولة تجسيده لمنزلة آل البيت الدينية تبيان علاقتهم الروحية بالرسول صلى الله عليه وآله.

فمن خلال التطرّق إلى النصوص المتعلقة بال البيت عليهم السلام في نهج البلاغة يمكننا ادراك الرابط الوثيق أيضاً بين الرسالة والولاية في تفكير الإمام علي عليه السلام فيقول عليه السلام: "**نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ**"(٣).

فيذكر عليه السلام أيضاً "**من خَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ... أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَتَاكُم مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ**"(٤).

لذلك يرى الإمام عليه السلام حق قيادة الناس وهدايتهم يجب أن تنحصر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في آل بيته دون سواهم حتى قيام الساعة لتميزهم عن الخلق بالعلم الواسع المتطابق وشريعة الله المنزلة على محمد صلى الله عليه وآله، فإذا ما حاولنا الربط بين الإمام علي عليه السلام بالوصية والولاية وبين المنزلة الدينية التي خص بها ال البيت دون غيرهم من سائر المسلمين فيما ذكر عنه عليه السلام من أقوال فستجد أن ذلك الفكر وتلك النظرة مبنية على ان الإمامة قد كانت نص عليها في آل البيت من قبل وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأوضح عليه السلام منع قريش حقّهم قائلاً "**أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الاْمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**"(٥).

فاذا كان الكميت (ت١٢٦هـ/٧٣٤م) أول من تكلم في الإمامة وفصل القول فيها في

---

(١) نهج البلاغة ، ص٤٤٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٥٦٢.

(٣) بلغ عدد النصوص التي وردت في ذكر ال البيت في نهج البلاغة (١٥) نصا من الخطب (٢، ٤، ٩٢، ٩٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٢، ١٨٧، ١٨٨، ٢٣٧، وحكم ١٣٧).

(٤) نهج البلاغة، ص٢٣٢.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٨٤.

هاشمياته[1]، وان عيسى بن روضة (ت١٥٨هـ/٧٧٤م) أول من ناظر في الإمامة[2]، وان اول من "ألف في ذلك علي بن إسماعيل بن ميثم"[3]، المعاصر لواصل بن عطاء (ت١٣١هـ/٧٤٨م)[4] فان جميع اولئك على ما نظن لم يبدأوا من فراغ أقوالهم في الإمامة وتفريعاتها، لأن الخطب والرسائل والعهود والكلمات القصار التي ذكرت عن الإمام علي عليه السلام وكان كل اولئك قريبي عهد بها كانت بمثابة الأرضية الخصبة التي مهّدت لهم الطريق بالكلام فقد رأينا من الخطب والرسائل التي وصلتنا ضمن نهج البلاغة كيف طرح الإمام علي عليه السلام قضية الإمامة وحقّه وحق آل بيته عليهم السلام فيها طوال عهده وعهد الخلفاء من قبله مما يجعلنا نرجح بأنّ النصوص التي بنى عليها الشيعة نظريتهم في الإمامة قد كانت وليدة عصر صدر الإسلام، إذ وضع أُسسها أمير المؤمنين عليه السلام ثم جاء من بعده علماء الشيعة وبسطوا القول فيها مقتفين اثر الإمام عليه السلام مما يجعلنا نرفض ما قال به كولد تسهير من تأثر الشيعة بفكر المعتزلة[5].

على أنه الى جانب لقب إمام فإن هناك لقب آخر استعمله المسلمون للتعريف بالقائم بأُمور الحياة السياسية للمسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله لقب أمير المؤمنين وهو خاص بالإمام عليٍّ عليه السلام.

لقب أمير المؤمنين: ــ

بمعناه المطلق ما لم يخرج عن الصيغة الاصلية لغرض بلاغي هو طلب الشي على سبيل الاستعلاء ومنه سمي الأمير ملكا " لنفاذ امره... والجمع أمراء صار عليهم أميرا والتأمير تولية الامارة واولوا الامر الرؤساء واهل العلم "[6].

---

(١) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٣.

(٢) عيسى بن روضة التابعي مولى بن هاشم صاحب ابي جعفر المنصور (ت١٥٨هـ /٧٧٤م) اول من صنف الكلام، له كتاب في الإمامة وبقي الى عصر المنصور عثر على سنة وفاته، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٢.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

(٥) مما يسترعي النظر ان اعلم الكلام يتجه بصفة خاصة المعتزلة، لأنه يستند فيما يسوقونه من براهين لتأييد نظرية الإمامة على قواعد اعتزالية بحثه، فالحاجة الى وجود امام لكل لكل عصر وما يجب ان تختاز به هذه الشخصية من عصمة وقداسة، وقد ربطها الشيعة لا شك في طابعها الاعتزالي. ينظر: العيدة والشريعة، دار الرائد العربي، (بيروت: ١٩٦٤م)، ص٢٠٠، وقد سقن من النصوص الماثورة عن الإمام علي عليه السلام في مواطنها من العضل مما يؤيد مقولة الشيعة من غير تأثيرات خارجية.

(٦)ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م)، ج١، ص٩٧.

واضافة أمير الى المؤمنين من الالقاب المستحدثة في خلافة عمر بن الخطاب كما يرى اهل السنة والسبب في ذلك استثقال لقب (خليفة رسول الله) فاطلق عليه المسلمون لقب (أمير المؤمنين) وقيل ان اول من اسماه بذلك ابو وبره[١].

وفي رواية ثانية ان اول من اطلق عليه ذلك اللقب عمرو بن العاص حين دخل عليه يستأذنه في دخول لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم[٢]، بعد قدومها من عاملة على العراق بعد ان طلب عمر من ذلك العامل ان يرسل اليه برجلين عارفين بأمور العراق[٣].

لا انّ لقب (أمير المؤمنين) هو من عصر النبوة وان الرسول ﷺ قد اختص به الإمام علي عليه السلام "لم يسم به احدا قبله ولم يسم بعده"[٤].

فعن انس قال :قال الرسول ﷺ " يا انس اول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغز المحجلين وخاتم الوصيين قال انس: قلت اللهم رجلاً من الانها... اذ جاء عليه السلام فقال: من هذا يا انس؟ فقلت: علي فقام مستبشرا فاعتنقه... " [٥].

ويذكر الاصفهاني "عن بريدة بن خصب الأسلمي انّه قال: انّ رسول الله ﷺ أمّرني وأنا سابع سبعة فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير فقال: سلّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين فسلّمنا بذلك ورسول الله ﷺ حيّ بين أظهرنا"[٦].

***

(١)ابو وبره هكذا ورد اسمه في مأثر الاناقة ولم اعثر له على ترجمة، ينظر: القلقشندي، مأثر الاناقة،١/٢٦ ــ ٢٧.

(٢)عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج... ابوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود... اسلم وحسن اسلامه روي عن النبي ﷺ احاديث كثيرة كان جواد شريفا في قومه معظما عندهم وعند غيرهم سخرفا عن عثمان... شهد بعض الفتوح الإسلامية وشهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام) توفي سنة (٦١هـ) وله من العمر (١٢٠) سنة، ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص ١٠.

(٣) القلقشندى، مأثر الاناقة، ج١، ص٢٦.

(٤) القلقشندي، مآثر الانافة، ج١، ص٢٦.

(٥) القلقشندي، مآثر الانافة، ج١، ص٢٧.

(٦) يذكر الاصفهاني عن الشيخ المفيد " عن بريدة بن خصب الاسلمي انه قال " ان رسول الله ﷺ امرني وانا سابع سبعة فيهم ابو بكر وعمر وطلحة والزبير فقال: سلموا على علي بإمرة المؤمنين فسلمنا بذلك ورسول الله ﷺ حي بين اظهرنا" ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ص ٢٨؛ الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسن (ت: ٣٥٦هـ/) الاغاني، الدار التونسية للنشر، (تونس، ١٩٨٣م)، ج١، ص٦٣

الفصل الثاني

المواقف السياسية للإمام علي عليه السلام

من خلافة أبي بكر (٦٣٢/ ٦٥٥هـ) في نهج البلاغة

- المبحث الأول: حادثة السقيفة وموقف الإمام علي عليه السلام من خلافة أبي بكر في نهج البلاغة

- المبحث الثاني: موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عمر بن الخطاب في نهج البلاغة

- المبحث الثالث: موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عثمان بن عفان في نهج البلاغة

المبحث الأول

حادثة السقيفة وموقف الإمام علي عليه السلام من خلافة أبي بكر في نهج البلاغة

مدخل:

تبنى الإمام نظرة متعمقة بسياسة الدولة التي وضعها في حدود القرآن والسنة النبوية الشريفة ولذلك رفض الوصاية على تلك السياسة بوصفه صاحب مبدأ يجب أن يدافع عنه، مهما بلغت التضحيات في سبيله، فلقد كان بإمكانه ان ينال الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بالقوة وبعد مقتل عمر حين دعاه عبد الرحمن بن عوف بشرط العمل "بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده"(١)، ولكنه رفض الشرط قائلاً: "**أرجو ان أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي**"(٢)، فلو كانت الخلافة طلبته لحصل عليها، إلا أنه عليه السلام لم يرض بذلك، لأنه يرفض الالتواء، ولأنه يجد أحقيته بأن يؤخذ برأيه، لا أن يؤخذ برأي غيره، لأنه انما يعمل بعلم علمه إياه النبي صلى الله عليه وآله ودعا له بأن يعيه صدره وتفطم عليه جوانحه"(٣)، فالإمام عليه السلام اذ ما وضع بين اختيارين مصلحته او مصلحة الإسلام، فأنه يختار ما فيه مصلحة الإسلام مهما كلف الأمر لذلك لم يكن من السهل قبوله منصب الخلافة بعد مقتل عثمان الا بعد الحاح المسلمين، وفي هذا الصدد يقول الإمام علي عليه السلام: "**وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**"(٤).

فالمواقف الصلبة في ذات الله جعلت من الإمام علي عليه السلام ورؤيته السياسية منهجاً صلباً لا يقبل المناورة.

وقد صور لنا الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة واقع المتنافسين على الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مبيناً أنهم كانوا على استعداد لاستخدام كل الوسائل من أجل نيل الخلافة إذ أخذت الحياة السياسية طريقها في الاستقلال عن الدين شيئاً فشيئاً، فيذكر ابن سعد استشرى الى النفوس

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٩٧.

(٢) نهج البلاغة، ص١٣٨؛ ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٩.

(٣) نهج البلاغة، ص١٢٨، جعفر، نوري، علي ومنا ولوه، علق عليها: مرتضى رضوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٥م)، ص٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٢.

من السلطة جرياً وراء نفعها المادي بجمع الأموال واقتناء الضياع والإماء والعبيد والجواري [١].

فقد أعطى الإمام علي عليه السلام وصفاً دقيقاً لمحبي السلطة في مواضع متعددة من النهج فصنفهم الى اربعة اصناف:

الاول يبين لنا الصنف المتقاعس عن طلب السلطان لا لشيء الا لشعوره بحقارة نفسه وضعفه عن مقارعة المتنافسين بسبب قلة الأعوان، وعدم امتلاك الثروة بقوله عليه السلام: "**مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الفَسَادَ في الاَرْضِ إلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ**"[٢]. **أما الثاني:** المتمثل في الانسان الحاقد الذي يسعى للشر بأي وسيلة بتنحيه القيم الإنسانية جانباً وتحكيم السيف على رقاب العباد من اجل ارضاء غرور النفس في حب التسلط بقوله: "**وَمِنْهُمُ المُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَام يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَب يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَر يَفْرَعُهُ**"[٣]. **وأما الثالث :-** يوضح لنا الإمام عليه السلام المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن بدفع الشعارات البراقة واتخاذ الدين وسيلة للوصول الى السلطة بالتصنع في الأقوال والأفعال "**وَمِنْهُمْ مَنْ يَطلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الاْخِرَةِ، وَلاَ يَطْلُبُ الاْخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعْصِيَةِ**"[٤]. **وفي الرابع:** هو الذي أقعده عن طلب السلطة اقتناعه الداخلي بأنه ليس اهلاً له لعدم قدرته على التعامل مع الناس وهروباً من ذلك بلبس زي الزهاد أو اتخذ القناعة ستاراً «**وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ المُلْكِ ضُؤولَةُ نَفْسِهِ، وَانقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الحالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ القَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذلِكَ في مَرَاح وَلاَ مَغْدىً**»[٥].

فالسلطة في هذه الفئات الأربعة طمع دنيوي لا يمت للدين بصلة وبسبب جنوح تلك الفئات وقع الحيف على عامة الناس الذين تحولوا جراء اطماع اولئك الى "**وَخَائِف مَقْمُوع، وَسَاكِت مَكْعُوم، وَدَاع مُخْلِص، وَثَكْلاَنَ مُوجَع، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ في بَحْر أُجَاج أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا**"[٦].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٠٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٤٢، جولد تسهير، العقيدة والشريعة ص١٢١.

(٢) نهج البلاغة، ص٧٢؛ ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٢٠٢.

(٣) نهج البلاغة، ص٧٢، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٢٠٢.

(٤) نهج البلاغة، ص٧٢، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٢٠٣.

(٥) نهج البلاغة، ص٧٢، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٢٠٣.

(٦) نهج البلاغة، ص٧٢، ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٢٠٣.

فنظرة الإمام علي عليه السلام ورأيه نابع من ايمانه وتصوره من نهج رسول الله صلى الله عليه وآله بان الدين والدولة كل لا يتجزأ، وعلى هذا الاساس يمكن دراسة مواقفه السياسية تجاه رجال عصره واحداثه فما وافق الدين فهو رضا بالنسبة اليه، لذلك فإن ابعاده عن حقه لم يصل بينه وبين المشاركة في الحياة السياسية إذا ما تطلب الأمر لصالح المسلمين والإسلام من خلال دراسة مواقفه عليه السلام في مجريات عصره كما رسمها في نهج البلاغة.

أولاً :- حادثة سقيفة بني ساعدة وأثرها[1]،على الحياة السياسية في نهج البلاغة

لم يكن الإمام علي عليه السلام وآل بيت الرسول عليهم السلام وجلّ المهاجرين حاضرين في اجتماع السقيفة، لأنّهم كانوا منشغلين بتجهيز الرسول عليه السلام والإعداد لدفنه، فلم يعلموا بخبر السقيفة إلّا بعد أن بُويع أبو بكر وأقبلت الجماعة التي بايعته تزفّه إلى مسجد الرسول[2]، عليه السلام، فلم يكن إلّا ذهولاً أصاب النفوس؛ إذ كيف يتسنّى لأولئك أن يبرموا أمراً في مثل ذلك اليوم العصيب دون أن يستشار جميع أُولي الأمر، وعلى هذا الأساس بنى الإمام علي عليه السلام نظرته عندما قال لابي بكر:

فإن كنت بالشورى ملكت أُمــورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب[3]،؟!

نلاحظ هنا أنّ الإمام عليه السلام يذكر ويؤكد لا شورى في بيعة أبي بكر؛ لأنّ الشورى تقتضي حضور جميع من يهمّهم الأمر، أمّا موقفه من حادثة السقيفة بناه على تفنيد كلّ من الأنصار والمهاجرين الذين حضروا السقيفة ذلك اليوم[4].

فالإسلام لا يجيز للأنصار الادعاء بخلافة رسول الله عليه السلام على اعتبار أنّهم موصى بهم من قبل الرسول عليه السلام ومن يوصى به لا يجوز–لا عقلاً ولا شرعاً – أن يكون قائداً، وبناءً على ذلك قال عليه السلام لمّا بلغته أخبار السقيفة: "**مَا قَالَتْ الأَنْصَارُ؟ قَالُوا: قَالَتْ: مَنّا أمير وَمِنْكُمْ أمير قَالَ** عليه السلام:

---

(١) ينظر: سليم بن قيس الهلالي (ت٧٦هـ/ ٩٩١م)، كتاب سليم بن قيس (بيروت: دار العصرية، ١٩٨٦م) ص٤٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٨.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامري الأزدي (ت ١٥٧هـ/٧٧٣م) تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٩٩م)، ص٣٦. ابن بكار، الزبير (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ،، الأخبار الموفقيات، ديوان الاوقاف، (بغداد: ١٩٧٢م)، ص٥٧٨.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣.

(٤) سالم، أحمد، سقيفة، بني ساعدة بين الشيعة والسنة دراسة تحليلية لاجتماع الصحابة في السقيفة، تقديم: محمد طاهر البرزنجي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

فَهَلا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ويُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ قَالُوا ومَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عليه السلام لَوْ كَانَ الإمامةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ»[1].

أمّا طرف السقيفة الثاني، وهم قريش، فقد احتجّوا بقرابتهم من رسول الله عليه السلام، كما ورد في قول عمر بأنّهم "أولياؤه وعشيرته"[2]، وهم بحجّتهم تلك لا يستحقّون الإمامة من وجهة نظر الإمام عليه السلام وذلك بناءً على قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾[3]، فإذا كان مقياس استحقاق الأمر لقرابتهم البعيدة من الرسول عليه السلام فالأولى به أن يكون في عترته الطاهرة ويشمل وجهة نظر الإمام علي عليه السلام تلك قوله: «**فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ عليه السلام احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ**»[4].

فالثمرة من وجهة نظر الإمام عليه السلام هي النتاج الأصلي للشجرة وأولى أن يكون لها الحقّ دون غيرها من سائر الفروع، وعلى ذلك بنى الإمام عليه السلام موقفه من خلافة أبي بكر، كرأي معارض الهدف منه إقامة الحجّة عليه.

اضافة إلى تكرار الروايات على أن الإمام علي عليه السلام قد صرح في أكثر من مناسبة بأحقيته بالخلافة فيذكر ابن قتيبة ان الإمام علي عليه السلام لما طلبت منه البيعة لابي بكر قال: " انا احق بهذا الامر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه من اهل البيت غصباً؟ ألستم من زعمتم للأنصار أنكم اولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم القادة وسلموا اليكم الامارة وانا احتج عليكم بمثل ما احججتم به على الانصار نحن اولى برسول الله ﷺ حياً وميتاً فأنصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبؤوا بالظلم وانتم تعلمون٠٠٠"[5]، ثم قال عليه السلام: "الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان الناس وحقه فو الله يا معشر المهاجرين نحن احق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ الكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المضطلع بأمر الرعية المدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله أنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا

---

(١) نهج البلاغة، ص١٠٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٠.

(٣) سورة الأنفال: الآية: ٧٥.

(٤) نهج البلاغة، ص١٠٤.

(٥) الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الإمامة والسياسية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٠م)، ج١، ص١٩.

من الحق بعداً"[1]، فقال البشير بن سعد الأنصاري وكان حاضراً: "لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان"[2].

ثمّ إنّ المنافرات والمشاجرات بين الأنصار والمهاجرين كادت أن تحدث فتقاً في الإسلام بإثارة النعرات القبلية، لولا تدارك الإمام علي عليه السلام الأمر، وذلك بالوقوف بوجه أية حركة من شأنها أن تسيء لهذه الوحدة او تؤدي الى تصدعها، وهذا ما يفسر لنا صبره على مصادرة حقوقه السياسية المتمثلة بالخلافة فيقول عليه السلام: "**فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذىً وَفي الحَلْق شَجاً أرى تُرَاثي نَهْباً**"[3]، تضحية منه في سبيل وحدة المسلمين.

فسارع الإمام علي عليه السلام لدرء تداعيات السقيفة وانبعاث الفتن القبلي فكانت وحدة المجتمع الإسلامي أهم أولويات سياسته فيذكر اليعقوبي: "أن عتبة بن أبي لهب علم بنتائج السقيفة قام فقال:

مـــا كنـــت أحسب أن الأمـــر منصرف عـــــــن هاشم ثم منها عن ابي الحسن

عـــن اول الناس ايماناً وسابقة واعلم النـــــــــــاس بالقـــرآن و السنن

فبعث إليه الإمام علي عليه السلام وقال عليه السلام: " سلامة الدين أحب إلينا من غيره "[4].

كذلك يوضح لنا نهج البلاغة موقف آخر للإمام علي عليه السلام عندما وقف بوجه ابي سفيان بن حرب لما قام بعد احداث السقيفة وقال: "والله لأني أرى عجاجة لا يطفأها الا الدم يا ال عبد مناف فيما ابو بكر من اموركم اين المستضعفان أين الإذلال علي والعباس وقال: ابا الحسن ابسط يدك حتى ابايعك..."[5]، فرد الإمام علي عليه السلام: "**أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيق الـــمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الـــمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاح، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، هذا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ**"[6].

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠؛ سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص٤٦.

(٢) الدينوري، الإمامة والسياسية، ج١، ص٢٠.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣، سليم بن قيس، ص٤٦ ــ ٤٨، أبي مخنف، تاريخ أبي مخنف، ص٣٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٩٣.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٥١.

(٦) نهج البلاغة، ص٤١؛ سليم بن قيس، ص٢٩ ــ ٥١.

ويذكر الطبري هذه الرواية[1]: "فزجره علي وقال: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصيحتك"، لذلك نجد بيعة الإمام علي عليه السلام وموقفه هذا من السقيفة لخطورة التهديدات التي تعرض لها الإسلام وقت ذاك المتمثلة بالفوضى التي سادت السقيفة وخلافة أبي بكر التي سنتطرق إليها لاحقاً.

ثانياً :- موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة أبي بكر (١١-١٣هـ/ ٦٣٢ ــ ٦٣٤م)

لم يحسم أمر البيعة بالخلافة لأبي بكر حسماً تامّاً في حادثة السقيفة كما تُصوّره لنا المصادر التاريخية، إذ من الواضح من خلال إشارات بعض المؤرّخين في أثناء سردهم كحوادث الحياة السياسية في تلك الحقبة أنّ صراعاً خفياً قد احتدم، وأنّ المسلمين قد تحزّبوا إلى فرقتين، إذ يمكن أن يستنتج مما قاله الطبري ونصه: "أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايقت بهم السكك فبايعوا فكان عمر يقول: ما هو إلّا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر"[2]، أي أنّ فوز أبي بكر لم يتحقّق بسهولةٍ ويسرٍ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لما قال عمر "فأيقنت بالنصر" مما يعني أنّ الرؤية قد كانت غامضة قبل مبايعة القبائل، فاليقين هنا يتبع شكّاً والخوف من الفشل، كما أنّ كلمة (النصر) في النص تشير إلى الصراع الخفي الذي كاد أن ينفجر ليرجّح كفّةٍ على أُخرى، فما أن استقرّ أمر السقيفة لأبي بكر فيقول: الزبير بن بكار في هذا النص الذي أخذ القوم على غرّة وتنبّه أولئك المجتمعون للسرعة الفائقة التي تمّت فيها تلك البيعة حتّى «ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً وذكروا الإمام عليه السلام وهتفوا باسمه فلم يخرج إليهم فجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذلك الكلام"[3].

لذلك فمن المؤكد أنّ بيعة أبي بكر لم تتمّ ولم يستقرّ له الأمر إلّا بعد أن بايعه الإمام عليه السلام وتبعه بنو هاشم، إذ تحدّثنا بعض المصادر التاريخية عن المحاولات التي بذلتها قريش لإضعاف جانب الإمام علي عليه السلام وإرغامه على البيعة، من ذلك فقد ذكر الدينوري " توجّه أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة إلى منزل العباس بن عبد المطلب ليلاً ليجعلوا له في الحكم نصيباً، يكون له ولعقبه من بعده"، لكنهم لم يفلحوا في إقناع العبّاس بذلك، وبقي الإمام

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٩٩؛ ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٥٨٨.

(٢) أسلم: (اسم يطلق على عدة بطون وقبائل، والذين يعنيهم عمر هم أسلم بن أفصى، بطن من بطون خزاعة، وهم بنو أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمر من القحطانية، من قراهم وبرة وهي قرية ذات نخيل من أعراض المدينة، ينظر: كحالة، محمد رضا، معجم قبائل العرب، ط٥، (بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٥م).

(٣) الأخبار الموفقيات، ص٥٨٣.

علي عليه السلام ومن تبعه من آل بيته وأشياعه ستة أشهر لم يبايعوا حتّى ماتت فاطمة الزهراء عليها السلام فبايعوا[١].

وهذا ما أكده اليعقوبي في رواية له مفادها: " فلم يبايع علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ولم تمكث بعد أبيها الا خمسة وسبعين ليلة..."[٢]، وقال البلارذي: " لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة بعد ستة اشهر..."[٣].

يفهم من هذا النص أن فاطمة الزهراء كانت غاضبة عليها السلام من أبي بكر وعمر لاغتصاب حق الإمام علي عليه السلام، فيذكر ابن قتيبة: " فقال عمر لأبي بكر رضى الله عنهما انطلق بنا الى فاطمة فأنا قد اغضبناها، فانطلقا جميعاً، فأستاذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً، فأدخلهما فلما قعدا عندها حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام..."[٤].

ومن الواضح ما ذكر عن الإمام علي عليه السلام من نصوص في (نهج البلاغة) وما دار حولها من شروح وتعليقات أنّ الإمام عليه السلامقد حاول في الأيام الأُولى من مبايعة أبي بكر أن يسترجع حقّه، وقد وقفت السيدة الزهراء عليها السلام بجانبه.

لذلك لم يجد الإمام علي عليه السلام بدّاً من اتخاذ موقف حاسم بإزاء هذه التناقضات التي كادت أن تحدث شرخاً في الإسلام "إذ وجدت في اختلاف صحابة رسول الله عليه السلام ذريعة للتمرّد على الدّين"[٥]، حتّى لو كان ذلك على حساب حقّه؛ لأنّ مصلحة الإسلام تقتضي منه عليه السلام التضحية وهذا ما تبين لنا من قوله عليه السلام: "**فَمَا رَاعَنِي إِلا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإسلام يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإسلام وأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ**"[٦].

لذلك كانت بيعته لأبي بكر الذروة في تلك التضحية، إلّا أنّ تلك البيعة لم تأتِ عن طواعية ولم تحدث إلّا بعد جدلٍ طويلٍ، إذ سجّلت لنا بعض المصادر التاريخية جانباً منه[٧]، مقتصرةً على

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٦؛ ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٢٤، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠.

(٣) انساب الاشراف، ج١، ص٥٨٦.

(٤) الإمامة و السياسة، ج١، ص٢٠.

(٥) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠١.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٨٤.

(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢ – ١٣.

السرد لذلك لم نتمكّن من تمثيل الصورة الصادقة لمعاناته عليه السلام أثناء مجادلته عن ذلك الحقّ، ولكنّ (نهج البلاغة) قد نقل لنا ما قاله الإمام علي عليه السلام والتي توضح تلك المعاناة، من ذلك قوله في شأن من اغتصبوا حقّه وجاؤوا بتأويلات مفتعلة تعبّر عن نكثهم لما أوصى به الرسول عليه السلام: "**حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ عليه السلام رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ وغَالَتْهُمُ السُّبُلُ واتَّكَلُوا عَلَى الْوَلائِجِ ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ونَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ**"(١).

ومما تقدم يتبين لنا أنّ الإمام علياً عليه السلام يختلف مع أبي بكر وعمر اختلافاً بيّناً بشأن قضية الخلافة، وما امتناعه عن البيعة لأبي بكر في البدء(٢)، إلاّ تعبيرٌ واضحٌ عن ذلك.

وإنّ ما دار من جدلٍ بين الإمام علي عليه السلام وبين أبي بكر في اليوم الثاني بعد بيعة السقيفة يدلّ على الخلاف العميق بين وجهتي النظر لكليهما، ولكنّه خلاف "يقف عند حدّ النقاش والحوار وقرع الحجّة بالحجّة"(٣)، لاعتقاد الإمام علي عليه السلام بأنّ الاحتكام إلى السيف في مثل تلك الظروف الصعبة لن يكون لصالح الإسلام، لذلك فضل الإمام علي عليه السلام بالتسليم على اهتضام حقّه وألم فاضت به أعماقه، عبَّر عن ذلك الألم عليه السلام بقوله: "**أَمَا واللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ**"(٤).

فأحقّية الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد الرسول عليه السلام هو المحور الأساس الذي اعتمده في مواجهة من جادله من الصحابة بشأن ذلك، يقول له أبو عبيدة بن الجراح – إذ حاولوا إرغامه على التسليم لأبي بكر بالبيعة –: "**يا ابن عم إنّك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الأمر منك**"(٥)، فكان ردّه عليه السلام على تلك

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٣٣.

(٢) تذكر أكثر المصادر التاريخية انّ بيعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر لم تحدث إلّا بعد ستة أشهر؛ ينظر: الطبري، تاريخ الطبري: ج٣، ص٢٠٨؛ ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٠.

(٣) الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز (عن رجال النصف الأخير من القرن الثالث الهجري)، السقيفة بواسطة نهج البلاغة لابن أبي الحديد، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٧٩م)، ص٥٠.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٤.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢.

المقولة: "**يا أبا عبيدة أطال عليك العهد فنسيت أم نافست فأُنسيت؟ لقد سمعتها ووعيتها فهلا رعيتها!**" (١).

فمن الملاحظ أنّ الإمام عليه السلام لم يتطرّق إلى مسألة الأحقّية بالسنّ التي أثارها أبو عبيدة؛ لإدراكه أنّ عامل السنّ من العوامل المستحدثة ضمن ذلك الجدل؛ لافتقار الطرف المقابل إلى الحجّة؛ لأنّ الرسول عليه السلام حين أمَّر أُسامة بن زيد الأصغر سناً من المهاجرين الأوّلين لم يضع السنّ مقياساً لذلك التأمير(٢).

لذلك نستنتج إن قضية الخلافة من منظور الإمام عليه السلام كما هو منصوص عليها في (نهج البلاغة) أنّها حقّه المنصوص عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله والذي سُلب منه؛ إذ كرّر ذلك في كلّ مناسبة، فيذكر عليه السلام في خطبته الشقشقية قائلاً: " أَمَا واللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ" (٣).

إلّا أنّ ما حمله عليه السلام في نفسه من ألم لم يحل بينه وبين تقديم العون والمشورة كلّما دعت الحاجة لذلك؛ في الحياة السياسية في عهد أبي بكر.

اما موقف الإمام علي عليه السلام من الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر فأنه كان يرى الجهاد في سبيل الله تعالى له أهمية بالغة في تعاليم الدين الإسلامي وهو من اهم الوسائل التي اتبعها المسلمون الاوائل في نشر الإسلام في إرجاء العلم، فالإسلام دين عالمي كما دلت على ذلك كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿**وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**﴾(٤)، وقول تعالى: ﴿**وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾(٥)، وقال صلى الله عليه وآله: " بعثت الى الثقلين "(٦).

وكانت حركة الجهاد خارج حدود الجزيرة العربية قد بدأت منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فسرية مؤتة التي امر رسول الله صلى الله عليه وآله بتجهيزها سنة (٨هـ/٦٢٩م)، لمقاتلة الروم وبعض القبائل الشامية

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٣٠٧.

(٢)ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٣٠٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣؛ ينظر: الغفاري، عبد الرسول، الشقشقية دراسة موضوعية لشخصيات تصدّت للخلافة الإسلامية، الروضة الحيدرية، (النجف: د.ت)، ص٥٧.

(٤) سورة الانبياء: الآية: ١٠٧.

(٥) سورة سبأ: الآية: ٢٨.

(٦) ابن شهر اشوب، ابو عبد الله محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب ال ابي طالب، مطبعة الحيدرية، (النجف: ١٩٦٥م)، ج١، ص١٩٧.

المتنصرة، وكذلك سرية أسامة بن زيد التي أمر ﷺ بتجهيزها قبيل وفاته[١]، تعدان مقدمة للفتوحات الإسلامية[٢]، التي استمرت طوال عصر الراشدي والعصور الإسلامية اللاحقة.

لذلك قد تضمنت الحياة السياسية في نهج البلاغة الموقف الايجابي للإمام علي عليه السلام في نشر الدين الإسلامي بين الشعوب وذلك من خلال تقديم المشورة السياسية لأبي بكر بشأن الفتوحات عندما استشاره أبي بكر بشأن الحملة على الروم فأشار عليه السلام: "ان فعلت ظفرت"[٣]، وكانت الفتوحات الإسلامية من ضمن القضايا التي قدم فيها الإمام علي عليه السلام المشورة للخلفاء الراشدين.

ثالثاً:- قضية فدك في نهج البلاغة:

تعد قضية فدك من بين أخطر قضايا التاريخ الإسلامي، لأنها تحمل في طياتها بعداً خطيراً بالإضافة إلى بعدها الاقتصادي فمصادرة فدك كانت جزءاً من محاربة آل البيت(عليهم السلام) ومصادرة حقهم بالخلافة ووراثة رسول الله ﷺ كجزء من سياسية أبي بكر وعمر، فعبر الإمام عن ذلك بقوله: "بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ..."، ومما تقدم يتبين لنا من هذا النص من الخطبة فبعد أن توفّي الرسول عليه السلام وترك أموالاً وأراضٍ، كان يصرف أكثرها في مصالح المسلمين ولم يدّخر لنفسه إلّا قوته وقوت عياله، وهذه الأموال انتقلت من بعده إلى فاطمة الزهراء(ع) وهذا ما كان يقلق صنّاع السقيفة، لأنّ إعطاءهم فدك يؤكّد أحقّيتهم في الخلافة.

روى الطبرسي[٤] عن عمر بن الخطاب قال: " لما قُبض رسول الله عليه السلام جئت أنا وأبو بكر إلى عليٍّ، فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله؟ قال: نحن أحقّ الناس برسول الله عليه السلام وبما ترك، قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر، قلت: والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك، قلت: أما والله حتّى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا والعذرات".

بعد هذا الاجتماع خلى عمر بأبي بكر وقال له: «إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها فامنع عن عليٍّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً وأقبلوا إليك

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٩٧.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، (القاهرة، مؤسسة شباب الجامعية، ٢٠٠١م) ، ص١٢٥.

(٣) نهج البلاغة، ص٢١٨.

(٤) ابو منصور احمد بن علي (ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، الاحتجاج، ط٢، دار الاعلمي، (بيروت: دار الاعلمي، ١٩٨٣م)، ج٥، ص٢٨٨.

رغبةً في الدنيا ومحاماةً عليها، ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك»[1].

فالمتغلّبون على الحكم كانوا بحاجة إلى دعم موقفهم مالياً لاستمالة القلوب، وسدّ نفقات الجيش الذي جهّزه رسول الله عليه السلام وكذلك قتال المتمرّدين زائداً إسكات المعارضة وغيرها هذا من جانب.

وهذه النصوص تدل على ما بلغته فدك من القيمة المعنوية في النظر الإسلامي قصيدة دعبل الخزاعي التي أنشأها حينما رد المأمون فدك ومطلعها:

أصبح وجه الزمـــان قـــد ضـــحكا بـــــرد مـــــأمون هاشـــــم فـــــدكا[2]

وان فدكاً لم تكن أرضاً صغيرة بل كانت أرضاً واسعة ً تدر على صاحبها أموالاً طائلة تشكل ثروة مهمة ويدلّ على مقدار القيمة المادية لفدك قول أبي بكر لفاطمة الزهراء عليها السلام في حديث له معها حول فدك ان هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله فإن تحميل الرجال لا يكون إلا بمال مهم تتقدم به نفقات الجيش وما سبق من تقسيم معاوية فدك اثلاثاً وإعطائه لكل من يزيد ومروان وعمرو بن عثمان ثلثاً، فأن هذا يدل بوضوح على مدى الثروة في تلك الأرض فأنها بلا شك ثروة عظيمة تصلح لأن توزع على أشخاص ثلاثة من أصحاب الثراء العريض والأموال الطائلة[3].

فعلى الرغم من أهمية فدك الاقتصادية إلا ان ثورة الزهراء (عليها السلام) على حقها المسلوب وحق الإمام علي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله كما يذكر السيد محمد باقر الصدر «بل هي الثورة على أسس الحكم والصرفة التي أرادت فاطمة ان تقتلع بها الحجر الأساس الذي بني عليه التاريخ بعد يوم السقيفة ويكفينا لإثبات ذلك ان نلقي نظرة على الخطبة التي خطبتها الزهراء في المسجد أمام الخليفة وبين يدي الجمع المحتشد من المهاجرين والأنصار فأنها دارت حول امتداح علي والثناء على مواقفه الخالدة في الإسلام وتسجيل حق أهل البيت الذي وصفهم بأنهم الوسيلة إلى الله في خلقه وخاصة ومحل قدسه وحجته في غيبة وورثة أنبيائه في الخلافة والحكم...» [4].

فالمسألة إذن ليست مسألة ميراث بقدر الموضوع سلب حق في الخلافة وليست المطالبة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢١، ينظر: الخليلي، جواد جعفر، السقيفة أمّ الفتن، الروضة الحيدرية، (النجف: ١٩٦٥م)، ص٦٧.

(٢) الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، (بيروت: دار المعارف، ١٩٩٠م)، ص٤٩.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة، ج٣، ص١٥٠.

(٤) الصدر، محمدباقر، فدك في التاريخ، (بيروت: دار المعارف، ١٩٩٠م)، ص٤٩.

لعقار بل هي في نظر فاطمة الزهراء عليها السلام مسألة إسلام وكفر ومسألة نص وشورى إذ قالت: «**أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله تكبير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله لو تكافؤا عن زمان نبذة إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه وسار إليهم سيراً**»[١].

أمّا قوله عليه السلام: "**وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ ونِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ومَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغَيْرِ فَدَكٍ والنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وتَغِيبُ أَخْبَارُهَا وحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ والْمَدَرُ وسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ**"[٢].

قال الراوندي[٣]: "وسخت عنها نفوس آخرين هي نفوس أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وعترتهم ".

في حين يذكر ابن أبي الحديد "وسخت عنها نفوس آخرين، أي سامحت وأغفت، وليس يعني هاهنا بالسخاء إلّا هذا لا السخاء الحقيقي؛ لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلا غصباً وقسراً"[٤].

أما التستري ذهب إلى خلاف هذا، وقال: "ثم المراد بنفوس آخرين التي سخت عنها الأنصار إذ رأوا ذاك الأمر وسكتوا ولم يدفعوا"[٥].

ويذكر الشيخ حسن زاده الآملي في تتمته لكتاب منهاج البراعة إذ قال بعدما نقل رأي ابن أبي الحديد: " يمكن أن يكون المراد من الآخرين هم الأنصار حيث سكتوا عن مطالبة حقّهم وقعدوا عن نصرتهم لاسترداده وإن لم يبخلوا بكونها في أيديهم وهذا هو الظاهر، لأنّه عليه السلام في مقام الشكوى إلى الله عمّن ظلمه وأهله في غصب فدك، وقد سامح الأنصار في نصرته لردّها بعد مطالبتها من جانب فاطمة الزهراء عليها السلام"[٦].

أمّا لماذا لم يسترجع أمير المؤمنين عليه السلام، فدكاً لما آلت إليه الخلافة، فأولاً إنّه عليه السلام فلا يوجد

---

(١) الصدر، فدك في التاريخ، ص٥٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٤٧.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة، ج٣، ص١٥٠.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٢٠٨.

(٥) التستري، محمد تقي (ت: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: مؤسسة نهج البلاغة، دار أمير كبير للنشر، (قم: ١٩٩٧م)، ج٥، ص٣٣١.

(٦) ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ج٥، ص١٠٢.

جزم ان الإمام علي عليه السلام لم يسترجع فدكاً في نهج البلاغة عندما ذكر أنه عليه السلام ولم يدّخر لنفسه شيئاً، وقال أيضاً عليه السلام: "**فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً ولا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً ولا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً ولا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً... ومَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغَيْرِ فَدَكٍ والنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وتَغِيبُ أَخْبَارُهَا**"(١).

أوضح أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: أعمال الخلفاء من قبل "قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين خلافه ناقضين لعهده مغيّرين لسنّته ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت مما عهد رسول الله عليه السلام لتفرّقت عنّي جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه عليه السلام"(٢).

وثالثاً: يذكر الشيخ الطوسي رحمه الله(٣) في كتابه الاقتصاد " وفي أصحابنا من قال: إنّ الخصم في فدك كانت فاطمة عليها السلام وأوصت إلى الإمام علي عليه السلام بأن لا يتكلّم فيها، لتكون هي المخاصمة يوم القيامة لما جرى بينها وبين من تبعها من الكلام المعروف، حتى قالت له: "سيجمعني واياك يوم يكون فيه فصل الخطاب".

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام عن سبب ذلك: "لأنها اهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا الا هو يعني الله عز وجل – ونحن اولياء المؤمنين انما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا"(٤)، مؤكداً قول أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذكر القوم في فدك "ونعم الحكم الله" أي ان الله تعالى هو الذي سيحكم فيها.

ثم أكد الإمام عليه السلام على لزوم الاهتمام بالأخرة وما سيؤول إليه الإنسان والتذكير بالدين والدنيا مما يدل على زهده عليه السلام وكلك يوضع الغرض من إصرار سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام على حقها لم يكن لأغراض دنيوية بل كان الهدف منه فضح الخلافة الحاكمة المتغلبة عليها لباس الشرعية الذي تقمصته دون استحقاق(٥).

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٤٧.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٤٧.

(٣) ابو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، امالي الشيخ الطوسي، الوفاء، (بيروت: ١٩٦٥م)، ج٢، ص١٠٢.

(٤) الطوسي، أمالي الطوسي، ج٢، ص ١٠٣، جعيط، هشام، الفتنة جدلية اليدين والسياسية في الإسلام المبكر، (بيروت: دار الطبعة، ١٩٩٢م) ص٣٣.

(٥) الكليني، الكافي، ج٣، ص١٣٥.

رابعاً :- موقف الإمام علي عليه السلام من حروب الردة:

ليس بين أيدينا إشارات كثيرة إلى موقف الإمام علي عليه السلام من حروب الردة في نهج البلاغة سوى لما نصه: "**فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإسلام، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإسلام أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلاَئِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الاْحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ...**"(١).

فمن خلال هذا النص نفهم أن الإمام علي عليه السلام لم يكن مندفعاً خوض غمار هذه الحروب واكتفى بالمشاركة في الدفاع عن المدينة من غارات القبائل المرتدة ففي رواية تفرد بها الطبري(٢): "أن علي بن أبي طالب كان أحد الذين تولوا الدفاع عن المدينة..."، وهذه الرواية وان كانت سليمة من الناحية المنطقية فليس من المستبعد أن يؤدي الإمام علي عليه السلام واجبه في الدفاع عن معقل الإسلام والمسلمين إذا ما تعرض للتهديد المباشر من اية جهة كانت وهذا ما استنتاجه من قول الإمام علي عليه السلام في النهج ومن رواية الطبري في هذه القضية، الا ان هذين النصين يبيان الموقف الحقيقي للإمام علي عليه السلام من الحرب ولا سيما اذا ما رجعنا الى رواية اليعقوبي(٣) التي جاء فيها: "... فخرج أبو بكر إلى ذي القصة، ودعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنك ذو رأي قريش وقد تنبأ فما ترى في علي؟ قال: لا يطيعك..."، ومعنى هذا رفض الإمام علي عليه السلام القتال ضد القبائل العربية التي وصفت بالمرتدة، وهذا كان امر متوقع الحدوث إلى حد بعيد مما جعل أبي بكر يختار خالد بن الوليد لقيادة الحملات هذه المهمة.

والسؤال هنا لماذا الإمام علي عليه السلام له مثل هذا الموقف تجاه هذه الحروب؟ فقد حاول احد الباحثين الإجابة على هذا السؤال في مناقشة لعدم مشاركة الإمام علي عليه السلام وآل عبد المطلب في حروب الردة فقال: "ويعتقد أن عدم اشتراك عبد المطلب في حروب الردة يعود الى ان هذه الحركات حصلت في خلافة أبي بكر التي ترافقت مع امتناع آل المطلب عن البيعة ومن ثم

---

(١) نهج البلاغة، ص١٥١.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٠٤-٤١٥؛ ينظر: راجح، الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في مؤلفات مؤرخي القرن الثالث الهجري)، ص١٣٨، جعيط، الفتنة، ص٣٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٨٧.

اعتزالهم العمل السياسي فيما يخص تلك الحركات، اضافة إلى الضبابية التي اكتنفت هذه الحركات من حيث شرعت أهدافها، فيما اذا استثنينا المتنبئين مثل مسيلمة الكذاب وسجاح..."[١].

وعلل ذلك التشكيك باعتراض عمر بن الخطاب على مقاتلة ابي بكر لحركات الردة قائلاً: "كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال: لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه بحقه وحسابه على الله"[٢].

لذلك يتبين لنا ظهور حركات الردة، ومنع الزكاة، نتيجة لعوامل عدة فيها يظهر عدد من المتنبئين في الجزيرة العربية وصدمة وفاة النبي ﷺ التي لم تتوقعها بعض القبائل العربية[٣]، فضلاً عن عدم إيمان كثير من الأعراب برسالة الإسلام أساساً[٤]، كما جاء في الآية الشريفة: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥]، لكن هناك عاملين ساعد قيام مثل هذه الحركات كثيراً.

أولها تأجج الروح القبلية بشكل غير مسبوق في عصر الرسالة فكثير من القبائل العربية ارتدت أو منعت الزكاة كانت تعتقد أن قريش قد استأثرت بالأمر بعد رسول الله ﷺ مما دعاها الى محاولة الانفصال عن سلطة (قريش) والانضواء تحت لواء أي (نبي) اخر يكون اقرب اليها نسباً خصوصاً اذا ما علمنا ان بعض الناس لم يكونوا مقتنعين بنبوة المتنبئين، بل أنهم متأكدين من نبوة محمد ﷺ لكن ما دفعهم لاتباع هؤلاء المتنبئين هو تعصبهم القبلي قال الطبري: " عن عمير بن طلحة النمري عن أبيه أنه جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة فقالوا: من رسول الله لا حتى اراه، فلما جاءه، قال انت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك، قال: رحمن، قال: افي نور او في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر! فقتل معه يوم عقرباء"[٦].

---

(١) القريشي، علي كريم عباس، آل عبدالمطلب وآثرهم في الحياة العامة في نهاية العصر الراشدي، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بابل، كلية التربية ٢٠٠٩م)، ١٣٢.

(٢) القريشي، علي كريم عباس، ال عبد المطلب واثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي، ص١٣٢.

(٣) النيسابوري، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤ م)، الجامع الصحيح، دار الفكر، (بيروت: د.ت)، ج١، ص٣٨.

(٤) حتي، فليب، تاريخ العرب، ط١٢، دار الكشاف، (بيروت: ٢٠٠٧م)، ص١٩٨.

(٥) سورة الحجرات: الآية: ١٤.

(٦) عقرباء: منزل من ارض اليمامة خرج اليها مسيلمة الكذاب لما علم بقدوم خالد بن الوليد اليه وفيها جرت

أما العامل الثاني: هو أن شخصية الخليفة أبو بكر لم تكن شخصية مقتنعة للقبائل العربية مع وجود شخصية أخرى أكثر اتصافاً بالنبوة واقرب نسباً وصهراً بالرسول ﷺ وهي شخصية الإمام علي عليه السلام خصوصاً اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار أن كثيراً من افراد هذه القبائل هم ممن حضر او سمع بيوم غدير خم، وهذا ما يتضح من التصريحات التي صدرت من بعض الممتنعين عن دفع الزكاة ان قليل طيىء كانت تلقى قبيلة بني اسد وفزراة قبل قدوم خالد عليهم ،: فيتشاتمون ولا يقتتلون فتقول اسد وفزارة لا والله لا نبايع ابا الفصيل ابداً فتقول لهم خيل طيىء: اشهد ليقاتلنكم حتى تكنوه ابا الفحل الاكبر"[1]، ورفض بنو عبد مناة من بني ذبيان البيعة لأبي بكر، وقال شاعرهم عبد الله الليثي:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لابي بكر
أيورثها بكراً اذا مات بعده فيا لعباد الله قاسمة الظهر[2]

ولعل ابن اعثم الكوفي كان اكثر المؤرخين صراحة بأن رفض بعض القبائل البيعة لابي بكر كان بسبب تفضيلها للإمام علي عليه السلام اذ روى أن حارث بن سراقة أحد شيوخ كندة في حضرموت رفض البيعة لابي بكر وقال: "نحن انما اطعنا رسول الله ﷺ اذ كان حياً ولو قام رجل من اهل بيته لأطعناه، واما ابن قحافة فلا والله ما له في رقابنا طاعة ولا بيعة"[3]، كما يروي ابن اعثم قول الاشعث بن قيس لقومه: "ان كنتم على ما ارى فلتكن كلمتكم واحدة و الزموا بلادكم وحوطوا حريمكم وامنعوا زكاة أموالكم فإني أعلم أن العرب لا تقر بطاعة بني تميم بن مرة ولا تدع سادات البطحاء من بني هاشم الى غيره..."[4].

فمن خلال ما تقدم يمكن ان نفهم أن الإمام علي عليه السلام اكتفى في الدفاع عن المدينة من غارات القبائل المرتدة، لان قسماً لا يستهان به من هذه القبائل العربية التي خرجت على خلافة ابي بكر لم تكن خارجة عن الإسلام حتى وإن تزامن خروجها مع خروج المتنبئين الذي كان من شأن هذا الخروج أن يسهل مهمة هؤلاء الذين يهدفون الى أنهاء الإسلام ومحوه، ولعل الإمام علي عليه السلام ادرك خطورة الموقف عندما بايع أبي بكر حال قيام حركات الردة.

الواقعة بين الطرفين وقتل مسيلمة فعرفت الواقعة بيوم عقرباء، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٥.

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٦؛ جرداق، جورج، علي صوت العدالة الاجتماعية (النجف الأشرف، قسم الشؤون الفكرية العتبة العلوية، ٢٠١٢م)، ج٤، ص٥٧.

(٣) ابن اعثم، احمد الكوفي (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦م)، ج١، ص٤٩.

(٤) الفتوح، ج١، ص٤٩.

المبحث الثاني

موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٢م) من خلال نهج البلاغة

ليس هناك شكّ في أنّ تثبيت بيعة أبي بكر وتقويم أمر سلطته يرجعان إلى جرأة عمر ومبادرته بالمبايعة له في السقيفة على رؤوس الأشهاد، فلقد جاهد جهاداً مستميتاً في سبيل ذلك إلى الحدّ الذي جعله يعتبر الخلافة معركة، وفوز أبي بكر بها نصراً شخصياً له بعد أن بايعت قبيلة أسلم كما أسلفنا القول في ذلك.

وتحدّثنا المصادر التاريخية بأنّه قد حاول إرغام سعد بن عبادة على البيعة لأبي بكر بالإكراه لولا تصلّب سعد في امتناعه وتدخّل بشير بن سعد الأنصاري حسماً للنزاع وتجنّباً من الفتنة[١]، ولاعتداد عمر بمنزلته فقد اعتبر مبايعته لأبي بكر ملزمة للمهاجرين، إذ إنّها تعادل من وجهة نظره بيعة الأنصار كافة[٢]، ولم يدّخر جهداً لترسيخ دعائم تلك البيعة بملاحقة المتخلّفين عنها[٣].

يذكر ابن أبي الحديد "عمر هو الذي ثبت بيعة أبي بكر فلم يألُ جهداً لترسيخ دعائم تلك البيعة بملاحقة المتخلفين عنها فكسر سيف الزبير لما جروه ودفع في صدر المقداد ووطئ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المسكك، وعذيقها المرجب، وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين وأخرجهم منها ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر ولا قامت له قائمة"[٤].

استمرّ عمر يشدّ من أزر أبي بكر، ويقوم مقامه طيلة خلافته، فقد كان يصلّي بالناس نيابة عنه أثناء تغيّبه عن المدينة[٥]، وكان أبو بكر لا يمضي أمراً دون مشورة عمر بن الخطاب، وكان يرجح رأيه في كثير من الأحيان على آراء جماعة المسلمين[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٢٢؛ ينظر: ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٣.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١١.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١١.

(٥ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٣٢.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٢، ص١٤٨.

فمواقف عمر تلك والمكانة التي تبوّأها في عهد أبي بكر جعلت الإمام علياً عليه السلام ينظر إليه ومنذ البداية على أنّه المؤهّل للأمر بعد أبي بكر، وهو ما يمكن استخلاصه من قوله عليه السلام حين قال له عمر "إنّك لست متروكاً حتّى تبايع" فقال له الإمام علي عليه السلام: "احلب حلباً لك شطره، واشدد اليوم أمره يردده عليك غداً"(١).

إنّ التحليل المنطقي للحوادث يكاد يعزّز ما قاله الإمام عليه السلام، فقد حسم أبو بكر أمره منذ الوهلة الأُولى التي تسلّم فيها الخلافة على تجريد الهاشميين من كلّ ما يمكن وراثته عن النبي عليه السلام بما في ذلك الخلافة بوضعها في قريش عامّة، وفي عمر بن الخطاب على وجه الخصوص، فقول عمر لعبد الله بن عباس " لولا رأي أبي بكر في بعد موته لأعاد أمركم إليكم"(٢)، يتضمّن هذا النص الاختيار المسبق لعمر والإبعاد المتعمّد لآل البيت عن حقّهم، بدلالة قوله "أمركم إليكم" أي تعني الاختصاص والأحقّية؛ ثمّ انّ عهد أبي بكر لعمر يؤكّد مقولة الاستخلاف للنص فيه على "أمّا بعد فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب"(٣).

ممّا يتعارض ومقولة الترشيح الذي لا يمكن تحوّله إلى استخلاف إلّا بعد موافقة المسلمين(٤)،إذ لا يمكن استخلاص أيّة عبارة تنمّ على الترشيح من سياق العهد المذكور حتّى ولو حاولنا التعسّف في تأويل العبارات، لثبات نصّ الاستخلاف في سياقها إضافة إلى ذلك فإنّ قول أبي بكر للمسلمين "فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة وإنّي قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا"(٥)، يتبين لنا على أنّ هناك سابقة استخلاف بالقرابة يحاول أبو بكر إبعاد مثلها عن نفسه، وأنّ الأمر بالسمع والطاعة للمستخلف هو بعيد عمّا قيل من شورى؛ إذ لو كان أبو بكر يريد من قوله الشورى لجعل الاستخلاف في صيغة اقتراح لا في صيغة أمر مؤكّد متبوع بالسمع والطاعة(٦).

وإذا ما حاولنا ترتيب عهد أبي بكر لعمر ترتيباً زمانياً، فسنجد المصادر التاريخية التي أرخت لذلك تكاد تتفق كلّها على إنّ سؤال أبي بكر لكلٍّ من عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١١.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٩٠؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٢٢.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩٢.
(٤) حسين، طه، الشيخان، ط٧، دائرة المعارف، (القاهرة: ١٩٨١م)، ص٤٨.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩٢.
(٦) العريض، فكر الإمام علي بن ابي طالب في نهج البلاغة، ص٢٢٧.

عفان قبيل كتابه عهد الاستخلاف كان محصوراً في شخص عمر بن الخطاب[1]،دون غيره من الصحابة، مما يعني على ما يبدو أنّ أبا بكر قد بنى أمره على النص لعمر وما ذاك السؤال إلّا من قبيل التمهيد، ثم انّ ذاك السؤال من أبي بكر لم يأتِ إلّا بعد إيمانه التام بكفاءة عمر فهو يقول لعبد الرحمن بن عوف عن غلظة عمر "لو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه"[2]

محاولة أبي بكر التكتّم على قضية الاستخلاف وحصر خبرها في اثنين دون العشرة المكوّنة من الصحابة الذين حصرت بعض المراجع مجلس الشورى فيهم[3]،مع ملاحظة انّ أولئك العشرة لم يصبحوا مستشارون إلّا بعد موت ثلاثة منهم رابعهم عمر بن الخطاب أضف إلى ذلك فإنّ هؤلاء لم يجتمعوا بأكملهم أبداً للتداول في أمر الخلافة أو غيرها من شؤون الحكم، كما أنّ التاريخ لم يحدّثنا إطلاقاً عن اتفاق على شأن من شؤون الأمّة وتحاشي أبي بكر وكتمانه أمر الاستخلاف عن بعض أفرادها"[4]، تذكر المصادر التأريخية انّ أبا بكر لما أراد أن يعقد الخلافة لعمر بن الخطاب دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل٠٠٠ فقال أبو بكر: لا تذكر يا أبا محمد، قلت لك شيئاً ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر: فقال: أنت أخبر به، فقال أبو بكر: علي ذاك يا أبا عبدالله، قال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته... قال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبدالله، لا تذكر ما ذكرت لك شيئاً " فمن الملاحظ أنّ استشارة أبي بكر قد اقتصرت على اثنين فقط من أهل الشورى دون غيرهما، وتحديد الاستشارة في عمر بالذات وتبرير غلظته، مما يعني أنّه تمهيد لعقد الخلافة لشخص عمر وليس استشارة، ويعزّز ذلك الاعتقاد ومحاولة أبي بكر التكتم على الخبر حتى لا تتمّ معارضته قبل أن يتمّ.

كما حدث في أمر الإمام علي عليه السلام وهو زعيم الهاشميين وأحد أفراد الشورى، ممّا يعني أن تشكيل تلك الهيأة الاستشارية من اختراع المؤرّخين المحدثين بناءً على استنتاجات تأريخية لا تمتّ

---

(١) العريض، فكر الإمام علي بن ابي طالب في نهج البلاغة، ص٢٢٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٢٨.

(٣) العشرة هم: أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، يذكر أنهم وردت فيهم أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله تبشّرهم بالجنة، إلا أنّ تلك الأحاديث لم تتضمن أنهم أهل الحلّ والعقد ولا أنهم أهل الشورى. ينظر: أبو جعفر أحمد، الرياض النضرة (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ج١، ص٣١ – ٣٨.

(٤) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩١.

للواقع بصلة، فأبو بكر كما يرى الإمام علي عليه السلام لم يتسلّم الخلافة إلّا بتعضيد من عمر ودون علم معظم من سُمّوا بهيأة الشورى وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام الذي كان متواجداً مع أبي بكر في بيت النبي عليه السلام حين مجيء عمر وأسرّ لأبي بكر خبر اجتماع السقيفة[١]، دون غيره ممّن كانوا حول النبي في تلك الساعة، ثم إنّ سرّية العهد لم تحل دون علم بعض الصحابة ومن ثمّ اعتراضهم عليه، من ذلك قول طلحة بن عبيد الله أحد أفراد الشورى لأبي بكر "استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربّك"[٢]، فلو كان الاستخلاف متوالداً عن مشورة لما جاءت مقولة طلحة للخليفة المريض بهذه الحدّة المتضمّنة التهديد بعقاب الله، ثمّ انّ أبا بكر ذاته يؤكّد استخلافه لعمر ضمن ردّه على طلحة في قوله "أبالله تخوّفني؟! إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك"[٣].

علماً بأنّ الحوار الحادّ الذي دار بين أبي بكر وطلحة يأتي قبل كتابة العهد وقبل أمر أبي بكر للمسلمين بالسمع والطاعة لعمر، مما يرجّح أنّ الاستخلاف قد كان وارداً قبل المداولات التي جرت فيما بعد لأخفاء الشرعية عليه، إذ يمكن الاستنتاج مما ذكر عن الإمام علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية **ما نصه:"... حَتَّى مَضَى الأوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الأعْشَى:**

شَتَّانَ مَـا يَـوْمِي عَلَـى كُورِهَـا ويَوْمُ حَيَّـــــانَ أَخِـي جَـــــابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا"[٤]، قد أدلى بالخلافة إلى عمر ولولا ذلك لما تعدّاه أبو بكر.

ومما تقدم لا يمكن قبول قول من قال بأنّ "خلافة عمر لم تتمّ بعهد من أبي بكر"[٥]، لأنّ القائل قد بنى استنتاجه ذاك على أساس أنّه ليس من حقّ الخليفة أن يعهد لمن بعده، لكن ذلك يتعارض مع قول من تحدّثوا في الإمامة من فقهاء السنّة، لأنّهم قد أجازوا عهد الخليفة لمن بعده[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٢.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩٢؛ الغفاري، السقيفة، ص٦٠.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩٢؛ جعيط، الفتنة، ص٥٥.
(٤) نهج البلاغة، ص٣٣؛ الغفاري، السقيفة دراسة موضوعية ،ص٦٠.
(٥) عبد الكريم، فتحي، الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، ط٢، مكتبة وهبة، (القاهرة: ١٩٨٤م)، ص٢٤٧.
(٦) مآثر الانافة، ج١، ص٤٠ ــ ٤٨.

وبشأن أهمّية الاستخلاف تقول عائشة لعبدالله بن عمر حين بلغها الاعتداء على الخليفة عمر في المسجد "يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمّة محمّد عليه السلام بلا راعٍ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة"(١).

فمحاولة إلباس عهد استخلاف عمر ثوباً من الديمقراطية بادّعاء اشتراك المسلمين في اتخاذه، ومشاورتهم فيه لا ينفي كونه قراراً فردياً في نظر الإمام علي عليه السلام(٢)، كما ورد في نهج البلاغة "**حَتَّى مَضَى الأوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ**"(٣).

وخرج ابن أبي الحديد العبارة طبقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ**﴾(٤)، "أي تدفعوها لهم رشوة... لما كان عليه السلام يرى أنّ العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق"(٥).

ومهما بلغت الحدّة في نقده لخلافة أبي بكر ومن بعده خلافة عمر فهي لا تخرج عمّا ذكره التاريخ في شخصيهما، فالاختلاف هنا يكمن في طريقة التناول، فالإمام قد عبّر عن نقده بأُسلوب ساخط ممزوج بالألم، وأن أبا بكر قد قال في مطلع خلافته عليه السلام مستقيلاً عبء الخلافة فيها "لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي"(٦)، وقد تناول الإمام علي عليه السلام ذات التعبير في معرض الاستغراب والتعجب من التناقض بين القول والفعل، إذ بينما يبدي أبو بكر الزهد في الخلافة بعد وفاته معبراً عن ذلك بقوله: "**فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ**"(٧).

لأنّ المفروض من وجهة نظر الإمام عليه السلام على أنّ "من يستقيل من أمر على ظاهر الحال يجب أن يكون زاهداً متبرّماً منه... ومن عقده لغيره ووصّى به إلى سواه فهو على غاية التمسّك به"(٨).

فإذا كان الإمام علي عليه السلام ينكر على أبي بكر ذلك، فإنّه في ذات الوقت ينتقد شخص عمر

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٣.

(٢) فقد اتفق شرّاح النهج على تفسير (أدلى بها) في سياق الخطبة طبقاً للقول "أدلى ماله إلى الحاكم، إذا دفعه إليه رشوة" ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٤؛ الراوندي، سعيد بن هبة الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١، ص١٢٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣.

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٨٨؛ ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١١٨.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٤.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٤؛ نهج البلاغة، ص٨٩.

(٧) نهج البلاغة، ص٣٣، ومعنى يستقيلها (يطلب الإعفاء منها).

(٨) الراوندي، منهاج البراعة، ج١، ص١٢٥.

المعقود له الأمر من بعد حين يصفه بالخشونة وعدم الثبات في الأحكام بحيث أصبح عهده من حيث الفتيا والقضاء لا يلتزم منهجاً معيناً، فقد كان عمر بن الخطاب "ما يحكم بالأمر ثمّ ينقضه ويفتي بالفتيا ثم يرجع عنها، ويعتذر مما أفتى به"(١).

مثال ذلك أنّه قضى في توريث "**الجد مع الأخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم في هذه المسألة، فقال: من أراد أن يقتحم جراثيم جهنم فليقل في الجد برأيه**"(٢).

هذا بالإضافة إلى حدّة مزاجه وسرعة غضبه، وقد تمثّل الإمام عليه السلام كل تلك الصفات في خطبته الشقشقية "**فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ**"(٣).

وبغض النظر عن حدّة الخطبة، فمن المرجّح أنّ ما ورد فيها من نقد لا يخرج عمّا قاله التأريخ فيها ووصف به نفسه، فعبد الرحمن بن عوف يقول لأبي بكر حين سأله عن عمر "فيه غلظة"، وفي خطبته الأُولى بعد توليه الخلافة يقول عمر "**اللهم إنّي غليظ فليّني لأهل طاعتك... اللهم إنّي شحيح فسخني في نوائب المعروف، اللهم أرزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين...**"(٤)، فما قاله الإمام علي عليه السلام في عمر لا يتعدّى ما قاله عمر عن نفسه، فالغلظة والجفاف وسرعة الغضب من طبع عمر حتّى قيل إنّه "إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتّى يعض يده"(٥).

لذلك فبالرغم من الاختلاف في وجهات النظر بينه وبين الإمام علي عليه السلام فلم يكن عمر يتردّد في استشارة الإمام علي عليه السلام كما لم يبخل الإمام علي عليه السلام من إبداء المشورة والنصح بروح ملؤها التسامح والصدق لأنّ الغاية بقاء الإسلام قوياً وعزيزاً.

لقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب كثيراً من المشاركات القضائية والفقهية(٦)، التي أسهم الإمام علي عليه السلام في عهد عمر بن الخطاب الذي كان يتعوّذ من "معضلة ليس لها أبو الحسن"(٧)،

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص١٧١.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٧١.
(٣) نهج البلاغة، ص٣٣.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤، ص٦٥؛ ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٢، ص٣١.
(٥) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦٠٢.
(٦) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، تذكرة الخواص، دار اهل البيت، (بيروت: ١٩٨١م)، ص١٣٥.
(٧) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٣٩.

ومن الأقوال المشهورة عن عمر في حقّ الإمام عليه السلام "لولا علي لهلك عمر"[1]، وقول: "وعلي أقضانا"[2]، وقول آخر: "**أنت أحسنهم فتوى**"[3].

مما تقدم نستخلص أن موقف الإمام علي عليه السلام السياسي تجاه عمر بن الخطاب من خلال نصوص (نهج البلاغة)، فإذا كان الإمام علي عليه السلام قد تحدّث عن غلظة عمر وخشونته فإنّه في الجانب الثاني قد قدّم له من الآراء السياسية ما فيه دلالة على عمق نظرته لوقائع الأُمور عمّا تنبئ عن إخلاصه وصدق اجتهاده في النصح، ففي النهج ثلاثة نصوص يمكننا اعتبارها في غاية الأهمية من الناحية السياسية:

الأول: في بيان الصلاحية الشرعية التي تخوّل للحاكم استعمال الأموال الخاصة لتجهيز الجيوش الإسلامية وتنطلق وجهة نظر الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن من أحكام القرآن وسنّة النبي صلى الله عليه وآله في أحكام توزيع المال ووضعه في المواضع التي خصّصها له الشرع " فلا يجوز التصرّف في شيء من الأموال والمنافع إلّا بإذن شرعي"[4]، وعلى هذا الأساس لما استشار عمر الإمام عليه السلام في تجهيز جيوش المسلمين بما كان في الكعبة من حلي ومال، قال له "**أن القرآن أنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض والفيء فقسّمه على مستحقّيه والخمس فوضعه حيث وضعه والصدقات فجعلها الله حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذٍ فتركه الله ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً فأقرّه حين أقرّه الله ورسوله**"[5].

فالقضية الأساسية التي من أجلها أراد عمر التصرّف في حلي الكعبة سياسية إذ أراد تجهيز جيوش المسلمين بتلك الأموال، ولكنّ الإمام عليه السلام اعتبرها فرعية إزاء الحكم الشرعي ممّا يعني من وجهة نظره عليه السلام عدم التصرّف في ممتلكات الدولة الإسلامية إلّا في ظلّ الشرع، وعلى ما يبدو من خلال موقف الإمام علي عليه السلام ذاك ان الفرق بين الشريعة والسياسة من وجهة نظرة عليه السلام السياسة هي الطاعة للشريعة"[6].

لذلك فقد عمل عمر بمشورة الإمام عليه السلام دون غيره من المسلمين الذين أشاروا عليه

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٣٩.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٣٣٩.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٢٣٩.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص١٥٨.
(٥) نهج البلاغة، ص٥٦٠؛ جعيط، الفتنة، ص٥٥ ــ ٥٦.
(٦) العريض، فكر الامام علي عليه السلام، ص٢٣٢.

بالتصرف، فترك حلي الكعبة على حالها قائلاً لعلي عليه السلام: " لولاك لافتضحنا "[1].

أمّا النصّان الآخران: فتتمحور الاستشارة في كليهما حول القيادة لجيوش الإسلام، فحين أراد عمر بن الخطاب أن يقود جيوش المسلمين لغزو الروم فقدّم الإمام علي عليه السلام له النصيحة بقوله: "**إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلادِهِمْ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً واحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاءِ والنَّصِيحَةِ فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ ومَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ**"[2].

وفي جانب آخر من إبداء الإمام المشورة لعمر بن الخطاب، فعندما حاصر المسلمون ايلياء سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م) اشترط بطريقها حفروينوس على أبي عبيدة بن الجراح ان يأتي الخليفة عمر بن الخطاب شخصياً ليتسلمها ويوقع معاهدة الصلح من تعرض كنيتهم العظمى لأعمال التخريب فكتب أبو عبيدة بذلك الى عمر بن الخطاب الذي قرأ الكتاب على الصحابة واستشارهم في الامر فسمع رأي عثمان: "فقال الإمام علي عليه السلام: نعم عندي غير هذا الرأي وانا ابديه لك، فقال عمر وما هو يا ابا الحسن؟ قال: " ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين وقد اصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام رأي أنك إن سرت إليهم فتح الله هذه المدينة على يديك كان في مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ او مخمصة وفي قطع كل وادٍ وصعود جبل حتى تقدم اليهم، فأذا انت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست امن ان يأسوا منك ومن الصلح ويمسكوا خصمهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل فلا يتخلفون عنه والصواب ان تسير اليهم ان شاء الله تعالى، ففرح عمر بن الخطاب بمشورة علي وقال: احسن علي المشورة للمسلمين فجزاه الله خيراً فلست اخذاً الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الغرة "[3]، فاستخلف عمر الإمام علي عليه السلام على المدينة وسار الى ايلياء ووقع هناك المعاهدة مع بطارقتها [4].

وفي قتال الفرس استشار الإمام علياً عليه السلام في ذلك أيضاً فنصحه الإمام عليه السلام في هذا النص: "**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ ولا خِذْلانُهُ بِكَثْرَةٍ ولا بِقِلَّةٍ وهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وجُنْدُهُ الَّذِي**

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص١٥٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٢٠؛ الكتبي، محمد بن شاكر، (ت٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر، (بغداد: دار الحرية للطباعة ١٩٧٧م)، ص٣٠٦.

(٣) الواقدي، ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧م)، ج١، ص٢٢٧.

(٤) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٢٧.

أَعَدَّهُ وأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ونَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ واللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ونَاصِرٌ جُنْدَهُ... فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ"[1].

فمنع الإمام علي عليه السلام عمر من الخروج بنفسه للغزو ومنها "لمنح الخروج بنفسه فأقام عمر بن الخطاب وبعث سعد بن أبي وقاص على رأس جيش كبير انتصر على الفرس في معركة القادسية سنة (١٦هـ/ ٦٣٧م).

وذكر الطبري[2] رواية أخرى أن عمر بن الخطاب لما علم بتجمع الفرس في نهاوند فكر بالخروج بنفسه أيضاً فأستشار الإمام علي عليه السلام فنهاه عن ذلك النعمان بن مقرن المزني بذلك، وأورد ابن ابي الحديد كلام الإمام علي عليه السلام مع عمر بن لخطاب بهذا الشأن جاء فيها: " فقام علي بن ابي طالب عليه السلام فقال: ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة وانما هو دينه الذي اظهر وجنده الذي أعز وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ فنحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فإن الخل تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجمع بحذافيره ابداً، والعرب اليوم تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجمع بحذافيره ابداً، والعرب اليوم وان كانوا قليلاً منهم كثير عزيز بالإسلام فأقم واكتب إلى آهل الكوفة منهم اعلام العرب ورؤساؤهم ومن لم يحفل بمن هو اجمع واحد واجد من هؤلاء فيأتهم الثلثان وليقم الثلث واكتب إلى أهل البصرة ان يعدوهم ببعض من عندهم، فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم"[3].

والتأمل في هذه النصوص يجد أن الإمام علياً عليه السلام لم يكن ليقدم لعمر بن الخطاب مجرد مشورة أو موافقة أو اعتراض، بل كان عليه السلام يعطيه خطة متكاملة للتعامل مع الموقف من الناحتين السياسية والعسكرية، فقد حذره من مخاطر المسير بنفسه من حيث ان فقدانه قد يؤدي الى انفراط عقد الأمة الإسلامية، أو قد يهيج مسيرة الجبهة الداخلية فينشغل بها وتتوقف عمليات الفتوح، اما من الناحية العسكرية فقد يؤثر خروج الخليفة في نفوس جيش العدو اذ يكون أدعى لاندفاعهم في محاولة قتله الفرس يعدونه اصل العرب وفي قتله نهاية الإسلام، مما يزيدهم شدة في القتال مبيناً له كيفية مواجهة الموقف بأن يمد أهل الكوفة بالثلث من أهل البصرة ويبقى الثلثان للحماية

---

(١) نهج البلاغة، ص٥٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٦٦.

ومواجهة العهد اذ ما أرادوا وثوباً محذراً اياه من استدعاء أهل الثغور في الشام واليمن خشية استغلال الموقف من قبل الروم واهل الحبشة[١].

هذه الآراء الناضجة التي كان الإمام علي عليه السلام يقدمها للخلفاء، لا تعد دليلاً على ايجابية موقفه النظري من سياسية الفتوحات الإسلامية فحسب، بل هي دليل على مساهمة فاعلة وان كانت غير مباشرة في ادارة عمليات الفتوح قد تفوق في اهميتها المساهمة العربية.

ولكن تلك المعاناة الشخصية لم تكن لتؤثّر على تصرّفاته كوريث لحكمة النبي صلى الله عليه وآله وعلمه لأن رفضه الاسلام هي الغاية ؛ لذلك كان تعاونه مع عمر بن الخطاب نابع من الغاية في مصلحة الإسلام والمسلمين [٢].

إلّا أنّه بجانب ذلك الإخلاص، فقد حزّ في نفسه عليه السلام أن يرى حقّه في الخلافة يؤخذ لمرة أخرى بعد عمر، دون أدنى حقّ إلّا المفاضلة المبنية على العصبية التي مقتها الإسلام، وفي هذا الصدد يقول الإمام عليه السلام: "**حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَة زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَالله وَلِلشُّورَى ! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْاوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هذِهِ النَّظَائِرِ !لكِنِّي أَسفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، وَمَالَ الْاخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَن وَهَن, إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجَاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ الله خَضْمَ الْابِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُه**"[٣].

فمن خلال النص يعترض الإمام علي عليه السلام على مبدأ الشورى، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل من خلال النهج.

ثانياً: – وموقف الإمام علي عليه السلام من الشورى في نهج البلاغة

توضح المصادر التاريخية الناقلة لحوادث هذه المدة أنّ ذلك الاختيار من قبل عمر بن الخطاب لم يكن وليد ساعته، فعندما أحس عمر بميولات بعض أصحاب الشورى وان فكرة استخلاف الإمام علي عليه السلام بدأت تترسخ في أذهان بعض أصحابه وبني هاشم وبعدما انتهى إلى سمعه أنّ الزبير قال: "لو قد مات عمر لبايعنا علياً عليه السلام"[٤].

---

(١) راجح، الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ص١٤٧.

(٢) نهج البلاغة ،ص٣٣؛ الحلو، ناصر هادي، القضية السياسي عند الإمام علي عليه السلام، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، (جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠١٤م) ص١١٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣١؛ ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٦٥٧.

يذكر ابن أبي الحديد[1] ما نصه: «فقد سبق من عمر عندما سمع قوم يقولون «لو قد مات أميرالمؤمنين أقمنا فلاناً» أنه قال يا ابن عباس ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس وعبدالرحمن بن عوف فيه حديث الفلتة وقد أكثر الناس في حديث الفلتة وذكرها شيوخنا المتكلمون فقال شيخينا أبو علي الفلتة ليست الزلة والخطيئة بل هي البغتة وما وقع فجاءة من غير روية ولا مشاورة واستشهد بقول الشاعر:

من يأمن الحدثان بعد جبيرة القرشي ماتا
سبقت منيته المشيب وكان منيته افتلاتا»

يعني بذلك (بغتة) دون مشاورة القوم والظاهر من عندما قال أيضاً (منه عاد إلى مثلها فاقتلوه) القصد أنه من يعود إلى أن يبايع من غير مشورة ولا يثبت صحة البيعة اقتلوه[2]، وكان موقف عمر بن الخطاب مواجهة هذا الاتجاه المؤيد لاستخلاف الإمام علي عليه السلام فقام يطرح فكرة الشورى حتى تطلب الأمر منه ان ينتقد طريقة استخلاف أبي بكر فوصفها (بالفلتة التي وقى الله شرها) كما اوضحنا أعلاه على الرغم من أنه كان عنصراً أساسياً في إكمالها وذلك في سبيل الغاء كل ما يتعارض وفكرة الشورى وآلياتها التي يمكن الافتراض أنها جاءت بالاتفاق مع عمر بن الخطاب من جهة وعبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان من جهة أخرى.

وكان قوم يقولون: "لو قد مات أمير المؤمنين أقمنا فلاناً، يعنون علي بن أبي طالب".

فما حدث في بيعة أبي بكر من مباغتة لا يرغب عمر أن يتكرّر مرّة أُخرى[3]، فيروي اليعقوبي[4] عن عبد الله بن عباس قال: طرقني عمر بن الخطاب بعد هداة من الليل فقال: اخرج

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٢، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ج٥، ص٢١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص٣١.

(٣) يذكر ابن أبي الحديد أنه (عندما سئل المغيرة بن شعبة وأبا موسى الأشعري عمر بن الخطاب نريد أمير المؤمنين ان يخبرنا بأمر قريش الذي لم يأمن شيابنا على ذكره: فقال سألتما وسأخبركما فليكن عندكما في ذمة منيعة وما بقيت فإذا مت فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان فأن لك عندنا ذلك قال أبو موسى وأنا أقول في نفسي ما يريد إلا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره فأنهم قالوا لأبي بكر استخلف علينا فظاً غليظاً وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي فعاد إلى التنفس ثم قال من تريانه قلنا والله ما ندري إلا ظناً قال وما تظنان قلنا عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك قال كلا والله بل كان أبو بكر أعق وهو الذي سألتما عنه كان والله أجسد قريش كلها ثم أطرق طويلاً ثم قال والهفاه على ضئيل بني يتم بن مرة لقد تقدمني ظالماً وخرج إلي منها إثما قال ذاك لأنه لم يخرج إلى منها إلا بعد يأس منها إما والله لو كنت أطعت يزيد بن الخطاب وأصحابه ثم يتلمظا من حلاوتها بشيء أبداً ولكني قدمت وأخرت وصعدت وصوبت ونقضت وأبرمت فلم أجد إلا الإغفاء على ما نشب به منها والتلهف على نفسي وأملت إنابته ورجوعه فوالله ما فعل حتى نغر بها» ينظر: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٤ ٣٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٠٨.

بنا نحرس نواحي المدينة، فخرج وعلى عنقه درّته حافياً حتّى أتى بقيع فاستلقى على ظهره وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوّه صعداً، فقلت له يا أمير المؤمنين ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس، قال: إذا شئت أخبرتك بما في نفسك، قال: عض غواص، إن كنت لتقول فتحسن، قال: ذكرت هذا الأمر بعينه وإلى من تصيّره، قال: صدقت".

لذا كان لابد من الاسراع في وضع آلية جديدة لاختيار الخليفة الجديد يضمن عمر بن الخطاب في تطبيقها أمرين الأول، هو تحقيق ما كان مخططاً له من صرف الأمر عن الإمام علي عليه السلام ــ أما الثاني: تجنب إثارة بني هاشم وأصحاب الإمام علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار[1] فعلى هذا الأساس ان آلية الشورى التي وضعها عمر بن الخطاب هي أسلم طريق لضمان الأمرين المذكورين أنفاً فاختيار مجموعة من المهاجرين القريشين الذين يتفق ثلاثة منهم على إبعاد الأمر عن الإمام علي عليه السلام وهم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص مع إعطاء حق النقض إلى عدم اختيار الإمام علي عليه السلام ولأجل تحقيق الأمر الثاني في عدم إثارة أصحاب الإمام علي وبني هاشم ولإخفاء الشرعية على نتائج الشورى فقد أدخل الإمام علي عليه السلام في الشورى وأعطي حق المناقشة أسوة بالآخرين لذلك اقترح العباس بن عبدالمطلب على الإمام عليه السلام عدم الدخول في الشورى فأجابه الإمام عليه السلام: «ان هذا التدبير لا يمكن ان ينطلي على علي بن أبي طالب... عدلت عنا... قرنا بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر فإن رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيضم عبدالرحمن بن عوف فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن وعبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفون فلو كان الأخران معي لم ينفعاني بل أني لا أرجو أحدهما»[2].

ثم تناقشت المجموعة الستة الذين رشّحهم عمر فيما بعد لاختيار الخليفة فيما بينهم، ويبدو أنّ عمر قد انتقد كلّ واحد منهم مما يثلم في أهليته للخلافة.

ولكن من الواضح أنّه كان يميل إلى جانب عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف أكثر من ميله إلى الأربعة الباقين، فمما يروون في شأن عثمان عن حذيفة بن اليمان "أنّه قال: قال لي عمر: من ترى الناس يؤمّرون بعدي؟ قال: قالت سمّوا لها عثمان، قال: فسكت"[3].

---

(١) الطوسي، المبسوط في فقه الإمامية، تحقيق، محمدباقر (طهران، المكتبة المرتضوية ١٩٨٧م)، ج٨، ص٩٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١٣٤؛ العسكري، مرتضى معالم المدرستين، (بيروت: مؤسسة النعمان، ١٩٩٠م) ج١، ص١٦٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢١٤.

حتّى قيل إنّ أمر عثمان قد اشتهر بهذا الأمر وعمر مازال حيّاً "روي عن حارثة بن مضروب، قال: سمعت الحادي يقول: ألا انّ الأمير بعده ابن عفان"(١).

كان عمر يميل إلى عثمان، وقد شعر الإمام علي عليه السلام بذلك الميل وأحسّ منذ الوهلة الأولى التي قبل فيها أن يكون ضمن رجال الشورى، أنّ الخلافة ستؤول إلى عثمان، فمما يذكر عنه عليه السلام في ذلك قوله لبني هاشم: "إن أطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبداً، وتلقّاه العباس، فقال له: عدلت عنّا قال له: وما أعلمك؟ قال: قرن بي عثمان، ثم قال: إن رضي ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فكونوا من الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان، لا يختلفون فلو كان الآخران معي ما نفعاني"(٢).

ولا أعتقد أنّ عمر حين قسم أصحاب الشورى ذلك التقسيم كان لا يدرك أنّ الأمر سيؤول إلى عثمان لدرايته بأهمية القرابة والعصبية في تشكيل المواقف عند العرب، فصلة القرابة التي تربط عبد الرحمن بن عوف بسعد بن أبي وقاص وبعثمان بن عفان تجعل الإمام علياً عليه السلام في الكفّة الخاسرة هذا مع افتراض وقوف طلحة والزبير بجانبه مع ملاحظة أنّ طلحة وإن كان غائباً يوم الشورى فإنّه من المستبعد أن يكون في الكفّة التي ترجّح الإمام علياً عليه السلام بسبب معارضة هذا الأخير بيعة أبي بكر التيمي نفس الفرع القرشي الذي ينتمي إليه طلحة.

لذلك تحقّق ما كان الإمام علي عليه السلام يتوقّعه، وبويع لعثمان بعد أن فوّض الاختيار لعبد الرحمن بن عوف الذي أخرج نفسه من الشورى كي يصبح الاختيار في يده(٣).

ولمعرفة عبد الرحمن بأسلوب الإمام علي عليه السلام ومبدئه بالإضافة إلى موقفه الحاسم من خلافة الشيخين، فإنّه لم يزول الأمر عنه التي اشترطت عليه فيما لو بويع له بالخلافة فإن عليه "عهد الله وميثاقه ليعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخليفتين من قبله"(٤).

وقد رفض الإمام علي عليه السلام النقطة الثالثة من الشرط؛ لاعتقاده بأحقّيته في اتّباع الشيخين له، لا باتّباعه عليه السلام سيرة الشيخين، فالنقطة تلك موضوعة في الأساس للإمام علي عليه السلام، لأنّ عثمان لن يعترض عليها؛ لأنّه لم يرَ فيه منافساً للشيخين، ولم تؤثر عنه أيّة معارضة لخلافتهما، لذلك فقد

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٦؛ ينظر: عبد الكريم، الدولة والسيادة، ص٢٥٦.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٧.

(٤) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٩.

تحقّقت مقولة عمر في الإمام عليه السلام من كراهة قريش اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم[1]، و تعبير عمر على ذلك أنّ قريش لا تحتمل علياً عليه السلام "ولئن وليتهم ليأخذنهم بمرّ الحقّ لا يجدون عنده رخصة"[2].

فالشورى بحسب تخطيط عمر لها لم تكن رضاً بالنسبة للإمام علي عليه السلام كما أوضح ذلك في نهج البلاغة في قوله "**حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ومَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وهَنٍ**"[3].

فعدم رضا الإمام علي عليه السلام بالشورى يبدو واضحاً من خلال تعبيراته الصادرة بالغضب لما أصاب منزلته من استصغار بقبوله الدخول ضمن تلك الشورى، وذلك حين قرنه عمر بستة ليس من يتمكن من القيام مقامه أو يساويه في منزلته، مع أنّه يعتقد في قرارته أنّه أحقّ بالأمر من الخليفة الأول.

فلم يقبل الإمام علي عليه السلام الدخول في أمرهم أبداً، وقد اعتزلهم عليه السلام وعمر هو الذي أسهم الإمام عليه السلام هذا أولاً، وثانيا: إن الإمام لم يخرج للشورى التي ابتدعها عمر بدافع المطالبة في حقه ابداً، إذ وردت رواية عند اليعقوبي يذكر فيها: " انّ ابن عباس شاهد الإمام وهو ذاهب الى اجتماعهم فتعصب ابن عباس وقال له: الى اين يا أبا الحسن، قال: للشورى التي زعموا اني احدهم، فقال ابن عباس: يا بن العم انت لم تخرج في خلافة الاول والثاني، فقال الإمام (صلوت الله عليه): نعم، أريد في خروجي هذا ان أكذب ما زعمه الأول والثاني يوم السقيفة، حيث قالوا: اننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انّ النبوة والخلافة لا تجتمعان في بيت واحد، فكيف وضعوا اسمي إن كانت النبوة والخلافة لا تجتمعان في بيت واحد !!" [4].

وبرغم الإفرازات الخطيرة التي تنبّأ بها الإمام علي عليه السلام جراء الشورى إلّا أنّه من أجل وحدة المسلمين بايع طائعاً بعد أن قال في محضر من جماعة الشورى وحشد من المسلمين "**لَقَدْ**

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج٤، ص٢٨٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٢، ص٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٩.

(٣) وأسف الرجل: إذا دخل في الأمر الدنيء وأصله من أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه، والضغن: الحقد، ومع هن وهن: أي مع أمور يكنّى عنها ولا يصرح بذكرها وأكثر ما يستعمل في الشر، ينظر: نهج البلاغة، ص٣٣.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٦؛ ينظر: العاملي، جعفر مرتضى، الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام)، دار السيرة، (بيروت: ١٩٩٤م)، ص١٢٥.

عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ووَاللهِ لأسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ"[1]، فعلى أساس هذه البيعة غير الشرعية يمكننا تتبّع موقف الإمام علي عليه السلام في أثناء خلافة عثمان.

***

(١) نهج البلاغة، ص١١٢.

المبحث الثالث

موقف الإمام علي عليه السلام من خلافة عثمان بن عفان(٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) من خلال نهج البلاغة

من الواضح أنّ الدسائس قد أدت دورها ما بين عثمان والإمام علي عليه السلام، كما مهّدت السبل لاغتيال الخليفة الثالث في ظروف يمكن معها إقصاء الإمام عليه السلام من الحياة السياسية، وتهيّئ الجو المناسب لاستمرارية السلطة للأمويين (عشيرة عثمان)، فلقد حاولت فئة من أصحاب المصالح تثوير عثمان على الإمام عليه السلام، فأفلحت إلى حدٍّ بعيد في استمالة جانب عثمان بن عفان[١].

وتباين المواقف الفكرية في الوقت الحالي من علاقة الإمام عليه السلام بعثمان تصور تلك الصورة، فقد أشار أحد المستشرقين ما حدث بين الإمام عليه السلام وعثمان من مشادّات كلامية بداية لتشكّل معارضة علي بن أبي طالب،عليه السلام، في حين اتّهم باحث آخر الإمام عليه السلام وبعض الصحابة ببغض عثمان والكيد له، والنقمة عليه، في حين اعتبر الإمام علياً عليه السلام وطلحة والزبير (على رأس الناقمين على عثمان)[٢].

واعتبر باحث آخر الإمام علياً من الذين وقفوا من عثمان موقفاً محايداً "فلم يدافع عنه ولم يعن عليه"[٣].

ويرى رابع انّه "كان عليه السلام مخلصاً لعثمان مدافعاً عنه ملبياً لدعوته مادّاً إليه يده ومعونته عند الحاجة"[٤].

وهناك أيضاً رأي خامس يعتبر الإمام عليه السلام "ناقداً لسياسة عثمان وبطانته التي حجبته عن

---

(١) من ذلك إقبال عثمان على عبدالله بن عباس بقوله: "مالي ولكم يا ابن عباس ما إراكم بي وأولعكم بتعقب أمري، أتتقمون عليّ أمر العامة؟ أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم، لا والله لكن الحسد والبغي وتثوير الشر وإحياء الفتن، فقال ابن عباس: على رسلك يا أميرالمؤمنين فوالله ما عهدتك جهراً بسرّك ولا مظهراً ما في نفسك، فما الذي هيجك وثورك؟ إنّا لم يولعنا بك أمر، ولا نتعقب أمرك بشيء، أتيت بالكذب وتسوف عليك بالباطل... فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟ قال: دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال ابن عباس: وعسى أن يكذب مبلغك، قال عثمان: انّه ثقة، قال ابن عباس: انّه ليس بثقة مع بلغ وأغرى"، ينظر: الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٥٠٦.

(٢) الخطيب، عبدالكريم، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط٢، دار المعرفة، (بيروت: ١٩٧٥م)، ص٢٨٧.

(٣) عاقل، نبيه، خلافة بني أمية، ط٢، دار الفكر، (بيروت: ١٩٧٥م)، ص١٤.

(٤)الخطيب، الإمام علي (عليه السلام)، ص٢٨٨.

قلوب رعاياه، ناصحاً للخليفة بإقصاء تلك البطانة وتبديل السياسة التي تزينها له وتغريه بأتباعها"[١].

أمّا إذا رجعنا إلى نهج البلاغة لمناقشة تلك الآراء المتضاربة، فسنجد أنّ الرأيين الأخيرين المتمثلين في نصح الخليفة والمدافعة عنه ونقد سياسته هما اللذان ينطلق منهما فكر الإمام علي عليه السلام ومواقفه بإزاء سياسة عثمان وخلافته، إذ لم يذكر عن الإمام عليه السلام السلبية في مواقفه السياسية، على اعتبار أنّ النصح للدّين مبدأً لا يحيد عنه، وذلك ليس من باب المعارضة أو الثورة طمعاً في السلطة؛ إذ لو كانت السلطة غايته لقبلها بشرط عبد الرحمن بن عوف (العمل بسيرة الشيخين)[٢]،حين عرضت عليه قبل المبايعة لعثمان، على اعتبارها حيلة سياسية، ولكن الغاية في نظر الإمام عليه السلام وضع تعاليم الإسلام في مسارها الصحيح في ضوء القرآن والسنّة، ففي ردّه على رسالة وردت إليه من معاوية يتّهمه فيها بالتأليب على عثمان والمشاركة في قتله، يقول: "وما كنت لأعتذر انّي كنت أنقم عليه أحداثاً فإذا كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملومٍ لا ذنب له: "وقد يستفيد الظنة المتنصح " [٣].

وما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت مستشهداً بالآية القرآن الكريمة "**وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**"[٤].

فاللّوم الموجّه للإمام عليه السلام لم يكن بسبب تخلّيه عن عثمان له أو معارضة خلافته، ولكن بسبب نصحه لعثمان، ومحاولة إرشاده وفضح أساليب بطانته التي استغلت أموال المسلمين لأجل مصالحها الذاتية، فلو قبل من الأموال ما قبله غيره، ولم يغضّ بصره عمّا أحدثه ولاته في الأمصار الإسلامية لما وجّه إليه أيّ اتهام، ويمثّل وجهة نظره تلك قوله لأبي ذر لمّا وجّهه عثمان إلى الربذة[٥]، "**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ للهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ واهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ومَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ وسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً والأَكْثَرُ حُسَّداً ولَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) العقاد، عبقرية الإمام علي عليه السلام، ص٦٣.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٩.

(٣) هو عجز لبيت صدره: (وكم سُقْتُ في آثاركم من نصيحةٍ)، قائله مجهول، المبرّد، محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ/)، الكامل في الأدب، نهضة مصر، (القاهرة: د.ت)، ج٤، ص١٢٦.

(٤) نهج البلاغة، ص٤١٤؛ والآية في السياق من سورة هود: الآية: ٨٨.

(٥) الربذة هي من قرى المدينة، ينظر: معجم البلدان، ج٣، ص٣٤.

والأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً لا يُؤْنِسَنَّكَ إِلا الْحَقُّ ولا يُوحِشَنَّكَ إِلا الْبَاطِلُ فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ ولَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ"[1]، المتضمّن إشادة الإمام علي عليه السلام بثبات أبي ذر على مواقفه الرافضة لكلّ المغريات المادّية ومهاجمته العنيفة لسياسة البذخ التي كان الأمويون يتّبعونها بموافقة الخليفة، وتنبع إشادة الإمام علي عليه السلام تلك من مبدئه الفكري والتزامه الأخلاقي الذي قد يتحمّل في سبيله كل التضحيات إذا ما دعت الحاجة لذلك، وكان الإمام علي عليه السلام يعيب على عثمان تلك السياسة. وهنا نستخلص أمرين هما:

١ – **ولاة عثمان، طريقة التصرف بأموال المسلمين، وهما الأمران اللذان عليه.**

٢ – طريقة التصرّف بأموال المسلمين.

وهما الأمران اللذان عليه كثير من الصحابة وثوّار الأمصار[2].

اما ما يتعلق بموقف الإمام علي عليه السلام يتضح هذا من انتقادات ابا ذر لسياسية عثمان بن عفان فأنه كان متضامناً مع ابي ذر الغفاري وواجه بعض المواقف التي اتخذها عثمان وعدها مواقف غير صائبة حتى انه له ذات مرة " ليس كل ما تقوله انت يجب ان نقبل به وان كان غير جواب..."[3]، وروي اليعقوبي ان عثمان بن عفان اراد ان ينفي عمار بن ياسر، فلما بلغه عنه كلام غلظ عليه، فاجتمعت بنو مخزوم الى الإمام علي عليه السلام وطلبوا منه ان يعينهم على عثمان فقال عليه السلام: "لا ندع عثمان ورأيه" [4].

وروي اليعقوبي[5] ان علياً عليه السلام اتى عثمان فسلم وجلس وقال: "اتق الله أيها الرجل وكف عن عمار ان عمار من الصحابة فأنك سبيرت رجلاً من صلحاء المسلمين وخيار المهاجرين الاولين حتى علك في تسيرك اياه غريباً، ثم انك الان تريد ان تنفي نظيره من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله...".

ذلك يظهر ان الإمام علي عليه السلام كان يقف دائماً موقف المتصدي لسياسات الخليفة عثمان بن عفان وكثيراً ما تسبب ذلك في بعض المشاحنات بينهما، يذكر البلاذري "ان سعيد بن المسيب قال:

---

(١) نهج البلاغة، ص٢١٥، من كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة. بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص١٠٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٦.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٥٤. المفيد، الإرشاد، ص٩٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢١.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٧٩.

شهدت علياً وعثمان (رضي الله عنهما) ووقع بينهما كلام شديد حتى رفع عثمان على علي الدرة، فقلت لعثمان: علي وسابقته وقرابته ثم قلت: يا ابا الحسن أمير المؤمنين فلم ازل به حتى سكت وصلح الذي بينهما وجلسا يتحدثان كأن لم يكن بينهما شيء "[1].

أولاً :- ولاة عثمان وما أحدثوه في الأمصار الإسلامية :

فعن مراقبة الولاة وأخذهم بالحزم والشدّة، صيانةً للعدل وحفاظاً على مصالح المسلمين يقول عثمان للإمام علي عليه السلام: "أُنشدك يا علي، هل تعلم أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم انّ عمر ولّاه؟ قال علي عليه السلام: انّ عمر يطأ صماخ من ولّى إن بلغه عنه صرف جلبه، ثم بلغ به أقصى العقوبة وأنت لا تفعل، ضعفت ورفقت على أقربائك... قال عثمان: هل تعلم انّ عمر ولّى معاوية، فقد وليته، فقال علي عليه السلام: أنشدك الله هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف لعمر من؟؟؟؟ غلام عمر له؟ فقال: نعم، قال علي عليه السلام: إنّ معاوية يقطع الأُمور دونك ويقول للناس: هذا أمر عثمان، وأنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه!"[2].

فتولية عثمان قرابته وتساهله معهم وغضّه عن كثير من تصرفاتهم جعلهم يستغلون حبّه لهم يظلم الطبقات المستضعفة من المسلمين مما جعلهم يلقون اللوم عليه شخصياً وانتقاده، فعلي عليه السلام لا يرى مجالاً للمقارنة بين سياسة عمر إزاء ولاته وبين سياسة عثمان إزاء ولاته، وإن كان أحدهم (وهو معاوية) قد ولي الشام من قبل عمر فأقرّه عثمان عليها، فمراقبة عمر لولاته غاية في الحزم بحيث بلغت في كثير من الأحيان إيقاع العقاب عليهم[3].

وهذا ما لم يفعله عثمان مع أحد من ولاته قط، وذلك ما انتقده الإمام علي عليه السلام على سياسة عثمان في إدارة الولايات بتعيين ولاة من أهله.

ثانياً:- طريقة تصرّف عثمان بأموال المسلمين :

أمّا من حيث السياسة المالية، فقد تصرّف عثمان وولاته بأموال المسلمين تصرّفاً لم يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ولا عن الخليفتين من قبله، من ذلك أنّه أعطى "عبد الله بن خالد بن أسيد حلّة مقدارها أربعمائة ألف، وتصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله بمهزور – موضع سوق بالمدينة –على المسلمين،

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ص١٣٢-١٣٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٢، ص٢٦. المفيد، الإرشاد، ص٩٥.

فأقطعها الحارث بن الحكم (أخا مروان)، وأقطع فدك مروان وهي صدقة لرسول الله ﷺ، وافتتح افريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان"[١].

كما اعتبر سعيد بن العاص – والي عثمان على العراق – ما أفاء الله على المسلمين من ضياع لقريش وحدهم وذلك في قوله في جمع من قرّاء الكوفة "السواد بستان قريش، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه"[٢].

لذلك لم يكن بوسع الإمام علي عليه السلام ولا غير من الصحابة أن يسكتوا عن هذه السياسة، وانتشرت تصرّفاتهم علناً، فأول من وجّه اللوم لعثمان على تلك السياسة عبدالرحمن بن عوف الذي بايع له بالخلافة، فدخل عليه معاتباً بقوله: "إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر، فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين، فقال: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله، قال عبد الرحمن: لله عليَّ ألّا أُكلّمك أبداً"[٣].

فإذا كان موقف عبد الرحمن بن عوف من سياسة عثمان موقفاً سلبياً اتخذ جانب السكوت والمقاطعة، فإنّ الامام علي عليه السلام لم يجد في ذلك ما يعود على الأُمّة بالصالح، فاتّبع أُسلوباً ناقداً، ممّا أدّى في كثير من الأحيان إلى المجابهات الكلامية بينه وبين الخليفة الذي لم يفلح في إسكاته بإغرائه بالمال[٤].

فنقد الإمام علي عليه السلام لسياسة عثمان عامّة وسياسته المالية على وجه الخصوص، نابع من مبدأ إسلامي هو أساس السياسة الإسلامية والمرتكز الذي تعتمد عليه في بناء شخصية الفرد المسلم ذوي الفكر الحر، فيقول الحق بصراحة وصدق دونما رهبة ولا رغبة، ذلك هو مبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [٥].

والحقيقة أنّ عثمان كان لا يستجيب لنصح الإمام علي عليه السلام لأنه تحت تأثير مروان بن الحكم ومن شايعه من بني أمية، هو ما يحول بينه وبين ذلك، وقد التفت العباس بن عبدالمطلب إلى

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٧٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٨٠.

(٤) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦١٢.

(٥) بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦١٢.

ضعف شخصية عثمان وتأثير أهله عليه بقوله: "ما هذا – يعني عثمان... من أمره من شيء"[١].

لذلك بدت الأُمور معقّدة جدّاً بين وجهة نظر الإمام علي عليه السلام للواقع السياسي ووجهة نظر عثمان بن عفان، بحيث يستحيل التوفيق بينهما حتّى قيل انّه "لا سبيل إلى صلحهما"[٢].

فبعد أحداث الحصار ومقتل عثمان والمبايعة للامام علي عليه السلام بالخلافة يستعرض في أول خطبة له بالمدينة تأريخ الخلافة ثم يقف عند عثمان مستنكراً عليه تصرفه في أموال المسلمين ووضعه إياها في غير استحقاقها مشبّهاً إياه بالغراب في قوله: «**سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همّته بطنه، لو قصّ جناحاه، وقطع رأسه لكان خيراً له**"[٣].

وقصّ الجناح وقطع الرأس لا يعني التحريض على القتل، كما يعتقد ولكن يعني المعالجة الحكيمة لسياسة التصرف في المال بقطع دابر القيل والقال والنأي بالنفس عن الشبهات ووضع الأموال في المواضع التي أرادها الله دون تمايز في توزيعها؛ لأنّ الخليفة في مركزه ذاك لا يمثل عشيرته وقوّته وإنّما يمثّل الأُمّة بأسرها، مما يحتّم عليه أن يسمو بنفسه عن[٤]،العصبية العشائرية فتتساوى الناس عنده في الحقوق والواجبات. فالقص والقطع في النص ـــ كما نفهمها ـــ إنّما يقصد منهما انّه كان من المتوجب على عثمان النظر إلى مكانته كخليفة للمسلمين لا كخليفة لبني أُمية وهو مالم يكن عثمان يدرك أبعاده من خلال تأمّله في مركزه الجديد بعد أن بويع له بالخلافة فاختلطت عليه الأمور "**وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ الله خِضْمَةَ الإبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ**"[٥].

إذ يتبين من ذلك أنّ الذي أودى بحياة عثمان ليس الثوار الذين حاصروه؛ لأنّ أولئك لم يكونوا سوى إفرازات لسياسة مريرة لم يكن الخليفة المقتول يعي أبعادها؛ لأنّ البطانة التي أحاطت به قد حجبت عنه الحقيقة، وحالت بينه وبين سماع صيحات السخط من حوله.

إضافة إن الإمام علي عليه السلام قد بذل كل طاقته لإيصال تلك الصيحات إلى سمع الخليفة ولكن نفسية عثمان لم تكن مهيأة لسماع أية نصيحة، ولاسيما الإمام علي عليه السلام، وبطانة السوء حوله بأنّ الإمام علي علياً عليه السلام هو حسداً ونكايةً لإظهار عيوب الخليفة للناس لتثويرهم حتّى يتسنى له

---

(١) المصدر نفسه، ص٦١٧.

(٢) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦١٢.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣؛ ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٦٧.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١، ص٢٠١.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ص٣٣.

الوصول إلى السلطة، وما تمثّل به عثمان من شعر في إحدى خطبه قاصداً الإمام علياً عليه السلام فيه دلالة على ذلك الاعتقاد الذي بلغ من عثمان حدّاً لا يمكن معه إزالته من نفسه[1].

توقّد بنارٍ أينما كنت واشتعل فلست ترى مما تعالج شافياً
تشط فيقضي الامر دونك أهله وشيكاً ولا تدعى إذا كنت نائياً[2]

فالتمثّل بالبيتين يدلّ على موقف عثمان الرافض لكلّ نصحٍ أو نقدٍ أو استشارةٍ مصدرها الإمام علي عليه السلام، أمّا الخلافة فلن ينالها الإمام عليه السلام وسوف يقضي فيها أهل الحل والعقد، دون أن يكون الإمام عليه السلام طرفاً فيها، ولا حتّى في المشاورات التي على أساسها يبايع للخليفة.

إلّا أنّ التصلّب من ناحية عثمان كان يقابله اللين والرفق من جانب الإمام علي عليه السلام الذي لم يمتنع من الوقوف بجانب الخليفة أثناء محنته حين حاصره الثوّار، فقد تحمّل اسفاره بينه وبينهم، ينقل مطالبهم والتفاوض عنهم في محاولة منه لمنع انتشار الفتنة من ذلك قوله لعثمان: "**إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ ووَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ولا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لا تَعْرِفُهُ... فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ وتَقَضِّي الْعُمُرِ... (فقال عثمان مستجيباً لسفارته): كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ**"[3].

إلّا أنّ البطانة التي التفّت حول عثمان قد حالت بينه وبين الاستماع إلى شكاوى الناس وتظلماتهم، بل تمادت بعض الأيدي الخفية في دسّها على الخليفة أن تزوّر كتاباً إلى عامله على مصر ينقض كتاب الخليفة في عزل ذلك الوالي استجابة لأهالي مصر، ودبّرت من المكر ما يمكن معه أن يقع الكتاب في أيدي أولئك الثوّار القافلين إلى ديارهم بعد أن حصلوا على مطالبهم، وذلك بقصد إرباك الخليفة والإيقاع به لتشتيت أمر المسلمين حتّى يفلت زمام السلطة من أيديهم[4].

مع أنّ الضامن لما في كتاب الخليفة الأصلي من شروط هو علي بن أبي طالب عليه السلام بشهادة

---

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦٢٣.

(٢) وقد ذكر البيتين ضمن خطبة لعثمان مشحونة بالسخط والغضب على منتقدي سياسته المالية. "وكأنه فيهما إلى علي بن أبي طالب"، بحسب رواية الزبير بن بكار، ثمّ انّ ما دار من جدل بين عثمان وبين عبدالله بن عباس حول فحوى الخطبة بعد فراغ عثمان منها ورجوعه إلى بيته يرجح انّ معاني الخطبة كانت موجهة إلى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، ينظر: الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٦٢٣.

(٣)نهج البلاغة، ص٢٦٧؛ ينظر: الطبري، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٧؛ ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤، ص٣٠٨.

(٤) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٨٠.

بعض الصحابة، فلمّا واجه الإمام علي عليه السلام عثمان بالكتاب المزوّر عليه والمختوم بخاتمه أنكر أن يكون قد كتبه وقد صدّقه الإمام علي عليه السلام ومن معه وعرفوا من الخط أنّ كاتبه مروان هو الذي زوّره على الخليفة، فطالبوا عثمان بتسليمه إليهم، وكان عنده في الدار"[1]، وقد توسّط الإمام علي عليه السلام بين عثمان وبين الثوار من أهالي مصر وذلك بطلب من عثمان نفسه على أن يأخذ الإمام علي عليه السلام منه عهداً غليظاً وميثاقاً مؤكداً بأن يستجب لكلّ طلب عادل ومعقول يطلبونه وبالفعل فقد أفلحت وساطة الإمام علي عليه السلام وتولّد عنها كتاب فحواه «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبدالله عثمان بن عفان لجميع من نقم عليه من أهل البصرة والكوفة وأهل مصر، إن لكم علي أن أعمل فيكم بكتاب الله عز وجل وسنّة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وانّ المحروف يعطى والخائف يؤمن والمنفي يرد، وأنّ المال يرد على أهل الحقوق وانّ يعزل عبدالله بن سعد بن أبي السرح عن أهل مصر ويولّى عليهم من يرضون. قال أهل مصر: نريد أن تولي علينا محمد بن أبي بكر، فقال عثمان: لكم ذلك، ثم أثبتوا في الكتاب "وانّ علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن بالوفاء لهم في هذا الكتاب، شهد على ذلك الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص"[2]، أمّا عن طلب عثمان وساطة الإمام علي عليه السلام بينه وبين الثوار وكيف استطاع مروان بن الحكم أن يثني عثمان عمّا وعد الناس به من وعود.

فقال الإمام في هذا الأمر ناصحاً لعثمان وعارفاً أنّ وراء تغيير رأيه هو مروان بن الحكم "**فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ وتَقَضِّي الْعُمُرِ**"[3].

ولكن عثمان أبى عليهم ذلك وأصرّ على عدم تسليمه إليهم، فغضب الإمام علي عليه السلام ومن معه من الصحابة[4]، فتركوه وشأنه مع الثوّار فشدّدوا حصارهم على داره وبعض أفراد قريش يساعدونهم في الخفاء على ذلك[5]، المقصود بمن كان يساعد الثوار وتأليبهم على عثمان هو طلحة بن عبيد الله، يذكر ابن الأثير من مواقف طلحة في حصار عثمان هذا النص "قال عبدالله بن

---

(١) ينظر: ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص٤١٠؛ ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٥٨.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣،ص٦٤.

(٣)

(٤) نهج البلاغة، ص٢٠٦؛ ينظر: تاريخ الطبري، الطبري: ج٦، ص١٨٠، حول طلب عثمان من الإمام علي عليه السلام مساعدته في ردّ الناس عنه بعد أن ضيّقوا عليه الحصار، ثمّ عدوله عمّا اشترطه على نفسه بعد أن فكّ الثوّار الحصار عن داره.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٣.

عباس: دخلت على عثمان فأخذ بيدي فأسمعني كلامَ من على بابه فمنهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع، قال: فبينما نحن واقفون إذ مرّ طلحة فقال: أين ابن عديس؟ فقام إليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده، فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني طلحة فإنّه حمل على هؤلاء وألّبهم عليّ، والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه".

إلّا أنّ غضب الإمام علي عليه السلام وسخطه من تصرّف عثمان بشأن مروان إذ كانت المحاولات التخريبية من بني أمية عامة، ومروان خاصة المعضلة التي تواجه الإمام علياً عليه السلام في سعيه لحل الازمة، فلما حضر عثمان الى الإمام علي عليه السلام وكلمه في ان يخرج الى الناس ويردهم عنه قال لهعليه السلام: "اني قد كلمتك مرة بعد مرة فكل ذلك فخرج فتكلم ونقول وتقول وذلك كله فعله مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية اطعتهم وعصيتني، قال عثمان: فأني أعصيهم واطيعك"[1]، فلما خرج عثمان الى الناس وخطب الخطبة التي اعلن فيها توبته وكانت بناءً على نصح الإمام علي خرج مروان من بعده وأفسد الأمر حينما كلّم الناس قائلاً: "ما شأنكم قد اجتمعتم انكم جئتم لنهب وشاحت الوجوه... جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا... فأنا ما نحن بمغاوبين على ما في ايدينا"[2].

عند ذلك أتى بعض الناس الإمام علياً فاخبروه، إذ يذكر ابن أبي الحديد"[3]، فجاء علي مغضباً حتى دخل على عثمان فقال: اما رضيت من مروان ولا منك الا بتصرفك عن دينك وعن عقلك مثل حمل الضعينة ينقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه وايم الله اني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما انا بعائد في هذا لمعاتبتك اذهبت شرفك وغلبت على امرك"، إلا أن ذلك لم يمنعه عليه السلامن الاستمرار في تقديم المساعدة لعثمان، ومع ذلك فقد كان عثمان يظنّ وهو محصور انّ من الأسباب التي ألّبت الناس عليه وجود الإمام علي عليه السلام تحت أعينهم بالمدينة، خاصّة وأنّ كثيراً من الثوّار المحاصرين لدار الخليفة قد كانوا يهتفون باسم الإمام علي عليه السلام للخلافة ممّا أدّى بعثمان إلى الحيرة بتصرّفه إزاء الإمام علي عليه السلام، مرة يطلب منه مبارحة المدينة ومرة أُخرى يدعوه للقدوم حين تدعو الحاجة لطلب المعونة في الدفاع عنه، حتّى أنّ الإمام علياً عليه السلام تبرّم من ذلك لما قدم إليه أحد عثمان بترك المدينة "**مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلا أَنْ**

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٩٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٩٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٢٠٦.

يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وأَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ واللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً"(١).

لقد حاول الإمام علي عليه السلام جاهداً أن يدافع عن عثمان ولكن الثورة كانت أقوى من أن تصد.

فنقد الإمام عليه السلام لعثمان وسياسته، وارتياب عثمان من نوايا الإمام علي عليه السلام الصادقة تجاهه لم يمنع الإمام عليه السلام من الدفاع عن عثمان، ولكن السياسة الملتوية أبت إلّا أن تلحق دم عثمان بالإمام عليه السلام، وذلك بعد البيعة له بالخلافة مباشرة؛ لأنّ مصلحة من أشعلوا نار الفتنة من بني أمية وغيرهم من القرشيين تقتضي ذلك، فما يذكر عن مروان بن الحكم قوله: "ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم –يعني علياً عن عثمان – قال: فقلت له: فما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك"(٢).

لقد أوضحنا دور مروان بن الحكم في قضية مقتل عثمان لكن كانت هناك أيادٍ أُخرى أسهمت بشكلٍ أو بآخر في هذه الفتنة أوضحها وكشفها لنا الإمام عليه السلام من خلال كلامه في نهج البلاغة وهو دور معاوية بن أبي سفيان.

كان معاوية والي عثمان على الشام وكانت تجمعه مع عثمان القرابة الأموية، بيد أنّ الخصومة بين أبناء العم على المنصب، ولاسيما من شخص كمعاوية ليس له من هدف في الحياة غير المادة، وكان يبيح لنفسه الوصول إلى ذلك بكل وسيلة. وقد كان معاوية يرى أنّ مقتل عثمان ينفعه في أمرين:

أولاً: يفسح له المجال للوصول إلى الخلافة.

ثانياً: يتهم الإمام علياً عليه السلام بدمه فيكون ذلك ذريعة له لحربه والتخلّص منه(٣).

---

(١) نهج البلاغة، ص٣٥٩؛ عندما خرج الإمام علي عليه السلام إلى ينبع كتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر: "أمّا بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحذام الطيبين، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه" ثم ذكر هذا الشعر لامرئ القيس:

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف و لم يغلبك مثل مغلب

فأقبل إلي على أي أمد أحببت وكن لم أم علي صديقاً كنت أم عدواً

فإن كنت مأكولاً فكن خيراً كل وإلا فأدركني و لما أمزق

ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٢٠٣؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٣٤.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، دار التعارف، (بيروت: ١٩٧٥م) ،ج٣، ص٩٩.

(٣) ابن عساكر، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج٣، ص٩٩.

وقد بيّن لنا الإمام هذه المصالح من خلال ردّه على كتابٍ لمعاوية يتّهمه فيه باشتراكه في مقتل عثمان، فيجيبه عليه السلام: "**ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ واسْتَكَفَّهُ أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ كَلا واللَّهِ لَ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً**"[1].

إذ تشير بعض المصادر التاريخية إلى انّه كان هناك حلفٌ سريٌّ بين معاوية وعثمان بأنّه يحميه إذا ما تعرّض إلى أيّ خطر مقابل تركه على ولاية الشام، وحين ثارت ثائرة الثوار على عثمان وجاؤوا من مصر إلى المدينة وأحاطوا ببيته، بعث إلى معاوية يطلب منه تنفيذ الاتفاق السري، فبعث معاوية جيشاً إلى المدينة. وأوصاهم بعدم دخولها إلا حين يبلغهم مقتل عثمان، فعسكر جيش معاوية في ظاهر المدينة يتربّص الأخبار، حتّى إذا علم بقتل عثمان، دخل المدينة مدّعياً تأخّره في الوصول لنجدة الخليفة المظلوم[2]،

وهذا يفسّر لنا سبباً آخر، وهو عدم قبول عثمان نصرة الإمام عليه السلام في البدء، لكنّه رغم ذلك بعث بابنيه الحسن والحسين عليهما السلام ليكونا في الصفوف الحامية التي وقفت تدافع عن بابه، فقد كان عثمان ينتظر نجدة معاوية متأكداً قدرتها على حمايته في الوقت المناسب.

يظهر من هذا أنّ معاوية[3]، كان من أكبر عوامل مقتل عثمان، لكنّه حتّى يزيح التهمة والشكّ عن نفسه، قام باتّهام الإمام عليه السلام بتهمة القتل، واتّهمه بعد تولّيه الخلافة بعدم ملاحقة قتلة عثمان، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: «**فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ والْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ واطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ وعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمَانَ وقَتَلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ وخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ والسَّلامُ**»[4].

مما تقدم يتبين لنا أنّ مناهضة أمير المؤمنين عليه السلام أو رفض نقده ومحاولة إخماد صوته أثناء

---

(١) نهج البلاغة، ص٤١٤.

(٢) بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص٧٩.

(٣) كان كتاب معاوية يتضمّن "... ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية، فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيته الغوائل، ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره، ودسست عليه، وأكذبت به، وقعدت حيث استنصرك عن نصره، وسألك أن تدركه قبل أن يغرق فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد!"، ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٢٦.

(٤) نهج البلاغة، ص٤١٤.

خلافة عثمان كان الهدف منه ـــ على ما أظنّ ـــ محاولة لإقصائه عن الحياة السياسية وعدم تمكينه من الخلافة، ولكنّ الظروف السياسية أبت إلّا أن يكون رجل الساعة المنقذ بالنسبة للفئات المغلوب على أمرها من عامّة المسلمين مما يتعارض مع ما كانت الارستقراطية القرشية تريده وذلك بزعامة بني أمية عشيرة الخليفة المقتول، فعملت جاهدة على محاربة خلافة الإمام عليه السلام بتوجيه الاتهامات الباطلة له، وهذا ما يمكن تتبّعه من دراستنا للحياة السياسية في نهج البلاغة من خلال وصف الإمام عليه السلام لها وتعامله السياسي مع المناهضين لحكومته والناقمين على سياسته.

***

الفصل الثالث

تجربة الإمام عليه السلام السياسية خلال فترة خلافته

(٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)

- المبحث الأول: بيعة الإمام علي عليه السلام
  وخروج اهل الجمل (الناكثون)

- المبحث الثاني: القاسطون ومعركة صفين
  في نهج البلاغة

- المبحث الثالث: التحكيم وأبعاده
  السياسية في نهج البلاغة

المبحث الأول

بيعة الإمام علي عليه السلام وخروج اهل الجمل (الناكثون)

لم يكن بوسع احد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ان يتحمل عبء الخلافة وتركتها الثقيلة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عثمان فأن الحياة في المدينة قد آلت الى الفوضى والاضطراب بحيث لم يعرف اي فرد موضع قدمه كما أن اختلاط الأمور جعل الكثيرون لا يميزون بين الخطأ والصواب فلقد ملك الثوار على الناس كل طريق وفقدت الخلافة قدسيتها وهيبتها وظلت المدينة في الايام الخمسة التي تلت مقتل الخليفة عثمان بدون خليفة [1]، تستر رؤوس الصحابة في بيوتهم هروبا من الاتهام بالتحريض والفتنة، وظل جثمان الخليفة المقتول ثلاثة ايام دون ان يدفن خوفا من سخط الثوار، ولما سمع بعض الثائرين بانه سيدفن وكما ذكر البكري: " قعدوا له في الطريق بالحجارة... فلما خرج به على الناس رجموا سريرة وهموا بطرحه"[2].

فكل تلك الأحداث تعني أن وضع الأمه الإسلامية قد تعقد للغاية بحيث لم يعد بوسع احد أن يتصدى لتلك الفتنة وإعادة الأمور الى نصابها بالقوة وتأمين أهل المدينة لما اعتراهم من خوف فلا بد لذلك الظرف الدقيق الحساس من رجل حازم يستطيع أن يقود الامة الى بر الأمان فوقع اختيارهم على الإمام علي عليه السلام، وهذا مما جعل الإمام علي عليه السلام التأخر بقبول البيعة والاستجابة لنداءات الناس الملحة من كل صوب، فقد أوضح ذلك في النهج من خلال قوله: "**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ**"[3]، واضعا نصب عينيه أمرين:

أولها: مسؤولية اخماد الفتنة، **أما الأمر الآخر فهو:** العدل في توزيع العطاء.

فيحتاج الأمر الأول إلى الحكمة وسعة الصدر لاخراج ما في نفوس العامة من غيظ مع الصبر في معالجة الأمور حتى تتكشف الجوانب المبهمة لمعاقبة الجناة والعودة بالحياة الى طبيعتها ولكن رفض طرفي النزاع الثوار وبني أمية لتلك السياسة أدّى إلى وضع الأمة على طريق غامض مظلم لتعارض اهداف طرفي النزاع مما يعني ان قتل عثمان لم يكن الا بداية خطيرة

---

(١) يروي الطبري في تاريخه ان المدينة بقيت بعد قتل عثمان خمسة ايام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالأمر فلا يجدونه. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٣٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤١٢.

(٣) نهج البلاغة، ص١٥٨.

كامنة في النفوس.

أما الأمر الثاني فإنه متعلق بتحقيقه العدالة، فهو وإن كان غاية الثوار والفئات المستضعفة الناقمة على سياسة عثمان الا انه يتعارض تماما وطموحات القريشين من أمثال طلحة والزبير، كان ذلك واضحاً عندما قالا للإمام علي عليه السلام: "قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها وعلمت رأي عثمان في بني أمية، وقد ولّاك الله الخلافة من بعده فولّنا بعض أعمالك"(١)، الذين اشعلوا نار الفتنة ضد عثمان، لما وجدوا ان بني امية قد استأثروا دونهم بالمال لان سعيهم في الخفاء وإن كان في الظاهر من أجل الحرص على مصالح الناس، فقد كان من أجل مصالحهم الذاتية ثم أن قبولهم بالحق سيعرضهم للعقاب، لأنهم وان لم يباشروا قتل الخليفة فإنهم قد هيأوا الظروف المناسبة لقتله بتأليب الثوار عليه.

لذلك حاول الإمام علي عليه السلام التأخير بالموافقة على الخلافة مبينا وجهة نظره في مستقبل الأمة بعد أن عايش ما حدث في الحياة السياسية من هزات عنيفة بعد مقتل عثمان التي عبر عنها في خطبته بقوله: "**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أميراً!**" (٢).

وفي مثل هذا الجو المضطرب لا بد من منقذ يخرج الأمة من مأزقها الخطير ولا بد أن يكون ذلك الانسان مرضياً عند جميع عامة المسلمين لا عند فئة معينة من الاستقراطية القرشية لذلك فمن الأرجح أن تتعرض سياسية الإمام علي عليه السلام في توزيع المال مع تلك الفئة التي لن ترضى بسياسة تتعارض ومصالحها(٣).

لذلك نجده عليه السلام عند قبوله الخلافة امتثالا لالحاح عامة المسلمين قال: "**وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**"(٤)، وفي موضع آخر في النهج قال الإمام عليه السلام: " انما اذا ابيتم فإن بيعتي لا تكون سراء فأخرجوا الى المسجد فخرجوا "(٥).

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ١٩٩؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٣٨.

(٢) نهج البلاغة، ص٩١.

(٣) بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص٦٧.

(٤) نهج البلاغة، ص١٠٠.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧١.

ولقد قبلت تلك الفئة شرط الإمام عليه السلام ذلك على مضض في حين قبلته عامة الناس بابتهاج وسرور، ويذكر الأسكافي[1] في هذا الموضع نفسه: "ان عبد الله بن عباس كان اثناء البيعة متخوفاً من أن بيعة الإمام علي عليه السلام فرفض الإمام عليه السلام البيعة عن ابن عباس إني لمتخوف أن يتكلم بعض اسفها؟ ومن قتل علياً أباه وأخاه في مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول لا حاجة بنا لعلي بن ابي طالب فيمتع من البيعة فلم يتكلم أحد إلا بالتسليم والرضا"، انه لما رضي عامة الناس ببيعة الإمام علي عليه السلام بالخلافة قال لهم "اخبروني عن قولكم هذا رضينا به طائعين غير كارهين احق واجب هذا من الله عليكم أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟ قالوا: بل هو واجب اوجبه الله عزوجل علينا فقال الإمام علي عليه السلام فانصرفوا يومكم هذا إلى غد... فلما كان من الغد اقبل الناس الى المسجد وجاء الإمام علي عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :ايها الناس من كل ناصية وقالوا: نحن على ما كنا عليه بالأمس "فلقد اعطى الإمام عليه السلام لنفسه فرصة للتفكير كما اعطى للناس فرصة لمراجعة أنفسهم قبل الإقدام على بيعته كما نلاحظ.

إلا أن إلحاح المسلمين كان أقوى من تريّثه فكانت البيعة له بالخلافة رغم امتناعه كما وصف ذلك في قوله "**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا**"[2].

فالبيعة للإمام عليه السلام انعقدت له باقتناع تام وطواعية وسرور "وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه... ثم بايعه الزبير وسعد واصحاب النبي صلى الله عليه وآله جميعا"[3].

ويستنتج من وصف الإمام علي عليه السلام لبيعته ان اكثر الناس فرحاً بها الطبقات المستضعفة من المسلمين الذين وجدوا فيه الضامن لحقوقهم من غير محاباة لقريب وتميز بين مسلم واخر بالأسبقية والصحبة كما كانت استجابة الامصار الإسلامية لبيعته سريعة فيما عدا الشام[4].

التي كانت تحت ولاية معاوية مما يدحض القول بأن اكتفائه بيعة الثوار واهل المدينة دون سائر الامصار هو السبب في عدم الاعتراف بخلافته[5].

---

(١) الاسكافي، المعيار والموازنة، ص٤٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٢٦.

(٣) ابن قتيبة، الإمامية والسياسة، ج١، ص٤٧؛ ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣١٠.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٤٢.

(٥) يذكر شلبي ابو زيد في كتابة الخلفاء الراشدون " لم ينتظر علي عليه السلام حتى بايعة اهل الامصار ظنا منه ان بيعة اهل المدينة والثوار كافية في جعل اهل الامصار يعترفون بخلافته " فيرد عليه الدكتور جليل منصور صاحب كتاب فكر الإمام علي عليه السلام (قد تناسى المؤلف ان الخلفاء الراشدين الثلاثة قد انعقدت لهم البيعة وصحت خلافتهم ببيعية اهل المدينة كما انه تجاهل في تحليل للأحداث ان جميع الامصار الإسلامية قد ارسلت

فالقضية التي كانت تشغل الإمام علي عليه السلام وتقلقه ليست بيعة الامصار كما نرى ولكن كيفية التعامل مع رجال السياسة من الصحابة وغيرهم من سادة القوم كما يدعون الذين يرون لأنفسهم احقية التفضل ماديا ومعنويا على غيرهم من افراد الامة خاصة ان سياسته التي اعلن عنها في خطبته الاولى بعد المبايعة له لا تتناسب وطموحات تلك الفئة فقوله "**إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا الْفَرَائِضَ الْفَرائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُول، وَأَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُول**"[1].

يعني وحسب ما يفهم من هذا الكلام إلغاء الامتيازات والإلتزام التام بالعمل بما جاء في الكتاب والسنة والمساواة التامة بين جميع المسلمين في الحقوق والواجبات لأن الإسلام مسؤولية التزاميه تعني اندماج طبقات المجتمع وإعطاء لكل ذي حقّ حقّه.

وذلك بالطبع لا يرضي أصحاب الطموحات المادية من القرشين الذين يريدون خليفة يحافظ على امتيازاتهم ومكاسبهم أو على الاقل يترك في أيديهم المغانم الذي جنوه والمال على حساب المستضعفين باسم الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله والقرابة منه ولكن تصميم الإمام علي عليه السلام على اعادة ما غنموه من اموال وضياع من غير استحقاق فقد اوضح هذا الامر بقوله "**وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الاْمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ**"[2].

ومحاولة الإمام عليه السلام من صد إطماعهم جعلهم يتالبون عليه ويحرضون الناس عليه ومحاربته لعرقلة سياسته تلك وقد استخدموا شتى الوسائل للوصول الى غايتهم من ذلك:

مطالبتهم الإمام عليه السلام بالاقتصاص من قتلة عثمان في حينه أي بعد تولية الخلافة مباشرة لإدراكهم ان ذلك لا يمكن تحقيقه الا بعد أن تهدأ النفوس وتنجلي الحقيقة "**يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّة وَالْقَوْمُ الْمُجْلبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء، تُرِيدُونَهُ؟! إِنَّ هذَا الاْمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة، وَإِنَّ لِهؤُلاَءِ الْقَوْمِ**

بيعتها للخليفة في المدينة فيما عدا الشام؛ ينظر: ابو زيد، شبلي، الخلفاء الراشدون، مكتبة وهبة، (القاهرة: ١٩٦٧م)، ص١٥٦.

(١)نهج البلاغة، ص١٦٨. جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج٤، ص٥٦.

(٢)نهج البلاغة، ص١٥، في رد قطائع عثمان.

مَادَّةً أي عَوْناً إنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأمْرِ ــ إذَا حُرِّكَ ــ عَلَى أُمُور: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ؛ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً وَسَأُمْسِكُ الأمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ (كناية عن القتل)"[1].

التغاضي عما حققه الأمويون من مكاسب على حساب المسلمين أثناء خلافة عثمان، وهو ما لا يتناسب والسياسة الدينية التي ترى الحق حقا، والباطل باطلاً، مما جعله يرفض مطالبهم في اقراره لهم ما حصلوا عليه من أموال في خلافة عثمان مقابل اعترافهم بالولاء له.

ومحاولة طرف ثان جني مكاسب مادية على حساب الاقرار له بالخلافة كطلب طلحة والزبير ولاية الكوفة والبصرة[2]، وطلب معاوية إقراره على ولاية الشام[3]، وهو ما يتعارض في اختيار ولاية ممن يرتضيه لدينه، لذلك لما يئس اولئك من حصولهم على ما يبتغون لجأوا الى الحل هو اثارة الفتن والحروب لعلهم يدركون من الإمام علي عليه السلام ما لم يدركوه منه بالاحتيال فقال عليه السلام واصفهم "**تَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ [وقسط]آخَرُونَ**"[4].

وقد تتبعت نصوص (نهج البلاغة) الفئات الثلاث التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في خطبته السابقة وهم (الناكثون، والقاسطون، والمارقون).

أصحاب الجمل (الناكثون):

النكث بفتح الفاء – لغة: هو المخالفة بعد إظهار الاتفاق و "نكث العهد والحبل فانتكث أي نقضه فانتقض"[5]، والناكثون الذين يعنيهم أمير المؤمنين عليه السلام " هم أصحاب الجمل، لأنهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته وقاتلوه"[6]، إذ لم يقبل طلحة والزبير سياسة الإمام عليه السلام التي لا تتفق ومصالحهما التي من اجلها أججوا الناس على عثمان ومهدوا لقتله لاستثار أسرته بالثروات وولاية الامصار ثم ان الإمام عليه السلام لم يحقق لهما ما كان يطمحان اليه من ولاية فاستنجدوا في "محاربته

---

(١)نهج البلاغة، ص٢٧٠.

(٢)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٧٩؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٣٨.

(٣)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٥٩.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٨.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٥٩.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٠. المفيد، الجمل، قم، مكتبة الداوري، د.ت)، ص٤٣.

وتأليب الناس عليه بعائشة "[1]، ويذكر ابن قتبة: " قام قيس بن سعد مخاطباً الناس عند سماعه بأمر طلحة والزبير قائلاً: أيها الناس ان الامر لو استقبل به اهل الشورى كان علي احق به وكان قتال من ابى حلالاً فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه صداً..."[2]، بحجة استبداده بالحكم دون مشورة المسلمين وإيوائه قتله عثمان فكان التظاهر عليه بقصد خلعه ورد امر الشورى ليختار المسلمين خليفتهم[3]، والثأر للخليفة المقتول ولكن ابعاد القضية كما يراها الإمام علي عليه السلام ليست حسب ما يدعيان، لان الهوى وعدم التبصر في العواقب هو الذي جعلهم ألعوبة في يد الشيطان "**فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ**"[4].

لذلك نجد الإمام علي عليه السلام قد بعث الى طلحة والزبير، فقال لهما حسب ما ذكر ابن ابي الحديد فقال: انشدكما الله، هل جئتماني تبايعاني طائعين ودعوتهما إليها وانا كاره؟ قالا: اللهم نعم، قال غير مجبورين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: نعم، فقال علي: الحمد لله رب العالمين على ذلك، ثم قال لهم: فما عدا مما بدا؟ قالا: اعطيناك بيعتنا على أن لا تقطع الأمر دوننا وان تستشيرنا في الأمور ولا تستند بها عنا ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم المقسوم وتقطع الامور وتقضي الاحكام بغير مشورتنا ولا رأينا ولا علمنا فقال علي: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً استغفر الله لي ولكم ثم قال لهما: الا تخبراني افي شيء لكما فيه احق دفعتكما منه؟ ام في قسم استأثرت به عليكما؟ قالا: معاذ الله، قال: ففي حق رفعه الي احد من المسلمين ضعفت عنه او وجهته أو حكم اخطأت فيه؟ قالا: اللهم لا قال: فما الذي كرهتماه من امري ونقمتما من تأميري وارايتما من خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب وائمتنا وحقنا في الفي جعلت حقنا في الإسلام كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله به علينا بسيوفنا ورماحنا وأمد جفنا عليه بخيلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً ممن لم يأتوا الإسلام الا كرهاً"[5]، فقد أجابهم الإمام بكلام طويل نقتبس منه قوله: وأما ما ذكرتما من الأسوة فإن ذلك أمر لم احكم أنا فيه ولم اقسمه قد وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قسماً قد فرغ الله من قسمته وأمضى فيه حكمه وأما قولكم جعلت لهم فيئنا وما افاءت رماحنا وسيوفنا

---

(١) امين، احمد، فجر الإسلام، ط١٣، النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٨٧م)، ص٥٧.

(٢) الإمامة والسياسية، ج١، ص٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٦٨، الكوفي، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث الهجري)، مناقب الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م)، ج٢، ص٧٨.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٣.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص٣٦؛ ينظر: الطوسي، الامالي، ص٧٢٨.

فقديما سبق الى الإسلام قوم لم يضرهم في شيء من الأحكام اذا استؤثر عليهم ولم يضرهم حين استجابوا لربهم والله موفيهم يوم القيامة اعمالهم، الا وانا مجرون عليهم اقسامهم، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبا..."[١].

وتسير أمور الناس والحكم فيهم في نظر الإمام علي عليه السلام السياسي لا يكون وليد تحقيق الرغبات والميول الذاتية، لأن أية سياسة تنبني على رغبات فئة معينة همها المحافظة على امتيازاتها ومصالحها تؤدي بالمجتمع الى التناقضات الطبقية التي ينتج عنها في نهاية الامر تصدع في بنيته الأساسية فموقف الناكثين من وجهة نظر الإمام عليه السلام ليس موقفا جديداً، لأنهم قد سبق ان طلبوا منه الاقتصاص من قتلة عثمان فوافقهم على ذلك وطلب المهلة حتى يستتب الأمن وتعود الامور الى مجاريها فينجلي الغموض "وتتبدد غيوم الفتنة كيلا يؤخذ البري بالمذنب"[٢]، الا انهم لم يكونوا جادين فيما طلبوه لان القصد الحقيقي من سخطهم كما يقول الإمام علي عليه السلام "**وَإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ**"[٣].

فطلحة والزبير حين بايعا الإمام علي عليه السلام وكانا يظنان انه سيستجيب لرغباتهما في الخلافة ولكنه رفض شرطهما عارضا عليهما ان يكونا شريكاه "في القوة والاستقامة وعوناه على العجز والأود"[٤]، لأن المشاركة في الإمامة غير مقبولة لا عقلا ولا شرعا اذ "لا يجوز الاشتراك فيها"[٥]، كما ان دوافعها شخصية، فحين لم يحقق رغباتهم أظهرا التأليب عليه بحجة انهما بايعا مكرهين[٦].

وان كانت المصادر التاريخية تشكك في ذلك فالزبير من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام قد أضمر في بيعته غير ما كان يظهر وهو ادعاء باطل وفي ذلك يقول الإمام عليه السلام "**يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ، وَادَّعَى الوَلِيجَةَ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلاَّ فَلْيَدخُلْ فِيَما خَرَجَ مِنْهُ**"[٧].

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٧، ص٤٢.
(٢) نهج البلاغة، ص ١٦٩. المفيد، الجمل، ص٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٠.
(٤) نهج البلاغة، ص٥٤٢.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٩٨؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٩.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٢٦.
(٧) نهج البلاغة، ص٤٣. المفيد، الجمل، ص٤٥.

ولما لم يتمكنا من ذلك اختلقا فتنة تخفي عن الناس ما اقترفاه في حق عثمان بن عفان لغرض تبرئتهما من دمه، فلم يكن هناك بداً من الحرب بعد ان حاول الإمام عليه السلام إرجاعهما عن ذلك بالتفاهم وتحكيم العقل بقوله "**وَإِنِّي لَرَاض بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ. فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ البَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ...**"(١).

ولكنهما أبيا الا الحرب فواقعة الجمل لم تنشب بسبب عدم انعقاد البيعة للإمام عليه السلام كما يزعم القائل "لا تكون البيعة إلا باتفاق اهل الحل والعقد"(٢).

لأن ما ذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام من أقوال تؤكد بيعة طلحة والزبير له بالخلافة "**إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْر وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالاَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُل وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذلِكَ لله رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْن أَوْ بِدْعَة رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ منه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى**"(٣)، وحديث آخر "**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَل وَعْر، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ**"(٤)، وقوله لهما عليه السلام "**فَقَدْ عَلِمْتُما، وَإِنْ كَتَمْتُما، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي،...**"(٥)، وقد أكدت تلك الأقوال ما ذكرته المصادر التاريخية بشأن بيعتهما(٦).

بالإضافة الى ذلك فان صاحب المقولة لم يعرّف اصحاب الحل والعقد وكم عددهم آنذاك والكيفية التي يتم على أساسها اجتماعهم فطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص من أصحاب الشورى الذين بقوا على قيد الحياة وقد بايعوا الإمام علي عليه السلام كما بايعه الانصار كافة سوى عدد قليل منهم(٧)، ثم أن جميع الأمصار الإسلامية تتبع المدينة فالبيعة للإمام علي عليه السلام قد انعقدت بمبايعة

---

(١) نهج البلاغة، ص٥٧.

(٢) عبد الكريم، الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، ص٢٥٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٩٥. المفيد، الجمل، ص٤٧ ــ ٤٩.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٩٦.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٥٧.

(٦) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج١، ص٤٣١؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٤٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٩٨.

(٧) المتخلفون في البيعة التي اتفقت عليهم المصادر التاريخية هم: (سعد ين ابي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد

من سموا بأهل الشورى وأهل المدينة ومن حضر من ثوار الأمصار ولم يحدث حدثا يبطل خلافته ولكن اصرار أصحاب الجمل على نكث بيعته هو العامل الذي ادى الى اضرام نار الحرب بقتلهم المسلمين صبرا واستيلائهم على بيت مال البصرة يلخص الإمام علي عليه السلام ما احدثوه بالبصرة في النهج قبل قدومه اليها قائلا "**فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللهَ صَادِقِينَ**"[1]. فبالرغم من تراكم الأحداث بالحياة السياسية، فقد كانت رؤية الإمام علي عليه السلام واضحة فكان يسير بخطوات ثابتة ومدروسة يقول في هذا الصدد "**وإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلاَ لُبِّسَ عَلَيَّ**"[2].

يقابله في الاتجاه الثاني التخبط إذ يقول الزبير قبيل بدء المعركة "ما كنت في موطن منذ عقلتُ الا وأنا أعرف فيه امري غير موطني هذا"[3]، مما يرجح عدم ثبات اصحاب الجمل على قاعدة صلبة في خروجهم على الإمام علي عليه السلام اذ لم يكونوا صادقين حتى مع بعضهم فقد ذكر عن المقربين منهم القول "**والله لو ظفرنا لا فتتن وما خلى الزبير بين طلحة والامر ولا خلى طلحة بين الزبير والامر**"[4]، فهم حسب قول الإمام عليه السلام قد "**لَقَدْ أَتْلَعُوا (أي رفعوا أعناقهم، وهو مناوأة أميرالمؤمنين على الخلافة) أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا (أي كُسرَت أعناقهم، دون الوصول إليه) دُونَهُ** "[5].

فأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن راغباً في الحرب، ولم يبدأها وتكاد معظم المصادر التاريخية تتفق في ذلك مع ما ذكر عن الإمام علي عليه السلام من أقوال الا أن الطرف المقابل هو الذي كان يصر عليها لذلك فان التعويل على الروايات الضعيفة التي تدعي أن اشعال تلك الحرب قد بدأ "من ذوي الأغراض الخبيثة من جيش علي عليه السلام وهم اولئك الذين اشتركوا في حصار عثمان... فخافوا

بن مسلمة، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٥٠؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج١، ص٥٢-٥٣؛ البلاذري، انساب الاشراف، ص٢١٠.

(١) نهج البلاغة، ص٣٦٣.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٤.

(٣) الاسكافي، أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت٢٠هـ/٨٣٥م) المعيار والموازنة في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، تحقيق: محمد باقر الحمودي، (بيروت: دار صادر، .ت)، ص١٣٤.

(٤) ، المعيار والموازنة، ص١١٤.

(٥) نهج البلاغة، ص٣٦٤.

على أنفسهم اذا ما تم الصلح"[١]، لا يثبت حجة لان الذين مهدوا لقتل عثمان هم المطالبون بالثأر له "فلم يكن احد من اصحاب النبي ﷺ اشد على عثمان من طلحة" [٢].

كما كانت عائشة من أكبر المحرضين على قتله وهي القائلة قبل خروجها من المدينة الى مكة اثناء حصر عثمان " اقتلوا نعثلا فقد كفر"[٣].

فوقعة الجمل أحدثت جرحاً عميقاً في الصف الإسلامي، لم يكن مقبولا بحقائقه الأليمة لأنّ في ذلك حطّ مكانة الصحابة ومكانة عائشة، ومن اجل تبرئة أولئك عول على اسطورة (ابن سبأ أو ابن السوداء)[٤]، التي تفرد الطبري بروايتها، اعتماداً على سند ضعيف مصدره سيف بن عمر[٥].

ولكن ذلك لا يغير من الواقع، لأن الذين خرجوا الى الإمام علي عليه السلام من أهل الكوفة لم يلبوا دعوته إلا بعد جدل طويل وأخذ ورد جانبا بمعنى انهم كانوا في بداية امرهم مترددين وقد سجل التاريخ جانباً من ذلك الجدل [٦]، يذكر الطبري، لما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين، وقاما في الناس بأمره، لم يجابا إلى شيء، فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجي على أبي موسى، فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: كان الرّأي بالأمس ليس باليوم، إنّ الّذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما ترون؛ وما بقي إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدّنيا، فاختاروا. فلم ينفر إليه أحد، فغضب الرّجلان وأغلظا لأبي موسى، فقال أبو موسى: والله إنّ بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بدّ من قتال لا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان إذ كانوا فانطلقا إلى عليّ فوافياه بذي قار

---

(١) البخار، محمد الطيب، علي بن ابي طالب نظرة عصرية، دار الاعلمي، (بيروت: د.ت)، ص ٩٠.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٩٩؛ ويذكر عنه انه لما اصيب في وقعة الجمل بالسهم القاتل " اللهم خذ عثمان مني حتى ترضى " ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٢٤.

(٣) ابن اعثم الفتوح ص٣١٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٥٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٠٦؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص ص٦١ ــ ٦٤.

(٤) ابن السوداء او عبد الله بن سبا " تنسب اليه الطائفة البيئية وهم الغلاة من الرافضة اصلة من اهل اليمن وكان يهوديا من امة سوداء فاظهر الإسلام طاف ببلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الائمة ويلحق بينهم الشر وكان قد بدأ اولا بالحجاز ثم بالبصرة ثم الكوفة ثم دخل دمشق في ايام عثمان بن عفان فلم يقدر على ما يريد عند احد من اهل الشام فاخرجوه حتى اتى مصر فاعتمد فيهم واظهر مقالته بينهم ابن بدران "؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧، ص ٤٣١؛ وقد وردت الاشارات عن عبد الله بن سبا وانسياقة في البلاد ايام خلافة عثمان والإمام علي (عليه السلام) في تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٨٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٨١.

(٦) ينظر، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٨١ــ ٤٨٧.

وأخبراه الخبر، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة، فقال الإمام عليّ: يا أشتر، أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كلّ شيء، اذهب أنت وعبد الله بن عبّاس فأصلح ما أفسدت. فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر، فقدما الكوفة وكلّما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة، فقال للكوفيين: أنا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم؛ فجمع الناس فخطبهم وقال: يأيّها الناس، إنّ أصحاب النبيّ ﷺ الّذين صحبوه في المواطن أعلم بالله جلّ وعزّ وبرسوله ﷺ ممّن لم يصحبه، وإنّ لكم علينا حقّاً فأنا مؤدّيه إليكم، كان الرّأي ألاّ تستخفّوا بسلطان الله عزّ وجلّ ولا تجترئوا على الله عزّ وجلّ، وكان الرّأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردّوهم إليها حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلّفوا الدّخول في هذا، فأمّا إذ كان ما كان فإنها فتنة صمّاء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الرّاكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاغمدوا السيوف، وأنصلوا الأسنّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم والمضطهد يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة. ولما رجع ابن عباس إلى عليّ عليه السلام بالخبر دعا عمار بن ياسر والإمام الحسن عليه السلام، فقال له: انطلق فأصلح؛ فأقبلا حتى دخلا المسجد، فكان أوّل فأقبل الإمام الحسن عليه السلام على ابو موسى الاشعري، فقال: يا أبا موسى، لم تثبّط النّاس عنا؟ فو الله ما أردنا إلاّ الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء.... " الى اخر الجدل، وعليه فان من خرج منهم الى الإمام عليه السلام خرج مقتنعاً، ولو كان هناك أيد خفية بأن تأثيرها في ذلك الجدل الذي اشترك فيه كل من عمار بن ياسر والإمام الحسن عليه السلام وهاشم بن عتبه[1] وصعصعه بن صوحان[2] وأبي موسى الأشعري [3] ومالك بن الاشتر[4] ومحمد بن ابي بكر [5].

---

(١) هاشم بن عتبه من اصحاب الإمام علي عليه السلام استشهد في صفين. ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٣٧٧.

(٢) صعصعه بن صوحان العبدي كان مسلما على عهد الرسول ﷺ ولكنه لم يراه وهو من سادات عبد القيس ــ كان من اصحاب الإمام علي عليه السلام توفي في ايام معاوية. ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص٢١.

(٣) **ابو موسى الاشعري:** عبد الله بن قيس ــ استعمله الرسول ﷺعلى زبيد وعدن واستعمله عمر على البصرة واقره عثمان عليها ثم عزله، كان والي الكوفة في عهد الإمام علي عليه السلام وعزله، وكان احد الحكمين في صفين (ت٤٢هـ/٦٦٢م). ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ص٣٦.

(٤) **مالك الاشتر:** احد الاشراف الابطال من اصحاب الإمام علي عليه السلام المقربيين كان يهزم معاوية في صفين لولا رفع المصاحف، لما رجع من صفين جهزه الإمام عليه السلام واليا على مصر، فقتل في الطريق مسموماً سنة ٣٢هـ. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، ط٣، دار الرسالة، (بيروت: ١٩٨٥م)، ج٤، ص٤٣.

(٥) محمد بن ابي بكر من اصحاب الإمام علي عليه السلام ولاه مصر فلما رجع معاوية من صفين جهز له جيشاً، فقتل

ثم ان جيش أمير المؤمنين عليه السلام كما تحدثت المصادر التاريخية قد كان تحت قيادته المباشرة ملتزماً بتعلمياته من ذلك أنه قال للأشتر، وقد كان على ميمنته يوم الجمل " أحمل. فحمل، فكَشف من بإزائه. وقال لهاشم بن عُتبة... وكان على المَيسرة: احمل. فحمل، فكَشف من بإزائه. فقال علي لأصحابه: كيف رأيتم مَيسرتي ومَيمنتي! " [1].

وفي ذلك ما يدل على انضباط قيادته وائتمار جنده بأمرته مما لا يدع مجالا للدس بينهم، خاصة وأن سياسته الحربية تعتمد الدفاع في أية حرب يجبر على خوضها بالرغم من اعتقاده بسلامة موقفه لأنه يرى أن بدء العدو بالحرب حجة عليه لكونه البادئ لذلك كان يوحي خبره في كل موطن قتال بقوله: "**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّة، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ**"[2].

فالقتال من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام هو الحلّ الأخير الذي يلجأ إليه مضطراً بعد ان تنفذ كل جهوده السلمية، لأنه مصلحٌ لا متسلّطٌ يسعى الى الحكم بأية وسيلة "**وَقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الاْمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعْنِي إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الاْخِرَةِ**"[3].

فحرب الجمل قد خاضها الإمام علي عليه السلام مضطراً ليس بفعل المندسين في جيشه، ولكن إرادة طلحة والزبير ومعهما عائشة هي التي حتمت عليه خوضها، خاصة أن أقطاب حرب الجمل الثلاثة قد ادركوا ان المساومة مع الإمام علي عليه السلام على حساب المبادئ لن تجدي نفعاً، فلجأوا الى الحرب لإقصائه حتى يتمكنوا من تحاشي تهمة تآليبهم على عثمان فيما لو استقر الوضع، وكي يصلوا الى تحقيق هدفهم المادي المشترك المتمثل في تمكنهم من السلطة فيما لو انتصروا عليه[4].

فأنّ طلحة بن عبيدالله التميمي كان من اكبر المحرضين على عثمان فهو الذي امر الثوار بتشديد الحصار عليه ومنع الماء عنه كما استولى على مفاتيح بيت المال اثناء الحصار، وقد حاول

محمد وأحرق جثمانه ستة (٣٨هـ / ٦٥٨م). ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٣٧٧.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص٤٨.

(٢) نهج البلاغة، ص٤١٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٠. ينظر المياحي، الإمام علي بن أبي طالب دراسة في فكره العسكري، ص٨٣.

(٣) نهج البلاغة، ص٩٤.

(٤) المياحي، الإمام علي بن أبي طالب، دراسة في فكره العسكري، ص٨٤.

الإمام علي عليه السلام ثنيه عن كل ذلك ولكنه ظل مصراً على موقفه، ولمّا قتل عثمان ووجد اقبال الناس على الإمام علي عليه السلام بايعه معتقداً انه سينال الحظوة عنده بحكم صحبته فطلب منه ان يواليه البصرة[١] فأبى الإمام عليه السلام ذلك، ويذكر ابن قتيبة انّ الزبير بن العوام كان من اكبر المعارضين للإمام علي عليه السلام والمساندين له في المطالبة بالخلافة منذ اليوم الذي تمت فيه البيعة لأبي بكر حتى الوقت الذي انعقدت فيه لجنة الشورى فلقد كان من ضمن الستة الذين رشحهم عمر للخلافة فتذكر المصادر التاريخية انه تنازل عن حقه في تلك اللجنة للإمام علي عليه السلام [٢].

إلا أنه غير موقفه من الإمام علي عليه السلام بعد أن تمت البيعة له بعد مقتل عثمان، ويعزى ذلك التغير فيما نعتقد الى عدة عوامل في مقدمتها العامل المادي اذ لم يكن الزبير راضيا عن نظام المساواة لتعارضه مع مصلحته الذاتية لذلك فإنه عليه السلام يقول لطلحة والزبير لما كتبا عليه مساواتهم بغيرهم من المسلمين "**وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الاْسْوَةِ، فَإِنَّ ذلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلاَ وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُما مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللهِ، عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هذَا عُتْبَى**"[٣].

أن الإمام علي عليه السلام لم يحقق له رغبته في توليته الكوفة، إذ يبدو من حواره مع الإمام عليه السلام حول طلب الولاية أن العامل المادي هو الذي اسخطه على عثمان اذ يقول هو وطلحة للإمام عليه السلام بعد ان بايعاه "قد رأيت ما كان فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها وعلمت رأي عثمان في بني أمية وقد ولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض أعمالك"[٤]، ويورد ابن قتيبة رواية يقول فيها: "لما امتنع الإمام علي عليه السلام عن الاستجابة لما طلباه قال الزبير متذمراً: هذا لا اجزاؤنا من علي عليه السلام أقمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفى الامر فلما نال ما اراد جعله دون غيرنا"[٥]، فرد عليه الإمام عليه السلام بخصوص بيعته وادعاؤه هذا قوله "**فَقَدْ أَقَرَّ بِالبَيْعَةِ، وَادَّعَى الوَلِيجَةَ (اي ما يُضمر في القلب ويكتم)، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلاَّ فَلْيَدخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ**"[٦].

---

(١) المياحي، الإمام علي بن أبي طالب، دراسة في فكره العسكري، ص٨٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢ ــ ١٣.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٤٥.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح ابن ابي الحديد، ج١، ص٢٣١.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٥١.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٣ ، الاسكافي، المعيار والموازنة، ص١٢٠-١٢١.

أضف الى ذلك تأثير ولده عبد الله (ابن أسماء شقيقة عائشة ابنة بكر) عليه فلقد كان الطموح الى الأمارة يملأ حنايا الابن بحيث ترك لابيه مجالا للتفكير في عاقبة مجابهة الإمام عليه السلام من بيعته ولادراك الإمام علي عليه السلام مدى تأثير الابن على ابيه روي عنه قوله "**مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْؤُومُ عَبْدُ اللهِ**"(١).

ولقد بذل الإمام علي عليه السلام كل ما في وسعه لصد الزبير عما عزم عليه متبعاً اسلوب الترغيب المقرون بعنصر القرابة، ولكن كل ذلك يجد نفعا من ذلك انه قبل بدء القتال قال لابن عباس ارسله للتفاهم مع اصحاب الجمل "**لاتَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنِ القَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بَالحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا**"(٢)، ولكن الزبير لم يعد الى رشده ويعتزل القتال الابعد ان نشب القتال.

أما عائشة بنت أبي بكر بدا صوتها يعلو في خلافة عثمان متخذا جانب المعارضة فكانت "أشد الناس تأليباً عليه وتحريضا" (٣)، روي ان السبب المادي هو الدافع وراء ذلك لان عثمان ساواها اسوة بغيرها من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله (٤)، بعد أن كان عطاؤها في عهد عمر يزيد عليهن بالفيء، دخلت مع عثمان في مناظرات وخرجت على قتله دليل على ذلك قولها بعد خروجها من المدينة الى مكة أثناء حصار عثمان " قتلوا نعثلا فقد كفر "(٥).

ويذكر ابن قتيبة أيضاً أنّها كانت تتمنى لو وضع مكانه في الخلافة طلحة بن عبيد الله التميمي على اعتبار أنها تيمية ايضا فلما قتل عثمان ووصلها خبر مبايعة الناس للإمام علي عليه السلام ادركت ان طموحاتها في ارجاع الخلافة تيمية أصبح بعيد المنال(٦).

هذا بالإضافة الى ما كانت تحمله في نفسها من بغض لعثمان روى الاسكافي "ان ام المؤمنين كانت اشد الناس تأليباً عليه وتحريضاً، إذ روي انها كانت تخرج اليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على المنبر وتقول له يا عثمان هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وقد ابليت سنتهُ" حتى

---

(١) نهج البلاغة، ص٥٩٧.
(٢) نهج البلاغة، ص٧٢.
(٣) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ، ج١، ص٥٩٦.
(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٧٥.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٥٩. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص٤١٩.
(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٥٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٠٦.

عدت لهم المحرضين عليه والمسببين لقتله كما أشارت الى ذلك الروايات التأريخية[١]، وكانت عائشة تستغل مكانتها للتأثير في الناس ودعم موقفها السياسي كونها زوجة الرسول ﷺ وابنة الخليفة الاول للمسلمين ابي بكر، فلقد تهيأت لأصحاب الجمل كل الظروف التي تتيح لهم محاربة الإمام علي عليه السلام واشعال الفتن.

فقضية حرب الجمل قد كانت محسومة بالنسبة للإمام علي عليه السلام فهو لا يجد مسوغاً في الخروج على خلافته عليه السلام ،مادامت تسير بأمور المسلمين بما يتماشى مع القرآن والسنة وتحقق العدل للجميع، فالتصدي للفتنة واخمادها واجب ديني في حالة عدم جدوى النصح وهو ما يمكن استخلاصه مما ذكر عنه عليه السلام من اقوال فبصدد كشفة اساليب التضليل التي حاول بها اصحاب الجمل اضفاء الحقيقة بقول عليه السلام: "**فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا**" [٢]، والاجتراء الذي يقصده الإمام عليه السلام هنا هو تبصره ملابسات الفتنة ومعالجتها بمقتضى الشرح، وروى الاسكافي: "ان أم المؤمنين ام سلمة لما دعتها ام المؤمنين عائشة للخروج طلباً بدم عثمان رفضت ذلك وذكرتها بمواقف عدة ووصايا لرسول الله ﷺ اوصى بها عائشة وحذرها من اتخاذ أي موقف ضد الإمام علي عليه السلام ومن ذلك قول ام سلمة لعائشة: تذكرين يوم أقبل رسول الله ﷺ ونحن معه حتى إذا هبط من قديد مال الناس ذات اليمين وذات الشمال فأقبل هو وعلي بن ابي طالب يتناجيان، فأقلبت على جملك عليهما فنهيتك وقلت: رسول الله ﷺ وابن عمه ولعل لهما حاجة فعصيتني، فهجمت عليهما، فقلت: قد نهيتك، فقلت: والله ما جرأني على ذلك الا انه يومي من رسول الله ﷺ فقلت لك: ما ابكاك؟ فقلت: هجمت عليهما فقلت: يا علي انما لي من رسول الله ﷺ من تسعة ايام يوم، فلا تدعني يومي؟ فاقبل علي رسول الله ﷺ غضباً محمداً وجهه فقال: والله لا يبغضه احد من اهل بيتي وغيرهم الا خرج من الايمان وانه الحق والحق معه، اتذكرين هذا؟ قالت: نعم..."[٣]، ومن ذلك يتبين ان بغض عائشة لعلي عليه السلام كان عاملاً مهماً من عوامل اندافعها لقيادة التمرد عليه، في حين تثبت رواية العقوبي ان عائشة لم تكن مكترثه بمصير عثمان بن عفان بل انها كانت من المرحبين بمقتل كما يظهر من رد فعلها لما قيل لها قتل عثمان اذا قالت بعداً وسحقاً"[٤]، ويبدو ان عائشة ظلت تكن البغض للإمام

---

(١) الاسكافي، المعيار والموازنة، ص٢٤.

(٢)نهج البلاغة، ص١٥٨.

(٣)الاسكافي، المعيار والموازنة، ص٢٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٥. الموسوي، علي جميل عبد، الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كربلاء المقدسة، مؤسسة نهج البلاغة، ٢٠١٦م، ص٢١٦.

علي عليه السلام طوال حياتها بدليل قولها لما سمعت باستشهاده:

فألقت عصاها واستقر بها النـــوى كما قر عيناً بالايـــاب المســـافر[1]

مواقف الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م):

تعد معركة الجمل من الاحداث البارزة في تاريخ البشرية عامة والحاسمة في تاريخ الإسلام، فهي اول معركة تقع بين فئتئن من المسلمين اذا ما استتثينا ما عرف بحروب الردة سنة (١١هـ/٦٣٢م).

فكانت للإمام علي عليه السلام مساعيه السلمية والقاؤه الحجة قبل بدء القتال حيث اتفق معظم المؤرخين على ان الإمام عليه السلام عمل على مراسلة اهل الجمل قبل بدء القتال في محاولة منه لإقناعهم بأنهاء تمردهم إذ روى ابن أبي الحديد أنه عليه السلام أقام ثلاثة أيام قبل بدء المعركة يبعث رسالة الى اهل البصرة يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة فلم يجد منهم اجابة، وقد تضمنت مراسلات الإمام علي عليه السلام لطلحة والزبير خروجهما عليه بعد أن بايعاه، واتهامه بقتل عثمان وايواء قتلته واخراجهما عائشة من حجرها، فقال عليه السلام: "**وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هذَا الاْمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ، كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ، بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ، وَقَدْ زَعَمْتُما أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمانَ، فَبَيْنِي وبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِىء بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ، فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الاْنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ، السَّلاَمُ**"[2].

وكتب إلى عائشة: "اما بعد، فإنك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين امراً كان عنك موضوعاً، ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس تطالبين بدم عثمان ولعمري لمن عرضك للبلاء، وحملك على المعصية أعظم اليك ذنباً من قتله عثمان وما غضبت حتى اغضبت وما هجت حتى هيجت، فاتقي الله وارجعي الى بيتك"، فأجابه طلحة والزبير: "انك سرت مسيراً له ما بعده، ولست راجعاً، وفي نفسك منه حاجة فامض لإمرك، أما أنت فلست راضياً دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها ابداً، فاقض ما أنت قاض"[3]، وكتبت عائشة: "جل الامر عن العتاب"[4].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٤٠؛ البلاذري، انساب الاشراف، ص٥٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص١٥٦.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٥٧ ؛

(٤) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٥٦-١٥٧.

ويذكر ابن أبي الحديد: " أن الإمام علي عليه السلام قال لعبد الله بن مسعود: يا ابن مسعود اتدري ما حكم الله فيمن بغى من هذه الامة؟ قال ابن مسعود: الله ورسوله اعلم، قال عليه السلام: فأن حكم الله فيهم الا يتبع مدبرهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يجهز على جريحهم "[1].

ولم يكتف الإمام عليه السلام بالمراسلات التي جرت بين الطرفين بل حاول التحدث الى القوم قبل بدء القتال، فيذكر ابن ابي الحديد: "ثم واقفهم من صلاة الغداة الى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة: ان الله امرك أن تقري في بيتك فاتقي الله وارجعي ويقول لطلحة والزبير: خبأتما النساء كما وابرزتما زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولان: انما جئنا للطلب بدم عثمان وان ترد الامر شورى"[2].

ويورد لنا نهج البلاغة عندما طلب الإمام علي عليه السلام مقابلة الزبير واعطاءه الامان فأقبل الزبير، فقال له الإمام عليه السلام: اناشدك الله يا ابا عبد الله، هل تذكر يوماً مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وآله ويدي في يدك فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: اتحبه؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقال لك: اما إنك تقاتله وانت له ظالم، فقال الزبير: نعم، انا ذاكر له "[3].

شملت مراسلات الإمام عليه السلام قبائل البصرة، ولم يقتصر على طلحة والزبير وعائشة، كما يتضح عند شراح النهج، اذ قال ابن ابي الحديد: "... ورجعت رسل علي من البصرة فمنهم من اجابه واتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير..."[4]، وكان من اهم النتائج التي حققتها المساعي السلمية لإمام علي عليه السلام اعلان الاحنف بن قيس وقبيلته تميم الوقوف على الحياد وعدم الاشتراك بالقتال، بعد ان كتب الإمام علي عليه السلام يخيره بين القدوم اليه مع اهل بيته فقط او ان يتخلف عنه ويكف عنه اربعة الاف سيف فوافق الإمام علي عليه السلام على الخيار الثاني"[5]، وارسل الى الاحنف: "كف من قدرت كفه"[6]، مما يدل على الحكمة السياسية التي تمتع بها عليه السلام في الفائدة من التحاق الاحنف بن قيس واهل بيته بجيش الإمام علي عليه السلام مع احتمال انضمام أربعة أو ستة الاف مقاتل من قبيلة تميم الى جيش أهل الجمل"[7].

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٥٧؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج١، ص٦٦.
(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٥٨.
(٣) نهج البلاغة، ص٧٤.
(٤) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٦٠.
(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج١، ص٦٧؛ البلاذري، انساب الاشراف، ص٢٥١.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج، ص٢١٢.
(٧) المصدر نفسه، ج، ص٢١٤.

أحدثت مساعي الإمام علي عليه السلام قبل القتال عن تخلي قائد جيش اهل الجمل الزبير بن العوام عن القتال، فذكر بعض المؤرخين "أن الزبير ما أن سمع بحديث الرسول صلى الله عليه وآله الذي ذكره به الإمام علي عليه السلام حتى قدر الانصراف عن القتال والعودة الى المدينة، فلحقه عمرو بن جرموز وقتله في "وادي السباع" [١]،[٢].

لقد أشاد أصحاب الإمام علي عليه السلام بأهمية ما حققه عليه السلام من اقناع الزبير بترك القتال فقالوا: "الحمد لله يا أمير المؤمنين، ما كنا نخشى في هذه الحرب شجاعته وبأسه ومعرفته بالحرب فإذا قد كفاناه الله، فلا نعد منه سواه الا صرعى حول الهودج "[٣]، فضلاً عن ذلك اكتسب انسحاب الزبير من المعركة اهميته من ان الزبير هو القائد بجيش اهل الجمل، يذكر ابن قتيبة " وذكروا انه لما تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة..."[٤]، المعلوم ان انسحاب القائد من المعركة بعد امراً غاية في الخطورة على معنويات واداء الجيش في القتال ؛ هذا يعني ان الزبير ترك القتال في المعركة بعد ان انهزم جيش وتركه فيذكر الطبري: "حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح، فقال اتريد ان تقتلني؟ قال: لا انصرف"[٥]، ولكنه رجع بتأثير من ولده عبد الله فعندما قرر الزبير الانصراف عن المعركة قال: "ما لي في هذه الحرب بصيرة، فقال له ابنه: انك قد خرجت على بصيرة ولكنك رأيت رايات ابن ابي طالب وعرفت ان تحتها الموت فجبنت"[٦]، فيذكر الطبري "فأسخطه حتى رعد وغضب، وقال: ويحك اني قد حلفت له الا اقاتله، فقال له ابنه: كفر عن يمينك بعتق غلامك مرجس، فاعتقه وقام في الصف معهم "[٧].

واذا كانت محاولة اقناع الزبير بالرجوع عنه القتال أهمية بالغة على الصعيد الميداني فأن أهميتها عند الإمام علي عليه السلام لا تنحسر في هذا الجانب بل تتعداه الى أهمية عقائدية كبرى، تتمثل بضرورة القائه الحجة على القوم قبل بدء القتال كي يكون موقفه سليماً امام الله تعالى وامام

---

(١) وادي السباع: موضع في طريق مكة بينه وبين البصرة خمسة اميال، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٣. الازيرجاوي، قاسم جودة، أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ٢٠١٣م، ص١١٢.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج١، ص٦٨؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥٢٠.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج١، ص٦٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص١١١.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص١٢٦.

(٦) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٤، ص١٦٦.

(٧) شرح النهج، ج١٤، ص١٦٧.

التاريخ، لذلك يبين لنا الإمام في نهج البلاغة انه لم يدخر جهداً في سبيل القاء الحجة على اهل الجمل ابتدأ بمراسلتهم ثم مخاطبتهم وتذكيرهم ومحاججتهم في كتابه لطلحة والزبير قبل بدء المعركة قائلاً: "**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُما، وَإِنْ كَتَمْتُما، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُما بَايَعْتُمانِي طَائِعَيْنِ، فارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُما بَايَعْتُمانِي كَارِهَيْنِ، فَقَدْ جَعَلْتُما لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُما بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هذَا الاْمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ، كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ، بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ، وَقَدْ زَعَمْتُما أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِىء بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ، فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الاْنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ، السَّلاَمُ**"(١)..

ثم عمد إلى إجراء لم يسبق لاحد ان اتخذه في تاريخ الحروب، يعد غاية في المثالية في السلوك الانساني روى اليعقوبي ان الإمام علي عليه السلام قال لأصحابه بعد فشل جميعاً المحاولات السلمية التي قام بها " فرمى رجل من عسكر القوم بسهم، فقتل رجلاً من اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فأتي به اليه، فقال اللهم أشهد ثم رمى اخر فقتل رجلاً من أصحاب علي فقال: اللهم اشهد، ثم رمى رجل اخر، فأصاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله، فأتى به اخوه عبد الرحمن يحمله فقال علي: اللهم أشهد ثم كانت الحرب... "(٢).

ويذكر ابن أبي الحديد: " فلما توقفوا للقتال، أمر علي منادياً ينادي من اصحابه لا يرمين احد منهما ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى أعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحجة... وذكروا انه بينما الناس وقوف اذا رمى رجلُ من اصحاب علي فجيء به الى علي، فقال: يا أمير المؤمنين هذا اخونا قد قتل، فقال علي: اعذروا الى القوم، فقال عبد الرحمن بن ابي بكر: إلى متى؟ وقد واله اعذرنا واعذرت ان كنت تريد الإعذار والله لتأذنن لنا في لقاء القوم او ننصرف الى متى تستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلاً رجلاً؟ فقال علي: قد والله ارانا اعذارنا...(٣).

وكان للإمام دوره البطولي في معركة الجمل، لأنه اول خليفة يقاتل في الصفوف الاولى لجيشه، بل انه اول حاكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يتصدى لقيادة الجيش في المعارك، فقد عرف عن

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٧٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٧.

(٣) شرح النهج، ج١٤، ص١٦٧.

الاكاسرة و الابارطرة في ذلك الوقت أنهم كانوا يرسلون القادة على رؤوس الحملات ولا يشتركون فيها الا نادراً، فتشير الروايات التاريخية الى بسالة الإمام علي عليه السلام وشجاعته وقدرته القتالية وعدم اكتراثه بأهوال الحرب وما يواجهه فيها، فعندما اعطى الراية في بادى الامر الى محمد بن الحنيفة يوم الجمل قال له عليه السلام: " تزول الجبال ولا تزل عض على ناجزك ابر الله جمجمتك تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه"(١)، هذه الوصية تدل على مدى حنكة الإمام القيادية، فيذكر ابن قتيبة انه: " فلما نظر علي الى اصحابه صاح بابنه محمد ومعه الراية... واخذ الراية من يده ثم حمل، فدخل عسكرهم وان الميمنتين والميسرتين تضطربان في احداهما عمار وفي الاخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن ابي بكر، قال: شق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج وهو يقول: الماء، ثم اعطى الراية لابنه محمد وقال: هكذا اصنع..."(٢)، وقال الدينوري: "وصبر الفريقان بعضهم لبعضهم حتى كثرت القتلى وثار القتام، وطلت الالوية والرايات وحمل علي بنفسه وقاتل حتى انثنى سيفه..."(٣)..

أما مواقفه الانسانية ودوره الأخلاقي والشرعي في الحرب يوم الجمل فتدل على مدى التزامه الشرعي والاخلاقي حتى في ظروف الحرب ولا تكاد اقواله في نهج البلاغة شواهد التي تشير إلى هذه المواقف فقد قال عليه السلام عندما هزم اهل الجمل نادى بأصحابه: "**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّة، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصيبُوا مُعْوِراً، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح، لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى...**"(٤)، وبذلك يكون الإمام علي عليه السلام فد طبق سنةٌ من سنن رسول اله صلى الله عليه وآله وبعد انتهاء المعركة عامل الإمام علي عليه السلام الاسرى معاملة غاية في الانسانية فاطلق سراحهم جميعاً وطالبهم بالبيعة، روى انه عليه السلام دعا بموسى بن طلحة بن عبيد الله "فقال الناس هذا اول قتيل يقال فلما اتى به علي قال: اتبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس؟ قال: نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم"(٥)، ولعل من المناسب القول بان طلب الإمام البيعة من الاسرى كان اجراء لاثبات حسن نياتهم وتعبيراً عن دخولهم في الجماعة، ولم تكن به عليه السلام حاجة لبيعتهم كما يتضح من كلامه مع مروان بن الحكم، روي ان الإمام الحسن عليه السلام طلب الامان لمروان بن الحكم من أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٤.

(٢) الإمامة والسياسية، ج١، ص٧١.

(٣) ابو حنيفة احمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الاخبار الطوال، دار المسيرة، (بيروت: د.ت)، ص٢١٦.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٨٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٨.

عندما اخذ اسيراً فخلى سبيله فقال الإمام الحسن لأميرالمؤمنين: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام او لم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته انها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته، اما ان له امرة كلعقة الكلي انفه وهو ابو الاكبش اربعة، وستلقى الامة منه ومن ولده يوماً احمر"[1].

اضافة إلى أن عائشة كانت من بين من وقع في الاسر في يوم الجمل ويبدو لنا ان مفهوم الأسير لا ينطبق على عائشة يوم الجمل الا من حيث عدها من افراد الطرف المهزوم في المعركة الذين امسوا تحت رحمة الطرف المنتصر المتمثل بالإمام علي عليه السلام وجيشه، اما من حيث المعاملة التي لقيتها عائشة فلم يشير اليها نهج البلاغة فذكرت الروايات التاريخية ان الإمام علي عليه السلام تفقد عائشة في هودجها وأمر أخاها محمد ان ينتظر اليها ويتأكد من سلامتها قائلاً: " ادخل رأسك وانظر احية هي؟ وهل اصابها شيء؟ ففعل ثم أخرج رأسه فقال: هي في جسدها أو عضدها"[2]، ثم امره ان يدخلها البصرة فانزلها دار صفية بن الحرث بن طلحة بن ابي طلحة العبري[3]، ثم جهزها بالمال ووجه معها نساء لحمايتها ومراعاتها وبلغ الامر من احترام الإمام علي عليه السلام لعائشة كونها زوجة الرسول صلى الله عليه وآله ان سكت عن وجود اثنين من المهزومين يوم الجمل لجئا إليها، يبدو انهما اقاما عندها في الدار نفسها وهما عبد الله بن الزبير وعتبة بن ابي سفيان[4].

وفي يوم الجمل كان الإمام علي عليه السلام بازاء موقف شرعي مستحدث لم يسبق للمجتمع الإسلامي ان مارسه في عصر الرسالة الا وهو كيفية التعامل مع مواريث من بغى من أهل القبلة وذويهم، كان المسلمون قد اعتادوا في حروبهم مع المشركين والمتأمرين من اهل الكتاب على سبي النساء بوصفهم جزء من الغنائم، لذلك اعتقدوا أن من حقهم عمل الشيء نفسه مع اهل الجمل، لكن الإمام علي عليه السلام نهاهم عن ذلك وسمح لهم بتقاسم ما استعمله اهل الجمل في حربهم من سلاح وغيرها، فذكر الدينوري: "فجعلوا يمرون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع، فلا يعرض له احد الا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والدواب التي حاربوا عليها، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم واموالهم؟ فقال ليس على الموحدين سبي ولا يغنم من اموالهم الا ما قاتلوا به وعليه فدعوا ما لا تعرفون والزموا ما تؤمرون"[5]، وفي

---

(١) نهج البلاغة، ص١١٢.

(٢) البلاذري، الانساب، ص٢٤٩؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٢٧.

(٣) البلاذري، الانساب، ص٢٤٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣ ،ص٥٢٠.

(٤) البلاذري، انساب الاشراف، ص٢٤٩؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٥٢٠.

(٥) الاخبار الطوال، ص٢١٧.

رواية اخرى "ثم امر المنادي فنادى: لا يلحقن مدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال في اهليهم فهو ميراث على فرائض الله، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا اموالهم ولا تحل نساؤهم ولا ابناءهم؟ فقال: لا يحل ذلك لكم، فلما اكثروا عليه في ذلك، قال: اقترعوا مأثرا بسهامكم ثم قال: ايكم يأخذ امكم عائشة في سهمه؟ فقالوا: نستغفر الله، فقال: وانا استغفر الله"(١).

ومن مواقف الإمام علي عليه السلام يوم الجمل عفوه عن اهل البصرة فلما دخلها قلم خطيباً فقال: "يا اهل البصرة قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة، فأنكم تول الرعية... نكث البيعة وشق عصا الامة"(٢)، وهذا موقف اخذ يتأسى فيه الإمام علي عليه السلام برسول الله عبر عنه في النهج قال: "سرت في اهل البصرة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في اهل مكة"(٣).

اذاً فحرب الجمل ونتائجها من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام مسالة فقهية ايضا وضحت حين باشرها بنفسه "اذ لم يكن المسلمون قبلها يعرفون كيفية قتال اهل القبلة"(٤)، فقد ذكر الشافعي قوله: "لو لا علي لما عرف شيء عن أحكام أهل البغي"(٥).

فقد ذكر ابن أبي الحديد: "أن علياً قال لعبد الله بن مسعود يا ابن مسعود اتدري ما حكم الله فيمن بغى من هذه الامة؟ قال ابن مسعود: الله ورسوله اعلم، قال عليه السلام فان حكم الله فيهم ألّا يلحق مدبرهم ولا يقتل أسيرهم، ولا يجهز على جريحهم"(٦). الا ان معركة الجمل وان حسمت في صالح الإمام علي عليه السلام فإنها لم تكن سوى تمهيد لحرب تزعمها من سماهم الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة بـ(القاسطون)، وهذا ما سنوضحه لاحقاً، لكن يجب ان نوضح وبشكل بسيط انتقال الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة وجعلها دار الخلافة والوقوف على أهم أسباب الانتقال.

ـ الكوفة دار الخلافة:

كان من بين الخطوات السياسية المهمة التي قام بها الإمام علي عليه السلام بعد معركة الجمل هو اتخاذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية، فيرجع قرار الإمام علي إلى عدة عوامل.

١ ــ تتركز في الكوفة القاعدة الموالية للإمام علي عليه السلام فأهل المدينة فضلوا الحياد والابتعاد

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٩. الموسوي، الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص٢١٧.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٥.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص١٩٥.

(٥) شرح النهج، ج١٤، ص١٩٥.

(٦) ابن ابي الحيد، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص١٩٥.

عن الصراعات السياسية، فيذكر ابن كثير «... وكان علي لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه»[1]، في حين كان أهل البصرة يوالون طلحة والزبير، بقي أهل مصر الذين انقسموا على قسمين قسم يوالي الإمام علي عليه السلام، وقسم آخر يوالي معاوية، أما أهل الكوفة فكانوا كما وصفهم الإمام علي عليه السلام: ما نصه «أين قد اخترتكم على أهل الأمصار فرغبت إليكم وفزعت لما حدث فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة أخواناً»[2]، وكما وصفهم قائلاً عليه السلام: ما نصه «يا أهل الكوفة أنكم من أكرم المسلمين وأقصرهم تقويماً وأعدلهم سنة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً وأنتم أشد العرب وداً للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وإنما جئتكم ثقة بعد الله بكم للذين بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلفهما طاعتي...»[3].

٢ــ قرب منطقة الكوفة من الشام بنسبة إليها من الحجاز، فبالاستطاعة وبكل سهولة غواية ساكنيها، خصوصاً أن معاوية بن أبي سفيان قريب جداً منهم، حتى ذكر الإمام علي عليه السلام(... إن الرجال والأموال في العراق وأهل الشام لهم وثبة أحب أن أكون قريباً منهم...).

ويقول الإمام عليه السلام عندما استنصحه عبدالله بن عباس أن يولي طلحة والزبير الكوفة والبصرة، قال له: (ويحك، إن العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان)[4].

وينقل ابن أبي الحديد أن معاوية عندما علم بمبايعة المدينة لإمام علي عليه السلام كتب إلى الزبير يطمعه بالخلافة ويرغبه بالكوفة والبصرة (... لعبدالله أمير المؤمنين الزبير من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلبي فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين...)[5].

٣ ــ النظرة التاريخية لبداية تأسيس هذه المدينة تشير إلى أهمية خاصة تحظى بها الكوفة فيذكر الحموي «ان عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص ان العرب لا يصلحهما من البلدان إلا ما أصلح الشاة، فلا تجعل بيني وبينهم بحراً وعليك بالريف فأتاه ابن بقيلة فقال له: أدبك

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٤١.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٤٥.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١١٥.
(٤) الإمامة والسياسية: ج٢ ص٥٢.
(٥) شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٣١.

على أرض انحدرت عن الفلات وارتفعت عن المبقة؟ قال: نعم، فدك على موضع الكوفة»[1]، كذلك تشكل الكوفة نقطة اتصال بين شرق الدولة الإسلامية وغربها.

٤ ــ مع امتداد الدولة الإسلامية وتوسعها أصبحت المدينة المنورة بعيدة عن الامصار التي انشئت في البلدان التي تم فتحها فكان لابد من اختيار موقع آخر كمركز للخلافة الإسلامية فلم يكن هناك أفضل من الكوفة[2].

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩١.

(٢) الموسوي، دولة الإمام علي عليه السلام، ص٣٦٦.

المبحث الثاني

القاسطون ومعركة صفين في نهج البلاغة

أولاً:- بنو أمية - القاسطون -:

القاسطون في اللغة: هم الجائرون الباغون، وقد جاء في القران الكريم ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1].

"لذلك قيل: قسط الرجل: إذا جار واقسط: اذا عدل"[2]، ففي التعريف بين معنى المفردتين يقول ابن منظور "**أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ إذا عدَل وقَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ إذا جارَ فكأَن الهمزة في أَقْسَطَ للسَّلْب كما يقال شَكا إليه فأَشْكاه**"[3].

ومفردة قاسط التي تعني الجور كمصطلح سياسي قد أطلقت على الأمويين ومن شايعهم لخروجهم على الإمام علي عليه السلام ومحاربتهم له في صفين فقد ذكر عنه قوله "عهد الي رسول الله صلى الله عليه وآله ان أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين "[4].

وذلك يكشف لنا عن موقف الإمام علي عليه السلام المتشدد تجاه الامويين عامة وتجاه معاوية بن ابي سفيان خاصة لأنه كان مصراً على تنحية معاوية في ولاية الشام وهذا واضح في النهج عندما ارسل اليه لم يكن بدافع العصبية أو حب التسلط، وانما هو موقف نابع من اعتقاد ديني بحت وان حاولت السياسة إلباسه ثوب العصبية ذلك الوتر الذي حاول الامويون العزف عليه للوصول الى مآربهم فكان البدء مطالبتهم الخليفة بالاقتصاص من قتلة عثمان الاموي فجانب العصبية قد يكون له قيمته العالية في القضية اذا ما نظرنا اليه من الزاوية الأموية[5].

فقد احتموا بذلك كشعار من أجل معارضتهم لخلافة الإمام علي عليه السلام حين وضعوه كشرط لأقدارهم بخلافة الإمام عليه السلام، وذلك منذ الأيام الأولى التي انعقد فيها الأمر له فقد تخلف عن البيعة

---

(١) سورة الجن: الآية: ٧٢.

(٢) الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، المفردات في غريب القران، دار قهرمان، (استانبول: ١٩٨٦م)، ص٦٠٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٨٦.

(٤) نهج البلاغة، خطبة ٧١.

(٥) بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص١٠٦.

بعض الأمويين فبعث اليهم ليكلمهم في ذلك، فتكلم الوليد بن عتبة فقال "يا أبا الحسن انك وترتنا بأجمعنا اما انا فقتلت أبي صبرا يوم مكة وخذلت أخي عثمان فلم تنصره واما سعيد بن العاص فقتلت اباه يوم بدر... واما مروان فسحقت اباه عند عثمان لما رده الى المدينة وضمه اليه ونحن نبايعك على ان قتل من قتل صاحبنا... وعلى انك تسوغنا ما يكون منا وعلى انى ان خفناك على انفسنا لحقنا بالشام عند ابن عمنا معاوية"(١).

فالشروط التي وضعها أولئك الأمويون لم تكن ذا طابع اسلامي وانما هي مبنية على العصبية الجاهلية والمادة وبعيدة عن مفهوم السياسة الدينية (٢).

لذلك فهي تتعارض وفكر الإمام علي عليه السلام وهذا ما أدى إلى رفضها جملة وتفصيلا، ويكمن ذلك في ما ورده عليهم بقوله "إما ما ذكرتم اني وترتكم فان الحق وتركم واما وضعي عنكم ما يكون منكم فليس لي ان اضع عنكم حقا لله تعالى قد وجب عليكم واما قتلي قتله عثمان فلو لزمني اليوم قتلهم لقتلتهم امس واما خوفكم اياي فاني اومنكم مما تخافون"(٣).

فالجدل الذي دار بين الإمام علي عليه السلام يكشف تباين المواقف الفكرية عند كلا الطرفين اذ بينما تنطلق رؤية الإمام عليه السلام من قاعدة دينية اساسها الحق والمساواة، تنطلق نظرة وفكرهم من قاعدة اساسها المصلحة الذاتية المتكونة من عناصر مادية واخرى عصبية.

لقد حاول الامويون كبح جماح رغباتهم في مدة صدر الإسلام وان لم يخفوا بعض تطلعاتهم التي كانت تتصارع في نفوسهم، فعثمان بن عفان وهو من الصحابة السابقين الاولين الذين دخلوا الإسلام بطوعيته وعن اقتناع قد جاء الرسول صلى الله عليه وآله هو وجبير بن مطعم (٤).

لمّا قسم صلى الله عليه وآله سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني عبد المطلب فقال له "يا رسول هؤلاء بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم ارايت بني عبد المطلب؟ اعطيتهم ومنعت وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة"(٥)، فلقد فقد الامويون كل امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون

---

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٢، ص٤٤١.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٧٥.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٧٥.

(٤) **جبير بن مطعم** : وهو من حكماء العرب وساداتهم يؤخذ عنه النسب لقريش وللعرب قاطبة كان له عند الرسول صلى الله عليه وآله وهو انه كان اجار رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم من الطائف حين دعا ثقيفا الى الإسلام وكان احد الذين قاموا بنقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني عبد المطلب وكان اسلامه بعد الحديبية وقبل الفتح توفي سنة (٥٧هـ/٦٧٦م)، ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٣٣٢.

(٥) ابن سلام، ابو عبيدة القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ/٨٥٦م) الاموال، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٦م)، ص٣٤١.

بها في الجاهلية بعد دخولهم الإسلام كرها فعدوا من الطلقاء بعد ان منَّ عليهم الرسول ﷺ يوم الفتح[١].

ولا بد ان يكون ذلك قد ترك أثرا عميقا في نفوسهم وان حاولوا اضماره والاندماج في المجتمع الجديد كما حاول الرسول ﷺ بدوره استلال النقمة من نفوسهم بتالفهم بالمال فأعطى ابا سفيان من غنائم حنين "مائة بعير وأربعين أوقية كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم واعطى ابيه يزيد ومعاوية" [٢].

واستعمل ﷺ منهم في بعض أعماله من ارتضى دينه ووثوقه من حسن إسلامه مثل ابان بن سعيد بن العاص[٣]، الذي ولاه ﷺ البحرين بعد أن "عزل عنها العلاء ابن الحضرمي"[٤]، وبعث خالد بن سعيد بن العاص[٥]، عاملا على الصدقات اليمن ولم يزل على عمله حتى توفي رسول الله ﷺ واستعان بعثمان على كتابة الوحي[٦]، وبخالد بن سعيد ومعاوية بن ابي سفيان في كتابة حوائجه[٧].

كل ذلك لأجل تأليف نفوس الأمويين واندماجهم في الحياة الجديدة، فانحسرت طموحاتهم بعض الشيء وان كانت لتظهر من الشاذين منهم على شكل تصرفات عدائية بقصد الاستهزاء بالإسلام والإساءة إلى الرسول ﷺ بسبب عدم مقدرتهم على التفاعل مع القيم الانسانية التي حطت

---

(١) سموا بالطلقاء نسبة الى قول رسول الله ﷺ يوم الفتح في السنة الثامنة حين قال "يا معشر قريش ويا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا كريم ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء" ينظر: المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب، منشورات الرضي، (قم: ١٩٨٣م)، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ج٢، ص١٩٠.

(٣) **ابان بن سعيد** بن العاص بن اميه بن عبد الشمس اسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وكان شديدا على رسول الله ﷺ والمسلمين قبل اسلامه اسلم بعد ان عرف حقيقة النبي ﷺ من راهب بالشام واستعمله الرسول ﷺ على البعدين وكان احد من تخلف عن بيعة ابي بكر لينظر ما يصنع بني هاشم فلما بايعوا بايع اختلف في سنة وفاته فقيل سنة (١٢هـ /٦٣٣م) وقيل (١٤هـ/٦٣٥م) وقيل سنة (٢٩هـ/٦٤٩م)؛ ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٩٨.

(٤) ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٤٧

(٥) **خالد بن سعيد** بن العاص من السابقين الاولين في الإسلام لم يتقدم عليه في ذلك سوى الإمام علي (عليه السلام) وابو بكر وزيد بن حارثه وسعد بن ابي وقاص هاجر الى الحبشة فيمن هاجر اليها من المسلمين شهد مع النبي ﷺ بعض غزواته وبعثه عاملا على صدقات اليمن ولم يزل بها حتى توفي ﷺ فرجع واخواه عمر ووابان عن اعمالهم وتأخروا عن بيعة ابي بكر حتى بايعت بنو هاشم استشهد في وقعة اجانيد سنة (١٣هـ/٦٣٤م) ينظر :ابن الاثير، اسد الغابة، ج١، ص٩٨.

(٦) الجهيشاري،، الوزراء والكتاب، ص١٢.

(٧)الجهيشاري،، الوزراء والكتاب، ص١٢.

من مكانتهم الاستعلائية لتفضل عليهم من كانوا عبيد او سوقه من الفقراء وذوي الانساب الخاملة فعبد الله بن أبي سرح أخو عثمان في الرضاعة قد ارتد مشركا وكان من كتبة الوحي "وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملي علي: عزيز حكيم فأقول:أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب"(١).

وقد أهدر الرسول ﷺ دمه يوم الفتح لو لا الحاح عثمان بالشفاعة فيه(٢)، ومن ذلك ايضا طرده ﷺ الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس من المدينة بسبب محاولته ايذاء الرسول ﷺ من مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين(٣).

فمن الملاحظ أن الرسول ﷺ قد سار في الأموين بسيرة الترغيب تارة باستئلافهم وتقريب المؤمنين منهم وباغراق الاموال على الذين لم يثبت الإسلام في نفوسهم والترهيب تارة اخرى بالقتل والنفي مما جعل اولئك الذين دخلوا الإسلام كرها ان يتقبلوا الحياة الجديدة على مضض مع بذلهم كل ما في وسعهم من طاعة ومشاركة عن كواهلهم وطاة الاستصغار الذي لحق بهم جراء دخولهم الإسلام مرغمين(٤).

وحاولوا جاهدين كبح جماح طموحاتهم واضمارها في أعماقهم لذلك فما انتقل الرسولﷺ الى الرفيق الاعلى وانعقدت البيعة لابي بكر حتى ارتفع صوت ابي سفيان بن حرب قائلا لعلي عليه السلام "مال هذا الامر اقل حي من قريش والله لئن شئت لاملانها عليه ضيلا ورجالا "(٥).

إذ تبدو العبارة وكأنها صادرة عن حمية جاهلية او اقل عصبية عشائرية يقصد بها صيانة حقوق الهاشمين ولكن الحقيقة من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام ليست كذلك لانها وان كانت عصبية في ظهورها فما هي سوى فتنة أراد بها رأس الأمويين شق عصا المسلمين لذلك بادره الإمام علي عليه السلام بالقول "يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذاك شيئا إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا"(٦).

فأمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بما يضمره الأمويون للإسلام فلو كانت مقولة أبي سفيان تلك

---

(١) ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ٢٥٩.
(٢)ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ٢٥٩.
(٣)ابن الاثير، اسد الغابة، ج٣، ٢٥٩.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٦٥.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٩.
(٦)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٠٩.

تعبيرا عن عصبية خالصة لما سكت عندما خلى له ابو بكر في يده من الصدقات التي كلفه رسول الله ﷺ بجمعها قبل وفاته وذلك امتثالا لنصيحة عمر بان "كان يتالفكما والإسلام يومئذ ذليل وان الله قد اعز الإسلام "[1]، فلم تعد الحاجة اليه، لأن المنافقين ومن تابعهم من ضعفاء الايمان قلة لا يشكلون اية خطورة على الإسلام.

ففي الوقت نفسه الذي كان فيه الخليفتان الأول والثاني قد تخوفا من نوايا أبي سفيان تجاه الإسلام في مطلع خلافة ابي بكر، كما ذكرت سابقا فانهما قد قلدا الامويين بعض الاعمال المهمة وذلك على اعتبار ان الإسلام قد ازال ما في نفوس الامويين من عصبية الجاهلية فيقول بنفاقهم عليه السلام "**وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الحَقَّ، وَخَابَطَ الغَيَّ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلاَ إِيهَانٍ (اي: المنافَقَةُ والمصانَعَةُ، والدخول في الوهن "، وحديث اخر "أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ، عَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ "، " لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهِمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ**"[2].

ولكن أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة الرابع وكما استخلص من قوله ووصفه بني امية وقضية اسلامهم انه لم يثق قط بمعظم الأمويين خاصة أولئك الذين تأخر دخولهم في الإسلام من الفرعين السفياني والمرواني، فقد ذكر عليه السلام في احد المواقف مروان بن الحكم قائلا "**لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنِّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ**"[3].

اذ يقسم عليه السلام في أحد المواقف تأكيداً لمقولته "**فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَ مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ**"[4].

فوثوق أبي بكر وعمر بالامويون عامة، وبمعاوية خاصة، لا يعني سلامة موقفهم بحيث

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٥٧. صدام، رحيم فرحان، الأسرة الأموية من خلال شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، ٢٠١٤م، ص٨٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٦٠، ١٧٧، ١٣٣.

(٣) نهج البلاغة،، ص١١٢؛ ينظر: ابن مزاحم المنقري، ابو الفضل نصر (ت :٢١٢هـ)، ط٣، وقعة صفين، الخانجي، (القاهرة: ١٩٨١ م)، ص٢١٥.

(٤)ابن مزاحم، وقعة صفين، ص٢١٥؛ نهج البلاغة، ص٤٠٢.

يرتضيهم الإمام علي عليه السلام في معاونته أمير المؤمنين عليه السلام لا بد انه كان يتعجل موت عمر ويتمناه وقد كان يتكلف ما يرضي عمر لذلك فلقد تنفس الصحراء حين بلغه نبأ وفاة عمر وهو ما زال والي الشام اذ اعتبر بقاءه في الولاية تزكية له فهو يقول لمن تفاهم اليه عثمان من اعيان اهل الكوفة حين عابوا سياسته وطالبوه بالاعتزال عن ولاية الشام " لقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هوادة ولا لغيري ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي"(١).

ثم أن عثمان قد احتج بتلك الحجة(٢)، على أمير المؤمنين حين ناقشه في شان ولاته وبالأخص معاوية الذي كان يقطع الأمور باسم الخليفة الذي لا ينكر عليه ذلك.

لقد وضحت نوايا الأمويين بوضوح عثمان، اذ لم يكن في مقدورهم اعتبار الحكم في ظل الشريعة الإسلامية على أنه خلافة بل ملك فقد استغل الامويون قرابتهم من عثمان وحبه الشديد لهم اسوا استغلال فاخذوا كما يصفهم الإمام عليه السلام "**إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ القَوْمِ، نَافِجَاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الاْبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ**"(٣).

فسعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة يرى ان سواد العراق "بستان العراق"(٤)، لذلك قال فيه أمير المؤمنين "**إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّد تَفْوِيقاً، وَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لاَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّام الْوَذَامَ التَّرِبَةَ**"(٥).

أما مروان بن الحكم (٦)، فانه يرى أن الخلافة الإسلامية لن تخرج من البيت الأموي الا بالدم معتبرا اياها سلطانا وملكا، لا خلافة، وذلك بقوله وفي محضر من المسلمين في مسجدهم والخليفة حاضر "اما والله لا يرام ما وراءنا حتى تتواصل سيوفنا وتنقطع ارحمنا "(٧).

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٢٤.

(٢) ابن ابي الحديد، الشرح، ج١٢ ،ص٢٦.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٣. صدام، الأسرة الأموية في شرح النهج لابن أبي الحديد، ص٨٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٢٣.

(٥) نهج البلاغة، ص١١٥.

(٦) **مروان بن الحكم** بن ابي العاص بن امية وهو ابن عم عثمان بن عفان لم ير النبي صلى الله عليه وآله لأنه خرج الى الطائف طفلا لا يعقل لما نفى النبي اباه الحكم وكان مع ابيه بالطائف حتى استخلف عثمان فردهما واستكتب عثمان مروان؛ ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٥، ص١٤٤.

(٧) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ص٣٨٧، الزبير بن بكار، الاخبار الموفقيات، ص٦١٨؛ الطبري، تاريخ الرسل

فالتسلط والمال هما الهدفان اللذان كان الامويون يرمون اليها وهم في سبيل ذلك مستعدون لسحق القيم الانسانية باستخدام اساليب الزيف والتضليل بحيث وصلت بمعاوية الجراءة ان يوهم طلحة والزبير بأنه بايع لهما بالخلافة على الشام شريطة استظهارهما طلب الثأر لعثمان والتمرد على خلافة الإمام علي عليه السلام لنقضهما [1].

غير ابه بما سيراق من دم وبما سيحل بالإسلام من الكوارث قد تؤدي الى تمزيقه وتشتيت وحدته كل ذلك في سبيل البقاء في السلطة بعد أن عرف عزم الإمام علي عليه السلام على تجريدة وبني امية من المكاسب التي اجتنبوها في عهد عثمان، لكونها من وجهة نظر الإسلام ثروات غير مشروعة اذ يذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في هذا الصدد "الا إن كل قطيعة اقطعها عثمان ومال من مال الله، فهو رد على المسلمين في بيت مالهم، والله لو رأيناه نكح به النساء وتفرق به في البلدان لرددناه، لان قديم لا يخلق وان لكم في الحق سعة ومن ضاق عنه الحق فالباطل اضيق"[2].

فالعنصر المادي الذي حاول الإمام علي عليه السلام تجريد الامويين منه كان هو السبب المباشر في التصدي للتيار الديني الداعي للمساواة المتمثل في سياسته التي أعلنها في الايام الاولى من قبوله الخلافة "**أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ القِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ، وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا. وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، وَلا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهذا المَقامِ وَهذَا اليَوْمِ**"[3].

وهو ما يدعونا الى طرح مقولة ابن خلدون "الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لإيثار باطل... وإنما اختلف اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه..."[4].

هنا هذا النص يدفعنا وبقوة الى مناقشة ، فمفهوم العصبية في فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يختلف اختلافا جذريا عن مفهومها عند ابن خلدون، الذي يرى ان الدعوة الدينية لا يمكن ان تتكلل بالنجاح مالم تعتمد على عصبية قومية.

والملوك، ج٤، ص٣٣٤.

(١) ابن ابي الحديد، الشرح، ج١، ص٢٣١.

(٢) نهج البلاغة،، ص٤٧ ؛ ابن مزاحم. صفين، ص١٩٩-٢٠٠

(٣) نهج البلاغة، ص٤٧.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٦٩.

واضعاً نظريته على الحديث الشريف "ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه"(١).

في حين يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن الذين ارادوا الكيد بالإسلام واطفاء نوره هم قوم النبي وعشيرته من قريش، اذ يقول في احدى رسائله لمعاوية "**فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ**"(٢).

فالدين في نبذه العصبية يجيز مقاومة العشيرة بدافع الجهاد في سبيل الله، وهو فحوى رؤية الإمام علي عليه السلام الذي يعبر عنه بقوله "**لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاَّ إِيمَاناً، وَمُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ**"(٣).

وان العصبية الاموية كانت مبنية على اسس الاقتناع النفسي يقصد به المحافظة على المكاسب المادية، لذلك فان ما سماه ابن خلدون باجتهاد معاوية لا يتسق مع معنى الاجتهاد في الشريعة وهو "اعمال الرأي في التماس الحكم الشرعي" (٤).

---

(١) ابن مزاحم، صفين، ص١٩٩؛ والحديث كما ورد بنصه احمد بن حنبل الذي انفرد بروايته في المسند ٥٣٣/٢قال صلى الله عليه وآله قال لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قال قد كان ياوي إلى ركن شديد ولكنه عنى عشيرته فما بعث الله عز و جل بعده نبيا الا بعثه في ذروة قومه قال أبو عمر فما بعث الله عز و جل نبيا بعده إلا في منعة من قومه " فمن الملاحظ ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يقل (في منعة) ولكنه قال في (في ذرورة قومه) بإضافة ذروة الى قومه (وذروة كل شيء اعلاها) والذروة هنا كما نظن يقصد الرسول صلى الله عليه وآله بها علو النسب وعراقته، وقد كان اعلى قريشاً نسباً واطيبها اروميه الا انه لم يكن الاقوى ولا الاغنى بالإضافة الى ان القول (في منعة من قومه) لم يكن كما نظن في حديث النبي وانما كان تعقيبا من الراوي على قوله صلى الله عليه وآله كما ان الحديث بمفهوم العصبية التي اوردها ابن خلدون لا يتفق مع ما ورد في القران الكريم من آيات بشان وضع الانباء في اقوامهم من ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴾؛ ينظر: سورة هود، اية: ٨٩، فالآية الكريمة يدل على العصيان والشقاق تجاه دعوات الرسل يأتي عادة من ذوي البأس والقوة في اقوامهم ولو ان النبي صلى الله عليه وآله قد كان في منعة من قومه لما اضطرته قريش هو وال بيته من الهامشين والطالبيين الى الشعب ولما عرض نفسه على القبائل الاخرى في مواسم الحج ولما اضطرته قريش الى الهجرة عن مواطنه في نهاية المطاف؛ ينظر: العريض، فكر الإمام علي بن ابي طالب في نهج البلاغة، ص٢٨٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٩.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٥٥.

(٤) الحكيم، محمد تقي، مقدمة كتاب النص والاجتهاد، دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ت)، ص٤٣.

في حالة عدم وجود نص الحكم لا في الكتاب ولا في السنة ولكن القضية التي نشب النزاع بسببها بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية حكمها ثابت شرعاً، لأنّ الدعوة الاساسية التي عمد معاوية الى تضليل جمهور اهل الشام والسذج من المسلمين، وطلاب الدنيا من ذوي المصالح، هي الثأر لعثمان من قتلته، وهي دعوى متهافتة من جميع جوانبها كما يتبين لنا من خلال ما تبادل بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية من رسائل، فمعاوية من الناحية الشرعية ليس هو الولي بدم عثمان حتى يطالب بالثأر من قتلته لأن أنباء عثمان واخوته اولى منه بذلك[1].

ثم أن الإمام عليه السلام يفترض انه لو ولاية معاوية في المطالبة بدم عثمان على اساس القرابة فعليه اولا ان يدخل فيما دخل فيه عموم الناس من بيعة ملزمة ومن ثم يحاكم القتلة امام القائم بالأمر[2].

إذ لا يحق لأي فرد من افراد الامة مهما علت منزلته ان يقتص من مجرم وان يقيم حدا على زان او ان يقتل قائلا في حالة وجود سلطة شرعية يمكنها القيام بذلك، فهو من اختصاص الحاكم فقوله تعالى ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾[3].

وهي الآية التي اعتمد عليها معاوية في تخليله في المطالبة بالاقتصاص من قتلة عثمان لا تعني في تفسيرها قيام أهل القتيل وقرابته من الاقتصاص له من قتلته بأنفسهم بل عليهم ان يمثلوا ومن اتهموه بالقتل أمام الحاكم " فان حكم بالحق استقيمت حكومته والا فسق وبطلت امامته"[4].

لذلك فان ادعاء معاوية بمعارضته لخلافة الامام عليه السلام من اجل دم عثمان هو في نظر الإمام علي عليه السلام مثله مثل "**خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ**"[5].

---

(١) رسالة الإمام علي (عليه السلام) الى معاوية " و قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك و إياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن و لعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان و اعلم أنك من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة و لا تعرض فيهم الشورى و قد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد الله البجلي و هو من أهل الإيمان و الهجرة فبايع و لا قوة إلا بالله "؛ ينظر: ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٣، ص٨٩.

(٢) "وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم اي احملك واياهم على كتاب الله تعالى واما تلك التي تريد فأنها خدعة الصبي عن اللبن في اول الفصال والسلام لأهله" ينظر: نهج البلاغة، ص٤٨٧.

(٣) سورة الاسراء: الآية: ٣٣.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح ابن ابي الحديد، ج١٨، ص٢١.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٨٧.

تلك الخدعة التي حاول معاوية التستر بها للبقاء في ولاية الشام طيلة حياته وبدون أي التزام تجاه خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، مما يعني استعداده للسكوت عن عصبيته في المطالبة بالثأر من قتلة عثمان فيما لو استجاب الإمام عليه السلام لطلبة فالعرض الدنيوي الذي حاول ابن خلدون تبرئة معاوية منه هو عرض ثورته المفتعلة، وهو في الوقت نفسه السبب المباشر الذي جعل أمير المؤمنين عليه السلام يقف منه موقف المتصلب من أجل افشال مخططات الأمويين وعلى رأسهم معاوية الذي "**أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ**"(١).

فمأرب معاوية من العصيان وتجريد الجيوش لمقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام كما نرى اهداف وطموحات دنيوية بينما نرى ان موقف الإمام عليه السلام المتشدد تجاه معاوية ومن شايعه من الامويين موقف ديني بحت هدفه المحافظة على تعاليم الإسلام، فقد أمر الإمام علي عليه السلام على قراره بعزل معاوية عن ولاية الشام على الرغم من معارضة البعض امثال المغيرة بن شعبة وابن عباس، فقال المغيرة: "**والله لا اداهن في ديني ولا اعطي الدنية في ديني**"(٢)، وقال لابن عباس: "لا والله لا اعطيه الا السيف، ثم تمثل بهذا البيت:

ما ميتة ان متها غيـــر عـــاجز بعار اذا ما غالت النفس غولهـــا(٣)

ولما ألح ابن عباس قال عليه السلام: "يا بن عباس ليست من هنياتك وهنيات معاوية في شيء، فإذا عصيتك فأطعني"(٤)، فيركز الدينوري قول ابن عباس: "افعل فأني ايسر مالك عندي الطاعة"(٥)، وبعث الإمام علي الى معاوية بن ابي سفيان كتاباً شديداً اللهجة لما ردت خيل معاوية سهل بن حنيف من تبوك جاء نصه " اما بعد فلقد بلغك الذي كان من مصاب عثمان، واجتماع الناس هلي ومن بعضهم فادخل في السلم او ائذن بحرب"(٦).

لكن الإمام علي عليه السلام لم يشرع الى الحرب، فمعاوية بن ابي سفيان القى الحجة عليه بإرساله جرير بن عبد الله البجلي كرة اخرى الى معاوية لأخذ البيعة فخاطب جرير قائلاً: "اما بعد، فإذا اتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب محلية او سلم

---

(١) نهج البلاغة، ص٩٢. ينظر المنقري، صفين، ص٤٧٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٥٠.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٦، ص١١٧.

(٤) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٠٢؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٤.

(٥) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٠٤.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٠٣. جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج٤، ص١١٨.

مخزية فاذا اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ ببيعته والسلام"[١]، ويذكر ابن مزاحم انّ من اسباب اختيار جرير البجلي لما يحتله من مكانة بين الشخصيات قبائل اليمن إذ قال للإمام علي عليه السلام: "ابعثني الى معاوية فانه لم يزل لي مستنصحاً ودوداً..."، وهذا مما دعا الإمام عليه السلام الى اختياره لهذه المهمة لقدرته التأثيرية على اليمانيين في بلاد الشام[٢].

لكن معاوية رفض البيعة وعزله عن ولاية الشام فكان رده على كتاب الإمام علي عليه السلام قائلاً: "استعملني عثمان فلم يعزلني فإن هذا أمر لو جاز لهم يقم لله دين..."[٣]، فرد عليه الإمام عليه السلام: "**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِاعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُس بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى [الْجَنَّةِ، مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى] النّارِ**"[٤].

على الرغم من ذلك كان الإمام علي عليه السلام يعلم بنوايا معاوية، فسياسة معاوية مبنية على التلون حسب مقتضيات الظروف "**وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَة فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَة كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِر لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاللهِ مَا أَسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ**"[٥].

نستخلص من كلام الإمام عليه السلام ان معاوية يستخدم جميع الاساليب المتاحة التي تمكنه من غرضه، فتارة يطالب بدم عثمان وأخرى يلح علي الإمام عليه السلام بإقراره على الشام، ثم انه يهدد تارة ثالثة بالحرب ويأمر بقتل النساء والأطفال وترويع الآمنين "**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالاْخْرَى المُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلاَئِدَهَا، وَرِعَاثَهَا، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاِسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ*، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ**"[٦].

في الوقت نفسه الذي ينادي فيه بانهاء الحرب بما أحدثته من خسائر في الأرواح والأموال مستجيراً في ذلك برابطة الرحم، فيمكن استنتاج الذي سبق من خلال رسالة الإمام علي عليه السلام التي جاءت رداً على معاوية وطلباته السابقة "**فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِاعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُس بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ**

(١) نهج البلاغة، ص٣٩٦.
(٢) المنقري، وقعة صفين، ص٣١.
(٣) المنقري، وقعة صفين، ص٣١.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٠٦.
(٥) نهج البلاغة، ص٣٤٤.
(٦) نهج البلاغة، ص٦٤.

فَإِلَى [الْجَنَّةِ، مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى] النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْاٰخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذٰلِكَ نَحْنُ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمَ، وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلاَ أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلاَ الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ"(١).

على أن موقف الإمام علي عليه السلام من كل تلك الاساليب المتلونة واحد لم يتغير وهو اعتبار معاوية فرداً من أسرة هدفها جعل الإسلام وسيلة لتحقيق اغراضها فوجودهم ضمن المجتمع الإسلامي فتنة شغلت حيزاً واسعاً من فكر الإمام علي عليه السلام فتكرر ذكرهم في نهج البلاغة ما يقارب من اربع وخمسين مرة في ثمانية وثلاثين نصاً ذكرت عن الإمام علي عليه السلام (٢).

مما يعني استيعاب قضيتهم لمساحة واسعة من فكره السياسي، ليس بصفتهم معارضة بخلافته، ولكن لكونهم خطراً يهدد الإسلام من الداخل، ويحاول تقويض دعائمه الروحية، لذلك فان من أهم أسباب التي جعلت الإمام علي عليه السلام يقبل الخلافة، في وقت لم تكن فيه الا مجرد مشكلة سياسية معقدة تجلب المتاعب والمحن لمن يتقلدها، الا لخوفه من استحواذ بني امية عليها مما يتيح لهم التصرّف بشؤون الدين بحسب أهوائهم(٣).

لقد شكل الأمويون خطراً حقيقياً على الإسلام سبب للإمام علي عليه السلام قلقاً فكرياً باستخدامهم الأساليب الملتوية للوصول الى غاياتهم دون مراعاة لأية قيمة دينية، فمعاوية يعقد صفقة بينه وبين عمرو بن العاص حين يجعل مصر التي لم تكن تحت امرته طعمة لعمرو بن العاص طيلة حياته في سبيل استمالته إلى جانبه ضد أمير المؤمنين عليه السلام(٤)، فلو وازنا بين موقف الإمام علي عليه السلام وهو يعبىء لحرب القاسطين (بني أمية) وبين موقف معاوية الذي اعطى مصر لعمرو بن العاص، لعلمنا ان سياسية الإمام علي عليه السلام سياسية ملتزمة بثوابت دينية راسخة لا يمكن تجاوزها مهما كانت الظروف، في حين كانت الخيارات الشرعية واللاشرعية كلها مفتوحة امام معاوية بن ابي سفيان فلا ثوابت مقدسة لديه، بل انت غايته تبرر وسيلته دائماً، مما جعل أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٠٣.

(٢) ينظر خطب: ٤٣، ٥١، ٥٥، ٧٤، ٧٦، ٨٢، ٨٥، ٩١، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٥، ١٣٦، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٨، ١٩٨، ٢٣٦؛ ينظر رسائل الحكم: ١٢٠، ٤٦٤. ملاحظة انه عليه السلام تارة يعبر عن ذلك ببني امية، وتارة اخرى باهل الشام وثالثة بمعاوية.

(٣) جرداق، علي بن أبي طالب صوت العدالة الإنسانية، ج٤، ص٩٥.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٩٧.

يوجه كتاباً خاصاً لعمرو بن العاص محذرهُ وواصف حاله من معاوية: "**فَإِنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبْعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرِ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ، يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِ اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُما، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلاَمُ**"[1].

ثم نجده يعقد صفقة ثانية مثلها مع خالد بن المعمر[2]، قائد ميمنه الإمام عليه السلام وراس من رؤوس ربيعة في صفين يجعل فيها خرسان طعمة له فيما لو تراجع عن مسيرته "وقد شارفوا اخذه"[3]، كما كان يستخدم اساليب الكذب والتضليل فيما لو فشلت حيله في استمالة الرجال، من ذلك ما ادعاه من دخول قيس بن سعد بن عباده[4]، والي مصر من قبل أمير المؤمنين عليه السلام في طاعته بعد ان يئس من استمالة، مما أدى بالإمام عليه السلام الى عزله رغم اخلاصه وذلك بإلحاح من بعض رجاله الذين صدقوا خدعة معاوية وشكوا في نزاهة سعد وصدقه[5].

وهو ما كان عليه معاوية يرمي اليه من وراء كذبته تلك وأنه استغل المال ابشع استغلال لشراء ضمائر ذوي الاطماع فقد اخذ في مكاتبه وجوه اهل العراق كالأشعث بن قيس وغيره والبذل لهم بسخاء في سبيل تخذيل الناس عن الإمام علي عليه السلام وبلغ به القول عن بذل الاموال في سبيل ذلك "والله لاستميلن بالأموال ثقات علي عليه السلام ولاقسمن فيهم المال حتى تغلب دنياي على

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٤١.

(٢) **خالد بن معمر الدوسي:** كان رئيس بكر بن وائل في عهد عمر وكان خالد مع الإمام علي عليه السلام يوم الجمل وصفين من امرائه وعلى ما يبدو انه لم يكن مخلصا للإمام عليه السلام بدلالة قول الشاعر لمعاوية وقائله مجهول:

معاوي امر خالد بن معمر فانك لو لا خالد لم تؤمر

وقد امر معاوية على ارمينة فوصل الى نصيبين فمات بها، ينظر: ابن حجر، احمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الاصابة في تميز الصحابة، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٨م)، ج١، ص٦١.

(٣) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٥، ص٢٢٨.

(٤) قيس بن سعد بن عباده الانصاري الخزرجي من الصحابة وهو من ذوي الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة وكان من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير مما يلي من اموره صحب الإمام علي عليه السلام لما بويع له بالخلافة واستعمله على مصر فكايده معاوية فلم يظفر منه بشيء فكايد الإمام علي عليه السلام واظهر ان قيسا قد صار معه يطلب بدم عثمان فبلغ الخبر الإمام علي عليه السلام فلم يزل به محمد بن ابي بكر وغيره حتى عزله صار مع الحسن بعد مقتل الإمام علي عليه السلام توفي سنة (٥٩هـ)؛ ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص٤٢٤.

(٥) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٢٨٨.

اخرته"[١].

ولكن كل تلك الاساليب الملتوية التي اتبعها الامويون بقيادة معاوية لم يكن لتخفى على الإمام عليه السلام ولا على اولي العزم من الاصحاب الذين عاشروا الامويين وخبروا نواياهم فكان قول عمار بن ياسر "والله ما طلبتهم بدمه (أي دم عثمان)، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤها وعلموا ان الحق ان لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم"[٢].

انعكاسا لفكر الإمام علي عليه السلام ورؤيته السياسية تجاه الأمويين بحيث اعتبرهم فتنة لا بد من استئصالها من جذورها او على الاقل تبصير المسلمين بمدى خطورتها[٣] لأنها حسب قول أمير المؤمنين عليه السلام "**أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فَتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا (أي شمل أمرها لانها رئاسة عامة)، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا...**"[٤].

لقد بذل الأمويون كل ما في وسعهم من جهد لزحزحة أمير المؤمنين عليه السلام عن موقفه تجاههم فلم يتمكنوا من تغير سياسته تجاههم قيد شعره وهذا ما نلخصه في مواقفه السلمية في معركة صفين.

معركة صفين (٣٧هـ/٦٥٧م) في نهج البلاغة ومواقف الإمام علي عليه السلام فيها

اتفق المؤرخون[٥] على ان معركة صفين وقعت سنة (٣٧هـ/٦٥٧م)، فقد روي ان الفريقين تبادلا المراسلات قبل صفين طوال ثلاثة اشهر، ولان الإمام علي عليه السلام وصل للكوفة قادماً من البصرة في نهاية سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) بعد أن فرغ من معركة الجمل.

فكانت أولى المناوشات التي جرت بين مقدمة جيش الإمام علي عليه السلام بقيادة مالك بن الاشتر

---

(١) ابن مزاحم، صفين، ص٣١٩ ــ ٤٣٦.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٩٢.

(٣) بيترسن، ايرلنك ليدوك، علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة، ترجمة: عبدالجبار ناجي، (بيروت، دار الأميرة للطباعة، ٢٠٠٩)، ص٩٢.

(٤) نهج البلاغة، ص١٥٨.

(٥) المنقري، وقعة صفين، ص٢٠٤، ٢١٤، ابن سعد، الطبقات، ص٣-٣٢؛ ابن خياط، تاريخ خليفة ت١١٥؛ خليفة ، ابن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م)، ص١١٥.

ومقدمة جيش معاوية بقيادة ابي الاعور السلمي[١]، كانت في منطقة عرفت بسور الروم غربي نهر الفرات وانتهت هذه المناوشات بانسحاب ابي الاعور السلمي ورجاله ليلاً الى معاوية بعد ان عجز كما يبدو من مواجهة الاشتر ورجاله، وقد اشار عدد من المؤرخين الى هذه المناوشات فذكروا ان القوم التقوا في ثلاث حملات قادها مالك الاشتر حملتين وقاد هاشم بن عتبة حملة ثالثة[٢].

كان وصول جيش معاوية بن ابي سفيان الى صفين قبل وصول جيش الإمام علي عليه السلام لذا تمكن من السيطرة على المنفذ الوحيد المؤدي الى المياه على شاطئ الفرات، فحال بين رجال الإمام علي عليه السلام وبين الماء، فارسل الإمام علي عليه السلام صعصعة بن صوحان العبدي الى معاوية لإبلاغه بضرورة ان يأمر اصحابه بان يخلوا بين الناس وبين الماء، وبعد ان استشار معاوية حاشيته ومنهم (الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد ابي اسرح وعمرو بن العاص) رفض طلب الإمام علي عليه السلام وقال: "يا اهل الشام هذا والله اول الظفر لا سقاني الله ولا سقى ابا سفيان ان اشربوا منه ابدتً حتى يقتلوا بأجمعهم"[٣]، فلم يكن ازاء الإمام علي عليه السلام وجيشه عند ذلك الا استعمال القوة للحصول على الماء، فبرز الاشعث بن قيس وشبث بن ربعي[٤]، في جماعة ثم امرهم الإمام عليه السلام بقيادة مالك الاشتر في جماعة اخرى، فكشفوا القوم عن الماء وسيطروا على مصدر المياه، لكن الإمام علي عليه السلام امر جيشه بعدم منع الماء عن رجال معاوية، قائلاً: "خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا الى عسكركم وخلوا عنهم فإنّ الله عز وجل قد نصركم بظلمهم وبغيهم"[٥].

بعد ذلك قام معاوية برمي سهم سقط في معسكر الإمام علي عليه السلام مكتوب عليه: " من عبد الله الناصح فإني اخبركم ان معاوية يريد ان يفجر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم " [٦]، ثم بعث معاوية مائتي رجل او اكثر من الفعلة يظهرون انهم يحاولون ان يحفروا بجبال عسكر الإمام علي عليه السلام خديعة ومكراً، لكن هذه الخدعة وان خدع بها جيش الإمام علي عليه السلام فأنها لم تتمكن منه

---

(١) **ابو الاعور السلمي:** عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد من اصحاب معاوية وشهد معه صفين، وكان الإمام علي عليه السلام يلعنه في الصلاة، ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ص٥٦٢.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص١٥٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٦٨. بيترسن، علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة، ص٩٣.

(٣) المنقري، وقعة صفين، ص١٥٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٣٠.

(٤) شبث بن ربعي بن حصين بن عثيم بن ربيعة اليربوعي التميمي، ابو عبد القدوس، كان من اصحاب الإمام علي عليه السلام ثم خرج عليه الخوارج ثم تاب بعد ذلك وكان ممن اعان على قتل الحسين عليه السلام، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢١٦.

(٥) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٩، ص٧٣.

(٦) المنقري، وقعة صفين، ص٣٩٠؛ ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج١، ص٢٤٠.

شخصياً، فقال للناس لما وقعت الضجة في عسكره " ويحكم ولو انفق جميع اموال الشام وانما يريد ان يزيلكم عن مكانكم، فلا تكونوا ضعفاء القلوب والعقول ولا تغلبوني على رأي " [١].

اضطر الإمام علي عليه السلام الى أن يرحل مع الناس الى مكان اخر لما يئس من اقناعهم وسرعان ما استبانت خدعة معاوية عندما تحرك بجيشه ينزل مكان عسكر الإمام علي عليه السلام، وعند ذلك قال الإمام علي عليه السلام للأشعث بن قيس وجيشه: " انكم قد غلبتموني على رأي فدونكم الان هذا معاوية واصحابه قد نزلوا على الماء كما كانوا ويوشك ان يمنعوكم اياه كما منعوكم اول مرة "، فعاهد الاشتر بأن يعيد الوضع على ما كان عليه وخرج برجاله حتى لقوا جيش معاوية فجرت معركة عنيفة حتى قتل اهل العراق من اهل الشام مقتلة عظيمة، فأخذ اهل الشام ينادون اهل العرا "يا هؤلاء انتظرونا سواد هذه الليلة فإننا راجعون الى معسكرنا الذي كنا فيه"[٢]، فصاح الاشتر واصحابه "والله لا تبيتون الا في معسكركم " فرحلوا حتى نزلوا كما كانوا"[٣].

أما دور الإمام علي عليه السلام ومواقفه في معركة صفين التعبوية التي اوضحها لنا نهج البلاغة كان لها بالغ الاثر في صفوف جيشه عليه السلام فكانت الخطب التي القاها الإمام عليه السلام والوصايا التي وجه بها قادته قبل معركة صفين وفي اثنائها بمثابة الوسائل الاعلامية المتبعة في توجية الجيش من الناحية المعنوية، ومن خلال متابعة ما جاء به نهج البلاغة من خطب ووصايا الإمام علي عليه السلام تبين لنا انها تدور في ثلاثة جوانب اساسية:

الجانب الأول: تعزيز الروح الايمانية منذ الوهلة الاولى لوصول الإمام علي عليه السلام الى الكوفة حاول في أول خطبه القاها من على منبر جامعها تعزيزاً للروح الايمانية مركزاً على توجيه الاذهان والبصائر الى الحياة الاخرة واشاعة روح التقوى والخوف من عذاب الله تعالى ليكون الهاجس الاول الذي يوجه السلوك الانساني لدى انصاره عليهم السلام فقال مخاطباً اهل الكوفة: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الاْمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الاْمَلِ فَيُنْسِي الاْخِرَةَ، أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحّلَت مُدبِرَةً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الاْنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلاَ وَإِنَّ الاْخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الاْخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ**

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٢٧٥.

(٢) المنقري، وقعة صفين، ص١٩١-١٩٣؛ ينظر: ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج١، ص٢٤١-٢٤٤.

(٣) المنقري، وقعة صفين، ص١٩٣. بيترسن، علي ومعاوية، ص٩٥.

وَلاَ عَمَلَ"[1]، **وفي اول جمعة بعد وصول الإمام الى الكوفة** عليه السلام **قام خطيباً فقال: "وَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَار فَاسْتَبْدَلُوا؛ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً"**[2].

كذلك لما راد الإمام علي عليه السلام السير لحرب معاوية واهل الشام دعا زياد ابن النضر[3]، وشريح بن هانىء[4]، ووضعها على مقدمته ثم قال لزياد: "يا زياد اتق الله في كل ممسى ومصبح وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال من البلاء واعلم انك ان لم تزع نفسك عن كثير مما يحب مخافة مكروهه بك الهوى الى كثير من العز فكن لنفسك مانعاً وازعاً من البغي والظلم والعدوان"[5].

وقال الإمام عليه السلام في يوم صفين: "... فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الهمهم الصبر وانزل عليهم النصر واعظم لهم الاجر"[6]، كذلك ان الإمام علي عليه السلام لما عزم على قتال القوم قتالاً جماعياً قام في الناس خطيباً فقالا: "الا انكم ملاقوا القوم غداً بجميع الناس فأطلبوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن وسلوا الله الصبر والعفو والقوهم بالجد"[7].

الجانب الثاني: تقوية الوعي السياسي ورد في نهج البلاغة ان الإمام علي عليه السلام كان يحرص في خطبه ورسائله على توضيح الموقف السياسي لأنصاره ليزيدهم ايماناً بعدالة القضية التي يقاتلون من اجلها، فكان لابد من توضيح موقف معاوية واهل الشام من الإسلام والى أي مدى يجوز للإمام عليه السلام وانصاره قتالهم فعندما قرر الإمام عليه السلام المسير لقتال معاوية وانصاره قام خطيباً قائلاً: "**فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ**

---

(١) نهج البلاغة، ص٣١.

(٢) نهج البلاغة، ص٨٨.

(٣) **زياد بن النضر الحارثي:** ذكره العاملي من اصحاب الإمام علي عليه السلام، ينظر: العاملي، محمد بن علي الحر (ت: ١١٠٤هـ/)، وسائل الشيعة، مؤسسة النشر، (قم: د.ت)، ج٧، ص٨٥.

(٤) **شريح بن هانئ** بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان من بني الحارث بن كعب الحارثي الكوفي من اصحاب الإمام علي عليه السلام شهد معه المشاهد وولاه القضاء قتل في سجستان سنة (٧٨هـ/٦٩٧م)، ينظر: ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٥، ص٢٨.

(٥) المنقري، وقعة صفين، ص١٢١-١٢٢.

(٦) نهج البلاغة، ص٩٥.

(٧) نهج البلاغة، ص٢٨٧.

أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْض لَدَيَّ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الاْمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعْنِي إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الاْخِرَةِ."(١)، وذكر ابن ابي الحديد ان الإمام علي عليه السلام قال: "ايها الناس سيروا الى اعداء السنن والقرآن سيروا الى قتلة المهاجرين والانصار سيروا الى الجفاة الطغام الذين كان اسلامهم خوفاً وكرهاً سيروا الى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم"(٢).

كذلك ذكر ابن اعثم الكوفي نصاً مهماً يمثل خطبه للإمام علي عليه السلام القاها قبل الخروج الى صفين جاء فيها: "ايها الناس ان معاوية بن ابي سفيان قد وادع ملك الروم وسار الى صفين في اهل الشام عازماً على حربكم فأن غلبمتوهم استعانوا عليكم بالروم وان غلبوكم فلا حجاز ولا عراق"(٣).

يظهر من هذه الرواية ان الإمام علي عليه السلام قد كشف تحالف سياسي بين معاوية بن ابي سفيان وملك الروم الى درجة ان الروم يمكن أن يقدموا المساعدة لمعاوية اذا ما فشل في تمرده على الخلافة ومع ان كلام الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن ذكر ابن قتيبة نصاً عن الإمام علي عليه السلام بشأن هذا التحالف السياسي قائلاً: "وقد وادع القوم الروم فأن غلبمتوهم استعانوا بهم ولحقوا بأرضهم، وان غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم"(٤).

الجانب الثالث: تقوية الثقافة العسكرية: من وصايا الإمام علي عليه السلام الحربية في النهج لقادته وجنوده يتضح منها دوره عليه السلام في تتبع جيشه بثقافة عسكرية لا مناص من الاستعانة بها في ميدان القتال لتحقيق النصر، فقد أورد ابن أبي الحديد كتاباً عن الإمام علي عليه السلام الى قائدي مقدمته الى صفين زياد بن النضر وشريح بن هانئ جاء فيه: "وأعلما أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة من طلائعهم فإذا انتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نقض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كي لا يغتركما عدو او يكون لكما كمين..."(٥).

وقال الإمام علي عليه السلام مخاطباً أصحابه في صفين: "**فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَأَنَا**

---

(١) نهج البلاغة، ص٩٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج١٥ ،ص٢٩.
(٣) الفتوح، ج١، ص١٩٦. بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص١٤٨.
(٤) الإمامة والسياسية، ج١، ص٩٣.
(٥) شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٤٩.

أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلى ضَوْئِي فهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا"[1]، وفي قول اخر: "**ايها الناس اتقوا الله وغضوا الابصار واخفقوا الاصوات واقلوا الكلام ووطنوا انفسكم على المنازلة والمجاورة والمابارزة والمناضلة والمبالدة والمعانقة والمكارمة والملازمة**"[2].

وهذا بالإضافة الى دور الإمام عليه السلام القيادي في معركة صفين وسيطرته على مجريات المعركة، فيعد اختيار القائد لموعد بدء المعركة امراً ذا اثر معلوم في استعداد جيشه للقتال و في ارباك معسكر اعدائه وشد عزيمة جيشه عليه السلام فقال في بدء القتال في صفين: "**مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللأَمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا وَصِلُوا السُّيُوفَ بَالْخُطَا، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الاعْقَابِ وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَعَلَيْكُمْ بِهذَا السَّوَادِ الاعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً؛ فَصَمْداً صَمْداً !حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ وَأَنْتُمُ الاعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**"[3].

فإن قيادة الإمام علي عليه السلام المباشرة للجيش وتواجده وسط الميدان لقدرته على المبادرة وسرعة المعالجة الميدانية، ففي بداية القتال الجماعي في صفين تعرضت بعثة الإمام علي عليه السلام الى الهزيمة وقد ذكر ابن ابي الحديد كيفية معالجة الإمام علي عليه السلام لهذا الموقف، روى ابن ابي الحديد ان الإمام علي عليه السلام ارسل سهل بن حنيف ومن كان معه من اهل المدينة في القلب لتعزيز الميمنة قائلاً: "و نظر علي الى ذلك فقال لسهل بن حنيف انهض لمن معك من اهل الحجاز حتى تعين اهل الميمنة..."، وقال "لما انهزمت ميمنة اهل العراق اقبل علي يركض نحو الميسرة يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع حتى امر الاشتر فقال له: يا ملك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال: ائت هؤلاء القوم فقل لهم اين فراركم من الموت الذي تعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم؟ فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم: هؤلاء الكلمات التي امره علي بهن

---

(١) نهج البلاغة، ص٩٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٠٨.

(٣) نهج البلاغة، ص١٠٤-١٠٥؛ ينظر: سورة محمد: الآية: ٣٥.

"فقاتل فيهم الاشتر قتالاً شديداً حتى كشفوا اهل الشام وعادوا الى موقفهم الاولى"[١].

وكان دور الإمام علي عليه السلام القيادي في ليلة الهرير وهي الليلة التي حسمت فيها المعركة، فقد ذكر المنقري قائلاً: "واخذ علي يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويأمر كل كتيبة من القراء ان تقدم على التي تليها فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى اصبح والمعركة خلف ظهره والاشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة وعلي في القلب والناس يقتتلون من كل جانب..."[٢].

اضافة الى بسالته التي ابداها الإمام علي عليه السلام في معركة صفين فسجل لنا نهج البلاغة مواقف بطولية قل نظيرها في التاريخ ومن خلال هذا ان الإمام علي عليه السلام لم يكن يعبأ بالحرب واهوالها ولم تزده صعوبة المواقف التي كان يمر بها في ساحة القتال الا ثباتاً واستبسالاً هذا واضح من كلامه عليه السلام " **فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى المَوْتِ أَوْ خَرَجَ المَوْتُ إِلَيَّ**"[٣].

وقوله للإمام الحسن عليه السلام: "لا بني ان لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان اباك والله ما يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه"[٤].

ويذكر المنقري ما نصه " قام علي بين الصفين ثم نادى: احب ان يظهر لي معاوية فاكلمه، فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلما تقارباه لم يتلفت الى عمرو وقال لمعاوية ويحك كلام يقتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضهم بعضاً، ابرز الي فأينا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاوية الى عمرو فقال: اما ترى يا ابا عبد الله فيما ها هنا ابارزه؟ عليك وعلي عقبك ما بقي عندي، فقال معاوية: يا عمرو بن العاص ليس مثلي يخدع نفسه والله بارز ابن ابي طالب رجلاً قط إلا وسقى الارض من دمه، ثم انصرف راجعاً حتى انتهى الى اخر الصفوف وعمرو معه فلما رأى علي عليه السلام ذلك ضحك وعاد الى موقفه "[٥].

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٥٦؛ ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص٢٢٥. المياحي، الفكر العسكري للإمام علي عليه السلام.

(٢) وقعة صفين، ص٣٠٧-٣٠٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٩٥.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٥٦-٥٧. عبدالمقصود، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج٢، ص٢٤٢.

(٥) وقعة صفين، ص٢٠٢؛ البلاذري، انساب، ص٣٠٢. بيترسن، علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة، ص١٠١.

أما حادثة المبارزة بين الإمام علي عليه السلام وعمرو بن العاص وهزيمة الأخير وكيف نجا من ضربة الإمام علي عليه السلام لما كشف عن عورته فترفع الإمام عليه السلام عن قتله، فقد تواترت عنها روايات المؤرخين، فقال الدينوري: " ثم نادى (عمرو) به ابا الحسن اخرج الي، انا عمرو بن العاص، فحرج اليه علي فتطاعنا فلم يصنعا شيئاً فانتضى علي سيفه فحمل عليه فلما اراد ان يجلله رمى نفسه عن فرسه ورفع احدى رجليه فبدت عورته فصرف علي وجهه وتركه وانصرف عمرو الى معاوية فقال معاوية: احمد الله وسدواء امتك يا عمرو "[1].

إضافة الى بسالته وشجاعته عليه السلام صور لنا نهج البلاغة مواقفه الانسانية التي تحلى بها الإمام عليه السلام في صفين أمر جيشه بعدم الاجهاز على الجرحى او التمثيل بالقتلى او انتهاك الحرمات قائلاً: "**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّة، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح،لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالاَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ**"[2].

بعد ذلك ادرك معاوية وجيشه بعدم قدرتهم على مقاومة الإمام علي عليه السلام وان نهايتهم قربت لجأوا الى حيلة رفع المصاحف كورقة اخيرة يبعدون الهلاك عنهم مما فتح لأمير المؤمنين عليه السلام جبهة معارضة ثالثة تولدت هذه المدة من بين جيشه الذي حارب بهم القاسطين في صفين فاضطر ايضاً غير راغب الى مواجهة تلك المعارضة التي اطلق على رجالها لقب (المارقين).

---

(١) الاخبار الطوال، ص٢٦٣.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٤٩.

المبحث الثالث

التحكيم وأبعاده السياسية في نهج البلاغة

أولاً:- قضية رفع المصاحف:

إن فكرة رفع المصاحف ودعوة معاوية واهل الشام الإمام علي عليه السلام وجيشه الى التحكيم الى القرآن الكريم كان الخيار الأخير الذي ينقذ معاوية وجيشه من هزيمة نكراء كاد ان يتعرض لها لو لا ان اقترح عمرو بن العاص هذا الحل في اللحظة الأخيرة، بعد ان دعا معاوية بفرسه لينجو بنفسه رباً من اصحاب الإمام علي عليه السلام: "الذين ظهروا على اصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لحقوا به فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه"[١]، ثم أن عمرو بن العاص حين خاف ان ينقلع اهل الشام ورأى صبر اهل العراق وظهورهم فرفعوها "[٢]، ووصف الإمام علي عليه السلام موقف معاوية واهل الشام في تلك اللحظات التي سبقت رفع المصاحف بقوله: "... ولم يبق منهم الا النفس الأخير"[٣].

يذكر الطبري[٤] أن غاية معاوية وعمرو بن العاص من رفع المصاحف القاء الفتنة في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام يذكر الطبري: "فلما رأى عمرو بن العاص ان اهل العراق قد اشتد وخاف في ذلك الهلاك قال لمعاوية: هل لك في امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعاً ولا يزيدهم الا فرقة قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول ما فيها حكم بيننا وبينكم فأن ابى بعضهم بينهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول بلى ينبغي ان تقبل فتكون فرقة تقع الى اجل او الى حين..."، وهذا ما اوضحه الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة بكتابه الى معاوية قائلاً: "**فَعَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي، وَعَصَيْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ. فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، وَاصْرِفْ إِلَى الْاٰخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ. وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الأصل، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْاَقْدَارِ لاَ أَزَالُ**

---

(١) المنقري، وقعة صفين، ص٢٠٣-٢٠٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، (بيروت: دار الأعلمي، ١٩٧٤م)، ص٣٢٣، عبدالمقصود، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج٣، ص٣٧.

(٣) نهج البلاغة، ص١٩٩.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦.

بِبَاحَتِكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"[1].

حتى ان الإمام علي وبخ اصحابه بعد ليلة الهرير عندما قام رجل من اصحابه قال له: " نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها، فما ندري أيّ الامرين أَرشد؟، فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى ثم قال: "**هذا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِما أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا!، اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِشَيْطَانِ الرَّكِيِّ! ، أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإسلام فَقَبِلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ؟ وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا اللِّقَاحَ أَوْلاَدَهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً؟! بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا.لاَيُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ وَلاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ!إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ؛ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ"**[2].

وهذه خدعة دخل معاوية فيها على الناس بمحاكمة قتلة عثمان بالقرآن وهذا ما ذكره الإمام علي عليه السلام في النهج قائلاً: "**وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ وَالسَّلاَمُ لاِهْلِهِ**"[3].

وقول آخر لما رفعوا المصاحف: "ليس يريدون بذلك الا المكر وقد عضتهم الحرب..."[4]، لكن هذه الخدعة فعلت فعلتها في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام حتى ان قسماً لا يستهان به قرر وقف القتال وهدده عليه السلام بالقتل او التسليم للأعداء ما لم يأمر القسم الاخر بالتوقف عن القتال، لذا فأن الركون اصحاب الإمام علي عليه السلام والاستجابة السريعة التي أبدوها تجاه دعوة معاوية للتحكيم

(١) نهج البلاغة، ص٤٧٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٠١.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٨١.

(٤) المنقري، صفين، ص٤٥٧، راجح، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مؤلفات مؤرخي القرن الثالث الهجري، ص٢٧٦.

لشدة المعركة وضرواتها ولاسيما أيامها الأخيرة فقدم المنقري صورة واضحة عن هول المعركة في ليلة الهرير قائلاً: "وزحف الناس بعضهم الى بعض فارتموا بالنبل والحجارة حتى فنيت ثم تطاحنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت، ثم مشى القوم بعضهم على بعض بالسيف وهمد الحديد فلم يسمع السامع الا وقع الحديد بعضه على بعض لهو اشد هولاً في صدور الرجال منه الصواعق... وانكشف الشمس بالنقع وثار القتام وضلت الالوية والرايات فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة الى نصف الليل، وتلك الليلة هي ليلة الهرير ثم استمر القتال الى نصف الليل الثاني الى ارتفاع الضحى..."[١]، وقال البلاذري في ذلك القتال: "فاقتتلوا بصفين قتالاً لم يكن في الإسلام مثله قط..."[٢].

فلقد انهكت الحرب كلا الطرفين وكرها القتال فذكر البلاذري أن أهل العراق كانوا اشد جزعاً من أهل الشام "قيل لابن عباس ما دعا علياً الى الحكمين؟ فقال: ان اهل العراق ملوا السيف وجزعوا ضرعاً لم يجزعه اهل الشام واختلفوا بينهم فخاف علي لما رأى وهنهم ان ينكثوا منه ويتفرقوا عنه فمال الى القضية مع انه اخذ بكتاب الله حين امر بالحكمين في العبد والشقاق ولو كان معه من يصبر على السيف لكان الفتح قريباً"[٣]، فمن الطبيعي ان يكون لشدة القتال اثر على معنويات الطرفين وان يوجد استعداد للحلول السلمية وهو ما حصل لما رفعت المصاحف.

إضافة إلى ذلك وجود خيانة في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام والشكوك تحوم حول الاشعث بن قيس الكندي وقومه الذين كانوا يشكلون جزءاً مهماً من ذلك الجيش، فيذكر اليعقوبي[٤] خيانة الاشعث بن قيس حين قال في معرض حديثه عن اعتراض الأشعث على رفض الإمام علي عليه السلام مقترح التحكيم: " فاعترض الاشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية استماله وكتب اليه ودعاه الى نفسه... فقال والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك"، ففي ليلة الهرير قام الاشعث خطيباً في قومه من كنده فقال: " قد رأيتم يم معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي وما قد فني فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله ان ابلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط، الا فليبلغ الشاهد الغائب، إنا نحن تواقفنا انه لفناء العرب وشيعة الحرمات اما والله ما اقول هذه المقالة جزعاً من الحتف ولكني رجل مسن اخاف على النساء والذراري غداً اذا فينا... "[٥]، ان هذا

---

(١) المنقري، صفين، ص٤٧٣.

(٢) انساب الاشراف، ص٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٧.

(٤) اليعقوبي ج٢، ص١٣١، بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية دراسة في إشكالية العلاقة، ص١٩٧.

(٥) المنقري، صفين، ص٤٨٠؛ ينظر: الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٨٠.

الكلام يعد في غاية الخطورة فهو كلام مهبط للعزائم ومهبط للمعنويات والقائد الذي يرجو من جيشه القتال لا يمكن ان يخاطبهم بمثل هذا الكلام وفي كل الاحوال لا يمكن تفسير كلام الاشعث الا محاولة منه لإشاعة روح التخاذل والتمود في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام حتى ان معاوية بن ابي سفيان قد تلقف كلام الاشعث هذا وامر برفع المصاحف[1].

وهناك موقف اخر كفيل باتهام الاشعث وتواطؤه مع معاوية عندما امر على اختيار ابي موسى الاشعري حكماً ممثلاً لأهل العراق بعد ان اختار معاوية عمرو بن العاص ممثلاً عن اهل الشام ورفضه القاطع لاقتراح الإمام علي عليه السلام بإرسال عبد الله بن عباس او مالك الاشتر لأداء هذا المهمة فذكر المنقري: " وقال الاشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد فأنا قد رضينا واخترنا ابا موسى الاشعري فقال لهم علي عليه السلام اني لا ارضى بابي موسى ولا ارى ان اوليه فقال الاشعث وزيد بن حصين ومسعود بن جزعي في عصابة من القراء انا لا نرضى الا به قد حذرنا ما وقعنا فيه قال علي وانه ليس لي برضا وقد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب حتى امنته بعد شهر ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك قالوا والله ما نبالي اكنت انت او ابن عباس ولا نريد الا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء وليس الى واحد منكما بأدنى من الاخذ قال علي: فأني اجعل الاشتر قال الاشعث: وهل سعد الارض عين غير الاشتر وهل نحن الا في حكم الاشتر قال له علي: وما حكمه؟ قال: حكمه ان يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما اردت وما اراد"[2]، اضافة الى ان هناك روايات تؤكد ان القراء ومنذ البداية لم يكونوا متحمسين للقتال بل كانوا يحاولون وقوع المعركة على الرغم من اصطفافهم ضمن كلا المعسكرين فذكر الدينوري: " ان الطرفين اهل العراق واهل الشام يوشكان على الاقتتال على مدى ثلاثة اشهر لكن القراء كانوا دائماً يحجزون بينهما لقد كانت ارادة الطرفين المتحاربين اقوى منهم فلم يفلحوا في منع وقوع المعركة ولما رفعت المصاحف حاول هؤلاء القراء استغلال الفرصة لممارسة دورهم في وقف القتال فسارع القراء الطرفين الى عقد اجتماع لمناقشة موضوع التحكيم الذي افترضه معاوية بل ان قراء اهل العراق ضغطوا على عليعليه السلام بشدة لوقف القتال والقبول بالتحكيم[3]، قال المنقري: "فجاء زهاء عشرين الفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعد ين مدعي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من

---

(١) راجح، الإمام علي في مؤلفات مؤرخي القرن الثالث الهجري، ص٢٥٧.

(٢) صفين، ص٤٨٩-٤٩٠، الازيرجاوي، أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، ص١٨٢.

(٣) الاخبار الطوال، ص٢٨٨.

بعد فنادوه باسمه لا بأمرة المؤمنين يا علي اجب القوم الى كتاب الله اذ دعيت اليه والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان والله لنفعلها ان لم تجبهم...[١]، ان القراء كما يظهر اعطوا لأنفسهم صلاحية المرجعية الفقهية والسياسية متجاهلين صلاحيات خليفة رسول الله ﷺ الشرعي متناسين بيعتهم له على السمع والطاعة ما دام يحكم بكتاب الله وسنة نبيه فقرروا وقف القتال والزموا الخليفة بتنفيذ قرارهم[٢]، ثم ان هؤلاء منحوا لأنفسهم الحق في عرض الموقف على القرآن الكريم وتأويل آياته متناسين المكانة العلمية للإمام علي عليه السلام حتى انه خاف من تأويلهم بعض الآيات تأويلاً خاطئاً فقال الإمام في نهج البلاغة مخاطبهم: " لم اكن احدكم على هذه القضية وعلى التحكيم ولكنكم وهنتم في القتال وتفرقتم وخاصمني القوم بالقرآن ودعونا اليه فخشيت ان ابيت الذي دعوا اليه من القرآن والحكم لت يتأولوا علي فوالله " الم تر الى الذين اوتوا نصيباً نت الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون، ويتأولوا علي قوله: "لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدلٍ منكم "[٣].

وقد حاول أمير المؤمنين عليه السلام جاهداً ثينهم عن عزمهم وحثهم على مواصلة القتال بتبصيرهم بحقيقة الامويين من خلال مرارة تجربته معهم فهم كما قال الإمام عليه السلام: "ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن... والله ما رفعوها (أي المصاحف) انهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة"[٤]، كذلك اوضح الإمام في قول اخر "ظاهرة ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة واخره ندامة "[٥].

وافق الإمام علي عليه السلام على التحكيم بعد ان عبر عن استيائه قائلاً: "**مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لاَ أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ؟ ! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلاَ تَسْمَعُونَ لي قَوْلاً، وَلاَ تُطِيعُون لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ الاْمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَساءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ**"[٦].

ونتيجة لما ذكرناه وافق الإمام علي عليه السلام من التحكيم وامضى وثيقة الصلح باسمه لا بأمرة

---

(١) صفين، ص٤٩٠.

(٢) راجح، الإمام علي عليه السلام في مؤلفات القرن الثالث الهجري، ص٢٦٠.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠١.

(٥) نهج البلاغة، ص٢٠١.

(٦) نهج البلاغة، ص٨٣.

المؤمنين وحدد من سنة (٣٧هـ/٦٥٧م) موعداً للقاء الحكمين في اذرح"[١]، لقد ادرك الإمام علي عليه السلام لما علم ان معاوية قد اختار عمرو بن العاص للتحكيم ان لقاء اذرح لا يمكن ان يكون مؤتمراً للبحث والاستقصاء في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لاستنباط الحكم الاكثر شرعية الذي يتلأم مع الموقف السياسي في تلك اللحظة التاريخية ثم الخروج بقرار يمثل في جوهره موقف القرآن الكريم من الاحداث التي سادت وقتذاك، بل ان هذا اللقاء سيكون عبارة عن صراع سياسي بين تيارين يمثل فيها عمرو بن العاص بمكره وخداعه التيار الاموي المنحرف خير تمثيل وعليه لابد من ان يكون التيار السياسي المضاد هو التيار الإسلامي الاصيل وواقعيته ومثاليته، لذلك اقترح الإمام علي عليه السلام ان يكون احد اقرب اصحابه (ابن عباس او الاشتر) هو من يخوض الصراع لكن اصرار القوم على اختيار أبي موسى الاشعري الذي لم يكن نداً لعمرو بن العاص لا من ناحية القرارات الذهنية، فقد كان رجلاً مغفلاً ولا من ناحية الولاء فقد اعلن عن توليه الإمام علي عليه السلام عندما اختير لهذه المهمة بقوله: " اما والله مالي امام غير علي... "[٢]،ثم لم يجد خيراً من خلعه عند التحكيم فضلاً عن كونه لا يمثل التيار المناهض للتيار الأموي، اضافة الى موقفه السلبي من تعبئة الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة في حرب الجمل وكان شديد الرغبة بتولي عبد الله بن عمر بن الخطاب الخلافة لذلك سرعان ما تمكن عمرو بن العاص من مداعبة اهواء أبي موسى الاشعري حينما طرح مقترح الشورى فأعلن ابو موسى الاشعري امام الملأ خلع الإمام علي عليه السلام ومعاوية بن ابي سفيان ورد الامر الى الامة لتختار من تشاء ثم صعد عمرو بن العاص فأعلن خلع الإمام علي عليه السلام وتثبيت معاوية خليفة للمسلمين وسط ذهول ابي موسى الاشعري من غدر ابن العاص وعلى اية حال انهى الحكمان حكمهما بأن تشاتما علناً امام الملأ[٣]، ولا يسع المرء ان يجد تعليق على هذا الموقف ابلغ من قول عباس محمود العقاد: "انتهت المأساة بهذه المهزلة او انتهت المهزلة بهذه المأساة"[٤]، كان لهذه المأساة بعد سياسي ادى الى ظهور الخوارج كجبهة معارضة اخرى للإمام علي عليه السلام.

---

(١) اذرح: بلدة بأطراف الشام من اعمال الشراة من نواحي البلقاء وعمان ومجاورة لأرض الحجاز، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٢٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج١، ص١١٣.

(٣) المنقري، صفين، ص٥٤٦؛ البلارذي، انساب الارشاف، ص٣٥٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٥٢.

(٤) عبقرية الإمام علي، ص١٠٨.

ظهور الخوارج (المارقين)

المروق: هو الخروج من غير مدخله والمارقة "الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه"[١]، وقد اطلق لقب المارقين على الخوارج لغلوهم في الدين وتكفيرهم كل من يخالف عقيدتهم[٢]، وسموا أيضاً بالمحكمة الاولى لرفضهم صحيفة التحكيم[٣].

فتشير أغلب المصادر التأريخية إلى ان بدء أمر الخوارج كان بعد الإعلان عن اتفاق التحكيم أو ما عرف به قضية التحكيم وان أول من نادى بشعار الخوارج "لا حكم الا لله" هو عروة بن اذية الذي اعترض على اتفاق التحكيم حينما كان الاشعث بن قيس يطوف بالقضية ويعرضها على الناس في ثكنات عسكر الإمام علي عليه السلام في صفين، فيذكر البلاذري[٤]: " فلما كتبت القضية خرج بها الاشعث لقيرأها على الناس فمر بها على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن اذية... فقال عروة: اتحكمون في امر الله الرجال؟ اشرط اوثق من كتاب الله وشرطه اكنتم في شك حين قاتلتم لا حكم الا لله وهو اول من حكم ثم اعترض الاشعث وهو على بغلة له ففاته فضرب بسيفه عجز البغلة... وكان سيف عروة اول سيف شهر في التحكيم"، فأن الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام عرفوا بالخوارج هم القراء بعينهم اولئك الذين تدارسوا القرآن الكريم من قبل مع نظرائهم من اهل الشام واجبروا الإمام علي عليه السلام على وقف القتال، وان فكرة رفع المصاحف التي طرحها عمرو بن العاص كانت قائمة اساساً على امكانية التأثير على فئة معينة من جيش الإمام علي عليه السلام فيذكر الطبري " فلما رأى عمرو بن العاص ان امر اهل العراق قد اشتد وخاف في ذلك الهلاك قال لمعاوية: هل لك في امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعاً ولا يزيدهم الا فرقة قال: نعم، قال: نرفع المصاحف ثم نقول ما فيها حكم بيننا وبينكم فأن ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول بل ينبغي ان نقبل فتكون فرقة تقع بينهم... "[٥]، فأي فئة هذه التي كان ينظر منها عمرو بن العاص ان تتأثر بحكم المصاحف وتستجيب لحكم القرآن اكثر من فئة القراء؟ وقد ذكرنا سابقاً ان هؤلاء القراء لم يكونوا متحمسين للقتال منذ البداية.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٧٢.

(٢) الاشعري، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت: ٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، (بيروت: ٢٠٠٦م)، ص٨٦.

(٣) الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، دار المعرفة، (بيروت: د.ت)، ج١، ص١١٥.

(٤) انساب الاشراف، ص٣٦٦.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤١، جعيط، الفتنة. ص٢٢٤.

وكان للخوارج مناظرات مع الإمام علي عليه السلام وحججهم التي طرحوها على الإمام عليه السلام حتى قال الإمام علي عليه السلام: " الم تعلموا انني نهيتكم عن الحكومة واخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة فعصيتموني واكرهتموني حتى حكمت "[1]، وفي مناسبة اخرى قال لهم عليه السلام: نشدتكم الله هل تعلمون تنب كنت اكرهكم للحكومة فيما بيننا وبين القوم ولوضع الحرب، فرد علي رأي وامري فشرطت في الكتاب على الحكمين ان يحيا ما احيا الكتاب ويميتا ما امات فأن حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف ما حكما به وان ابيا وزاغا فنحن عن حكمهما براء "[2]، عندها احتجوا عليه بموافقته على وقفه القتال والجوء الى التحكيم.

كذلك احتجاجهم على الإمام عليه السلام بشأن رجوع الحكمين الى القرآن فيما اختلف طرفا النواع فيه على انه تطاول على القرآن بقبول الإمام عليه السلام تحكيم الرجال فقال الإمام عليه السلام: "**تَّالَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. وهذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ، وقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ**"[3].

وقولهم في تخلي الإمام علي عليه السلام عن لقب أمير المؤمنين في الصحيفة عندما قالوا فلم كتبت اسمك ولم تنسب نفسك الى امرة المؤمنين؟ اكنت مرتاباً في حقك؟ فقال عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما كتب صلح الحديبة بينه وبين قريش قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال الكفار اهل مكة لو كنا نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فكتب محمد بن عبد الله... "[4].

وقولهم موافقة الإمام علي عليه السلام على شروط الهدنة التي نصت عليها الصحيفة فقال عليه السلام: "**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هذِهِ الاُمَّةِ، وَلاَ تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لاِوَّلِ الْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ــ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ**"[5].

---

(١) نهج البلاغة، ص٢١٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٢١٠.

(٣) سورة النساء: الآية: ٥٩؛ نهج البلاغة، ص٢١١.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٣٨.

(٥) نهج البلاغة، ص٢٠٩.

فعلى الرغم من ذلك كان موقف الإمام علي عليه السلام المبدئي من الخوارج موقف شرعي انطلق من كونهم مسلمين وان كانوا قد خالفوا اخوانهم، فلا يمنعون حقوقهم، ولا يحل قتالهم ما لم يقتلوا او يفسدوا في الارض، فقال الإمام علي عليه السلام: "... ان سكتوا تركناهم وان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم...[1]، وقول اخر: "لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت ايديكم مع ايدينا ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا"[2]، لكن اصرار الخوارج على مقاتلة الإمام عليه السلام جعله يعبأ جيشه لقتالهم وامر اصحابه بالكف حتى يبدؤهم القتال اتماماً للحجة[3].

موقعة النهروان (٣٨هـ/٦٥٨م)

لما يئس أمير المؤمنين عليه السلام من اقناع البقية الباقية من الخوارج تركهم بما هم عليه متجنبا الدخول معهم في أية حرب فأجرى لهم الارزاق مثلهم مثل غيرهم من المسلمين الداخلين في طاعته شريطة الا يثيروا أية مشاكل وقوله عليه السلام" لا اقاتلهم حتى يقاتلوني"[4]، خير دليل على عدم بدء الإمام عليه السلام بحربهم.

وكان غرضه تحديهم حتى يتسنى له التفرغ الى معاوية مصدر الخطر في الرئيس على الإسلام لكن اصرارهم على المكابرة وتماديهم في العصيان والتأليب ومقاطعته اثناء صلاته فقال عليه السلام "**اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لاِمْرِهِمْ مِلاَكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ في صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ في حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ في سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ**"[5].

ان اتهام الإمام علي عليه السلام بالكفر في ملأ المسلمين أدى الى الرد عليهم من لدن أمير المؤمنين عليه السلام "**أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلاَ بَقِيَ مِنْكُمْ وآبِرٌ، أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! لَقَدْ (ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)! فَأُوبُوا شَرَّ مَآب وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الاْعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمونَ فِيكُمْ سُنَّةً**"[6].

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص١٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١٤، ص١٩٨.
(٣) البلاذري، انساب الاشراف، ص٣٧٥؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٣٠٩.
(٤) نهج البلاغة، ص٩٢.
(٥) نهج البلاغة، ص٤٣.
(٦) نهج البلاغة ، ص٩٧.

وقوله عليه السلام " **رُوَيْداً، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْب!** " [1]، كان هذا القول تعقيب على سب الخارجي على كلام لأمير المؤمنين بقوله " **قاتله الله كافراً ما أفقهه** "[2].

كل هذا ما جعل الإمام عليه السلام ينذرهم مصوراً لهم ما سيؤولون اليه، ان هم لم يرتدعوا "**فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَة مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَان مُبِين مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ المخالفين، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىْ هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الاْحْلاَمِ، وَلَمْ آتِ ــ لاَ أَبَا لَكُمْ ــ بُجْراً، وَلاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً** "[3].

لكنه في النهاية لم يجد بدا من الدخول معهم في معركة كادت تستأصلهم "**مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ**"[4].

وعندما قيل له يا أمير المؤمنين عليه السلام هلك القوم بأجمعهم قال عليه السلام "**كَلاَّ وَاللهِ، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ**"[5].

جاء عن ذلك بعد أن أحدث الخوارج احداثاً لا يمكن السكوت عنها ان محاربة الإمام علي عليه السلام الخوارج وانتصاره عليهم، لم يسلبهم حقوقهم الشرعية بوصفهم مسلمين من وجهة نظره، لذلك فقد اوصى بعدم محاربتهم من بعده في الوقت الذي كان يحض فيه على مقاومة الأمويين، فقوله "**لاَ تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ**"[6].

هو من قبيل المقارنة بين موقفه من الخوارج الذين "لم يطلبوا الباطل بكونه باطلاً، بل طالبوا الحق بالذات فوقعوا بالباطل، ومن لم يكن غرضه"[7].

وبين معاوية المشار إليه في المقولة (بمن طلب الباطل فادركه)، فان ما يميز معركة النهروان هي السرعة الفائقة التي حسمت فيها المعركة كما ذكر أبو حنيفة الدينوري[8] "وقتلت

---

(١) نهج البلاغة ، ص٥٨٨.
(٢) نهج البلاغة ، ٥٨٩.
(٣) نهج البلاغة، ص٨٢.
(٤) نهج البلاغة، ص٩٨.
(٥) نهج البلاغة، ص٩٨.
(٦) نهج البلاغة، ص٩٩.
(٧) ميثم البحراني، شرح النهج، ج٢، ص١٥٥.
(٨) الدينوري، الاخبار الطوال، ص٣١٠.

الخوارج كلها دفعة واحدة"، وفي نص آخر للطبري[1] "ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فوالله ما لبثوا ان اناموهم... فاهمدوا في ساعة".

كذلك شهدت معركة النهروان تحقق واحدة من معاجز الرسول ﷺ ودلائل نبوته فذكر البلاذري بإسناده للإمام علي عليه السلام ان النبي ﷺ قال: " ان قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية طوبى لمن قاتلهم وقتلوه علامتهم ان فيهم رجلاً مخدج اليد[2]»[3].

موقف الإمام علي عليه السلام من معارضيه عامة: ــ

اتخذت سياسة الإمام علي عليه السلام من مناوئيه موقفين مختلفين فقد اعتبر محاربته لأصحاب الجمل ولأهل الشام من الفئة القرشية من قبيل إزاحة الباطل، واحقاق الحق بالعودة بتعاليم الإسلام الى إصالتها التي كانت على عهد الرسول ﷺ ، مؤكداً ان أمرهم دنيوي ودافعهم ذاتي فذكر النهج ما نصه «ان هؤلاء قد تعالوا على سخط أمارتي، وسأصبر ما لم أضف على جماعتكم فأنهم ان تعموا على فياله هذا الرأي انقطع نظام المسلمين، وإنما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاء الله عليه فأرادوا (والأمور على أدبارها)[4]؛ فقد كان الإمام عليه السلام يكشف هذه الحقائق فعندما فشل القريشين (أهل الجمل، وأهل الشام) من مساومة الإمام عليه السلام بإبقاء أموالهم واقطاعياتهم وامتيازاتهم التي حصلوا عليها في عهد عثمان بن عفان مقابل ان يدخلوا في طاعته عمدوا على التأمر بدعوة الناس إلى رفض البيعة[5]، فقال الإمام علي عليه السلام على استمراره على تطبيق المنهج الذي بدأ به فذكر عليه السلام أتأمروني ان أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه لو كان المال لي لساويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله ألا وان إعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله...»[6].

اما محاربته لمناوئيه من الخوارج فلقد كانت من اجل تطهير صفوفه وتوحيد جبهته الداخلية للتفرغ للعودة لأهل الشام فأكد الإمام علي عليه السلام على هذا الأمر ما نصه «**ادفعوا إلينا قتلة إخواننا**

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٦٥.

(٢) أي ناقص اليد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٤٨.

(٣) انساب الاشراف، ص٣٧٥.

(٤) العريض، فكر الإمام علي (عليه السلام)، ص٣٠٢، الحسناوي، ختام راهي، المعارضة العربية الإسلامية (١١هـ ــ ٤١هـ) (٦٣٢ ــ ٦٦١م)، اطروحة دكتوراه منشورة (جامعة الكوفة كلية الآداب، ٢٠٠٧م)، ص٣٣٣.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٤.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٠١.

منكم نقتلهم بهم ثم انا تاركم وكاف عنكم حتى ألقي أهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم»[١] الا انه لم يتمكن من الوصول الى غايته في مواجهته لقريش، التي كانت ارادتها ان تكون جبهة واحدة تتصدى لكل من يعرض مصالحها الذاتية للخطر كائناً من يكون [٢].

وصف الإمام علي عليه السلام لإرادة قريش في نهج البلاغة:

على الرغم من صعوبة الحياة وجفاف الأرض، وقلة المطر في ارض الحجاز فقد تمكن القرشيون من تكوين مجتمع مستقر حول بيت الله الذي كان العرب تؤمه من كل حرب وحوب وبفضل ذلك الاستقرار وقدسية الأرض تبوأت الحجاز مكانة ستراتيجية هامة اذ اصبحت همزة وصل لاهم طرق التجارة الصحراوية بين الشام واليمن والحبشة وفارس فانتعشت الحياة في مكة فقد افادها الاستقرار في نمو تجارتها الخاصة المعتمدة على أسواقها الموسمية[٣] التي يحضرها العرب لشراء ما يحتاجونه ومقايضة سلعهم بسلع اخرى، بالإضافة الى عرضهم على قريش اشعارهم، والتحاكم اليها والى قبائل العرب الاخرى بشأنها [٤] والاهمية التجارة في حياة قريش، فقد عقدت اتفاقيات سلام مع كل الممالك والامبراطوريات المجاورة " فكان هاشم يؤلف ملك الروم أي يأخذ منه حبلا وعهدا يأمن به في تجارته إلى الشام، وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس "[٥].

فتدفقت بسبب ذلك الثروات على الحجاز مما جعل قريش في بحبوحة من العيش والرخاء، فتولد عن ذلك التفاوت في طبقات المجتمع فانقسم "في القرآن السادس للمسيح اللا ثلاث فئات، الاولى قريش، ولها كل الحقوق، والثانية حلفاء قريش وهم اناس من العرب والثالثة العبيد الذين لا يملكون شيئاً حتى أنفسهم"[٦].

وعادة ما يؤدي مثل ذلك الانتعاش الاقتصادي الى الاستقرار والدعة وتجنب التغير، كما أن الميل الى المادة والتمرس بأعمال التجارة يتعارض والتقلبات الاجتماعية، لذلك رفض القرشيون

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٠٣.
(٢) الحسناوي، المعارضة العربية الإسلامية، ص٢٣٤.
(٣) كحالة، معجم قبائل العرب، ج٣، ص٩٤٩.
(٤) كان النابغة يضرب له قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ. فتأته الشعراء فتعرض عليه اشعارهم؛ ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص١٠١.
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج٢٠، ص٢٠٤.
(٦) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ج٥، ص ٢١٨.

الإسلام رفضاً قاطعاً وقاوموه بضراوة وتتبعوا مؤيديه والمؤمنين به بالتعذيب والقتل والسجن والتشريد، كل ذلك في سبيل ابقاء المجتمع المكي مستقرا في حياته الروتينية التي ورثها الابناء عن الاباء اجيالا متعاقبة خاصة ان عقلياتهم التجارية التي تضع المادة نصب العين كانت ترى في الرسالة زعزعة للاستقرار وتغير في التركيبة الاجتماعية تفقدهم مكانتهم التي تبواتها كعقيدة دينية سمحة من اهم مبادئه المساواة بين الناس بمحو التفاضل والتفاخر وازالة التفوتات الاجتماعية بالاتجاه نحو عبادة اله واحد وهو رب لكل البشر مما يعني ان رعايتهم لما في الكعبة من اصنام سيزول[١]، وستزول معه وصايتهم على اديان العرب لذلك وقفت في وجه الإسلام جبهة وتحدة وقاومته بالمال والحرب مقاومة شعواء منذ بزوغ نوره ولم تسلم بالأمر الواقع الا بعد ان رات جيوش الإسلام قد احاطت بشعاب مكة فكان دخولها الإسلام رهبة لا رغبة فخمدت العصبية القريشية وبقيت جذورها في النفوس متقدة نقمة على الهاشمين، وبالأخص النبي ﷺ وال بيته متحينة الفرصة ولو بعد حين[٢].

لقد خسرت قريش كثيراً في مواجهتها للأمر للنبي ﷺ ففقدت كثيراً من أبطالها ومن ثم مكانها كمركز استقطاب للقبائل العربية ورضغت في الامر مرغمة لإرادة الله، فأكسبتها تلك الحوادث الاليمة تجارب قيمة، فلم ترتر عن الإسلام حين ارتدت الكثير من قبائل العرب[٣].

ثم أنها دعمت ابا بكر(رضي الله عنه) وساندت تثبيت خلافته حين وجدت مصلحتها تقتضي ذلك[٤].

وتعاونت مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بحذر شديد وفي حدود مصلحتها [٥]. ثم تعاونت مع عثمان واظهرت له الرد والاخلاص حين سمع لها بما لم يسمع به عمر من عدم الانضباط في الامصار الإسلامية واقتناء الضياع وامتلاك العبيد وجميع الثروات وبناء الدور الفخمة[٦].

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج، ص

(٢) العريض، فكر الإمام علي، ص٣٠٥، توشار، جان، تاريخ الأفكار السياسية، (دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٤٨م)، ص٥٦.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٠.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١١.

(٥) سيذكر الطبري "ان عمر لم يمت حتى ملّته قريش" ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٩٧/٤. اما اليعقوبي فيقول " قول وقال عمر في آخر سنة من خلافته، إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربياً على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله ﷺ وأبو بكر" اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٥٤.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٩٧.

ولكن تفضيله فئة قريشية على اخرى جعله موضع سخط الفئة المفضولة[١]، وتربص الفئة المفضلة فذكر عليه السلام في ذلك "**فَدَعْ عَنْكَ قُرَيشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجْوَالَهُمْ**"[٢].

التي لا تهمها سوى امتيازاتها فاتحدت الفئتان في الاهداف فكانت النتيجة اغتيال الخليفة الثالث في مناي من اتهام قريش ايضا ولكنها اخطات التقدير حين واجهت الإمام علي عليه السلام في وقعة الجمل مما جعلها تعود لمراجعة حساباتها ثانية فتتخفى وراء سياج متين من سياسة الخداع بالالتواء على النص القرآني وتأويله بما يتناسب ومصلحتها فكان لها ما ارادت في صفين حين استطاعت ان تقف حائلا دون عودة الصف الإسلامي الى وحدته في كنف السياسة الدينية المتمثلة في الخلافة[٣].

ان اغتيال الخليفة الثالث أحدث ارباكا في صفوف القريشين المتربصين به، فطلحة الذي كان يتهيأ للأمر لم يتمكن من التحرك السريع لاحتواء القضية وعائشة التي كانت تبارك طموحات طلحة كانت غائبة عن ساحة الأحداث، هذا بالإضافة الى الهلع الذي حل بالناس اثر ذلك العمل[٤].

فلم يعد زمام المبادرة في المرة الرابعة بيد قريش التي عادة ما توجه السياسة الإسلامية في المدينة إذ تريد لذلك توجه المسلمين المتواجدين بالمدينة عن بكرة ابيهم الى الإمام علي عليه السلام لمبايعته الامر الذي لم يكن يخطر ببال قريش لان زعامتها تدرك حيدا انه لو وليهم "لم تخرج من بني هاشم أبدا، وما كانت في غيرهم من قريش"[٥].

وقد ترتضي قريش الإمام علي عليه السلام او غيره من افراد او بني هاشم خليفة فيما لو ترك لها ما تريد الا ان زعامتها لم تنس مقولة عمر بن الخطاب للإمام علي عليه السلام قبيل وفاته " **انك احرى القوم ان وليتها ان تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم** "[٦].

فقريش لا تريد من الحق الا الذي يكون في صالحها وذلك يتعارض تماما مع مبادئ الإمام عليه السلام في سياسته للناس لذا اجتهدت قريش كلها على مبدا اخماد ذكره وستر فضائله فأوضح الإمام علي عليه السلام امرهم جوابا على كتاب عقيل بن ابي طالب "**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجمَاعِهِمْ**

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٨٤.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٣٨.
(٣) بيضون، الإمام علي عليه السلام في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص ٧٠.
(٤) بيضون، الإمام علي عليه السلام في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص٧٠، توشار، تاريخ الأفكار السياسية، ص٥٩ـ ٦٠.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٣٣.
(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٥.

عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي! فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي"[١].

فقريش كلها لا تنكر فضل أمير المؤمنين عليه السلام وسابقيته وشجاعته وتشدده في ذات الله الا انها لا ترضى بتطبيق ذلك عليها يقول عمرو بن العاص لمعاوية ضمن حوار دار بينهما حول تامرهما على افشال خلافة الإمام عليه السلام "اما علي فلا تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الاشياء وان له في الحرب كخطأ ما هو لاحد من قريش قال معاوية :صدقت وانما نقاتله على ما في ايدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو: وان احق الناس ان لا يذكر عثمان لا انا ولا انت اما انا فتركتهه عيانا وهربت الى فلسطين اما انت فخذلته ومعك اهل الشام"[٢].

وفي الجانب الاخر من قريش تألبت على خلافه عائشة ومن ورائها طلحة والزبير وغيرهم من ذوي الثراء القريشين، لأنه لم يكن ليرخص لهم ان يشرط على حساب عامة المسلمين خاصة، بعد ان عرفوا عزمه الاكيد على رده كل ما اقتطعه عثمان لأهله من قطائع واموال من بيت مال المسلمين ما نصه: "**وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الْاِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!**"[٣].

لذا "لم يحارب الإمام علي عليه السلام من العرب أحداً إلا قريش ما عدا يوم النهروان"[٤]، وحتى يوم النهروان وان لم يتقابل فيه الإمام علي عليه السلام قريشاً وجهاً لوجه، الا ان من حاربهم في تلك الموقعة، قد خرجوا عليه بتدبير ومكيدة من قريش في صفين[٥].

فالخوارج نتيجة طبيعة لما دبرته قريش للإمام علي عليه السلام فقد كانت ارادتها ان تبدأ القتال مع الإمام علي عليه السلام متى تشاء وبالأسلوب التي تشاء، وتنهي القتال بالطريقة التي تداها في صالحها دون مراعاة لأية قيمة اسلامية، مما اودى بحياة الآلاف من المسلمين في صفين[٦] كل ذلك سبيل السلطة والمال.

لقد كانت شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من تكالب قريش عليه وعلى حكومة محضة ومؤلمة،

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٨.
(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٢٨٧.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٧.
(٤) ابن ابي الحديد، الشرح، ج١٠، ص٢٢١.
(٥) ابن ابي الحديد، الشرح،ج١٠، ص٢٢١.
(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٤٣.

فهي قد اضمرت لرسول الله ﷺ "ضروبا من الشر و الغدر"[١].

فلما لم تتمكن من إصابته بشر ودخلت الإسلام مرغمة صبت جم حقدها على ال بيته في الوقت الذي كانت نتخذ من اسمه "ذريعة الى الرياسة وسلماً الى العز والامرة"[٢].

ولولا حصولهم على تلك الامتيازات لما "عبدوا الله بعد موته يوما واحدا ولارتدت في حافرتها"[٣].

فمباهاة قريش بالانتماء الى النبي وتصريحهم بحبه في الملا ما هو يا رأي الإمام عليه السلام خارجي ليحققوا الثراء في الوقت الذين يطؤون فيه رقاب ال بيت ويحاولون اخماد ذكرهم، وذكر الإمام عليه السلام ذلك "ما لنا ولقريش يخضمون الدنيا باسمنا و يطئون على رقابنا فيا لله و للعجب من اسم جليل لمسمى ذليل"[٤].

لذلك كان اصرار أمير المؤمنين عليه السلام على مواجهتهم والحد من اطماعهم ووضعهم في المنزلة التي ارادها الإسلام لهم، فقريش الامس من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام هي قريش اليوم، لم تتغير الا من حين المظهر الخارجي فالحمية الجاهلية ما زالت ساكنة في نفوسهم لهم يهز بها الإسلام، يقول لأخيه عقيل الذي اخبره بتسلل القريش من المدينة الى معاوية تهافتاً على المادة " قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسوُلِ اللهِ ﷺ قَبْلِي"[٥].

اذ يفهم من القول السابق ان الإمام علي عليه السلام يرى المسوغ قوياً لقتال قريش غير انه بما يقال فيهم وما يدعونه لأنفسهم من قرابة وصحبة لا تخولهم امتلاك رقاب الناس، فاذا ما ارادوا فرض اراداتهم بالقوة، فأن القوة هي العلاج للحد من غلوهم، يقول في احدى خطبة عليه السلام عند خروجه لملاقاة اصحاب الجمل "**مَالي وَلِقُرَيْش! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلاَقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأمْسِ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ! والله ما تنقم منا لقريش الا ان الله اختارنا عليهم فأدخلهم في حيزنا فكانوا كما قال الاول:**

اومن لعمري شربك المحض صـــابحاً واكلـــك بالزبـــد المقشـــرة البجـــدا

---

(١) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٢٠، ٢٩٧.
(٢) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٢٠، ص٢٩٨.
(٣) نهج البلاغة، ص٥٦٢.
(٤) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٢٠، ص٣٠٨.
(٥) نهج البلاغة، رسائل ٣٦.

ونحن وهبناك العـــلاء ولـــم تكـــن علياً وحطنا حولك الجـــدد واســـمرا"[1]

فقتاله لهم من اجل "استقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عند الضلال"[2]، فقريش كما يراها أمير المؤمنين عليه السلام تقييس الحق بما يتلاءم ومصلحة ابنائها، لذلك حالت بينه وبين حقه محاولة اكراهه على النزول عند رغبتها بتصرفها في حقه في الخلافة كما تشاء في قوله "**اللَّهُمَّ إنَّي أَسْتَعْينِكَ عَلى قُرَيْش وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ**"[3].

ويجدر بنا أن نقف عند مفهوم الحق في هذا الموضوع الذي يرمي أمير المؤمنين علي عليه السلام اليه فابن أبي الحديد يخرج معنى الحق في المقولة على توضيح معنى الافضلية لان "جملة الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين و الأنصار"[4].

لكن الذي نفهمه نحن من القول بأن الحق في النص يعني الخصوصية التي لا يمكن تأويلها على اساس الافضلية لأنه لو كان يقصد الأفضلية لذاتها لقلنا انا افضلهم أرانا أقربهم أو أنا أحقهم بالأفضلية مما يعني أن الحق مطلقاً دون الاضافة ــ كما نفهمه ــ يعني الاختصاص بالامرة دون غيره بدلالة قوله في السياق" اجمعوا منازعتي امراً هو لي "لما فيه من توكيد الأحقية التي لا تحتاج الى تأويل فالقضية هنا لا يمكن اجراؤها كما يرى ابن ابي الحديد "مجرى الآيات المتشابهات التي لا يعمل بها ابداً"[5].

لأن "المتشابه من القران: ما اشكل تفسيره لمتشابهة بغيره، اما من حيث اللفظ او من حيث المعنى" [6].

ومقولة أمير المؤمنين عليه السلام واضحة خاصة ان الإمام عليه السلام قد اتبع مقولته لمفهوم الحق عند قريش بالتصرف فيه "كما تشاء بالأخذ والترك... وهذه شكاية ظاهرة لا تأويل فيها"[7].

الا ان الإمام عليه السلام كما هو واضح في النهج لم يكن يحمل لقريش اية ضغينة او حقد لان

---

(١) نهج البلاغة، رسائل ٣٣، ويذكر ابن ابي الحديد بإسناده ان مثل هذه العبارة قد تكررت من الإمام علي عليه السلام) مرات عديدة.

(٢) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٩، ص٣٠٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٧٣.

(٤) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٩، ص٣٠٧.

(٥) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٩، ص٣٠٧.

(٦) الراغب الاصفهاني، مفردات في غريب القران، ص٣٧٣.

(٧) ابن ابي الحديد، الشرح، ج٩، ص٣٠٧.

اخلاقه الإسلامية تسمو بروحه العالية عن ذلك، وهو الداعي الى الحب بتريث والبغض بتريث ايضاً في قوله "**أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا**"(١).

فعلى الرغم من مواقف قريش العدائية تجاهه وتجاه حكومته لإفشال امره، لم يحاربهم الا مضطراً بعد ان نفذت جميع أساليب التفاهم معهم، فيقول عليه السلام متألماً لمصارعهم حين نظر الى قتلاهم في موقعة الجمل ما نصه "**لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّد بِهذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ! أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاف، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْر لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دوُنَهُ**"(٢).

فمن اقوال أمير المؤمنين عليه السلام يمكن الاستنتاج ان المواجهة بينه وبين قريش قد ابتدأت منذ اليوم الذي انتقل فيه الرسول صلى الله عليه وآله الى الرفيق الاعلى واستمرت حتى بلغت ذروتها ابان خلافته، حين حاول التصدي لها والحد من طموحاتها، لكنه لم ينجح في مساعيه، لأنها استطاعت ان تخلق له المشاكل ما حال بينه وبين تنفيذ سياسته.

ومن ثم التدبير لاغتياله بيد احد ممن خرجوا عليه ابن ملجم المرادي (لعنه الله) فعلى الرغم من ذلك فانه عليه السلام وصى به قبل استشهاده كما اوضح لنا نهج البلاغة عندما قال عليه السلام لولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وهو جريح: "**لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: قُتِلَ أميرالْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي، انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَة، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: "إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ**"(٣)، وقوله للإمام الحسن عليه السلام: "ارفق يا ولدي به اسيرك وارحمه واحسن اليه واشفق عليه الا ترى الى عينه قد طارت في أم رأسه، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً"(٤)، مما يعني ان قريشاً لا يمكنها ان تحقق ارادتها بالمواجهة المباشرة، لذلك كانت كثيراً ما تلجأ للوصول إلى مأربها بوضع يد غيرها في النار ثم تقف متفرجة لتقطف ثمرة غيرها الا أن الظروف المعقدة التي اختلقتها قريش لتعطيل افكار أمير المؤمنين عليه السلام السياسية لم تحل بينه وبين جهاده المستميت لتحقيق تلك السياسة.

---

(١) نهج البلاغة، ص٥٦٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٣٥٩.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٥٢.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٥٣.

الفصل الرابع

سياسية الإمام علي عليه السلام الإدارية في نهج البلاغة

- المبحث الأول: مفهوم (الدولة، الحكومة، السياسة الإدارية) في نهج البلاغة

- المبحث الثاني: المؤسسات العليا للدولة في نهج البلاغة

- المبحث الثالث: الجهاز الإداري في نهج البلاغة

المبحث الأول

مفهوم (الدولة، الحكومة، السياسية الادارية) في نهج البلاغة

سياسة الإمام الأدارية في نهج البلاغة: ــ

مدخل:ــ

أ ــ مفهوم الدولة في نهج البلاغة:

تمكن النبي ﷺ سنة (١١هـ-٦٣٢م) من وضع أسس الدولة الإسلامية في مجتمع متجانس على أساس المواطنة فيه المؤاخاة بين افراده فالرسولﷺ وإن لم يذكر عنه أي تعريف لمفهوم الدولة الا انه بالإمكان استنتاج مثل ذلك من الخطوات العملية التي باشرها بحيث نستطيع القول بان دولةﷺ قد خلفت مجتمعا قويا تمكن من نشر الإسلام في فترة قصيرة جدا بفضل التجانس البشري الكامن في اخوة الإسلام والاخلاص الصادق الذي انبتت عليه تلك الأخوة ولكن ذلك التجانس قد بدأ في التداعي جراء الثروات المتدفقة بغزارة على ذلك المجتمع بعد الفتوحات الإسلامية العظيمة فأخذت الطبقية في التبلور ولم تكن مقولة عمر بن الخطاب بعد ان عرضت عليه غنائم فارس وفيها من اطيب الاطعمة التي لم يخبرها العرب من قبل فتذكر احدى المصادر " يا معشر المهاجرين والأنصار ليقتلن منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام"[١].

الا إحساس صادق بقرب ذلك فقد تسلم الإمام علي عليه السلام مقاليد الدولة الإسلامية وهي في طريق الانهيار لافتقاد المسلمين روح المؤاخاة اساس المواطنة الإسلامية ويرجع سبب ذلك الى الاتجاه المادي البحت وشخصيات النعرة القبلية ثانية بعد أن خمدت وكادت جذوتها تنطفئ[٢].

تسلم الإمام علي عليه السلام مقاليد الدولة الإسلامية في السنة(٣٥هـ/٦٥٥م) بعد تفكر عميق واخذ ورد لإحساسه بثقل مسؤولية اعادة بناء النسيج الداخلي من جديد لان التصور الواضح للدولة في نظر الإمام علي عليه السلام طبقا لنصوص النهج هو الرجوع بالمواطنة داخل المجتمع الإسلامي الى النهج الذي اختطه الرسول ﷺ فلقد دخل الإمام علي عليه السلام الكوفة سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) وهي مقسمة بحسب الانتماء القبلي والرابطة الإقليمية التي اختطها سعد بن أبي وقاص في

---

(١) العلي، دولة الرسول في المدينة، ص٨٧؛ سعدون، هدى ياسر، الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، أطروحة دكتوراه منشورة، (كربلاء المقدسة مؤسسة نهج البلاغة، ٢٠١٦م) ص١٧٣.

(٢) الطبري، الرياض النضرة، ج٢، ص٣٨٦.

سنة(١٧هـ/٦٣٨م) حين باشر بتمصيرها[١].

أراد للدولة ان تستمر كما أراد الرسول ﷺ لها والإسلام ان ينتشر ان يقوم بإعادة بناء هيكل المواطنة المثالي بمجانسة افراد المجتمع المتنافر عن طريق اعادة الأخوة الإسلامية الى النفوس وفك الهيمنة القبلية بتحويل الولاء للدولة فهو في الوقت نفسه الذي اخطر فيه الى التعامل مع الزعامة القبلية بما يتماشى وروح الإسلام قد بذل جهدا كبيرا في التنبيه للخطر الذي تشكله تلك الزعامات والتحذير من مغبة الامتثال لها لما في ذلك من هدم للمثل والقيم الانسانية[٢]، من ذلك قوله: "**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ إِعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ... وَلاَ تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ**"[٣].

فالدولة في فكر الإمام علي عليه السلام يجب ان تقوم على التجانس الإنساني داخل المجتمع بصهر الطبقات في بوتقة المساواة واذابة فوارق الجنس والتعصب للأخلاق الحميدة وهو ما يمكن ان نلمسه ضمن قوله لأبناء مجتمع الكوفة: "**فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُهُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ، بِالأَخْلاَقِ الرَّغِيبَةِ، وَالأَحْلاَمِ الْعَظِيمَةِ، وَالأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالأَعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ**"[٤].

فمن تلاحق العبارات يبين لنا أن الإمام علي عليه السلام قد كان مشحونا غيظا بسبب ما آلت اليه بنسبة المجتمع من تصدع بحيث لم يعد للحكومة اية قيمة في ظل نظام قبلي لا يرى الدولة ولا يفهم مقوماتها الا في حدود متضارة الضيق المتمثل في مصلحة القبيلة مما يحول دون الانسجام بين افراد المجتمع الواحد والدولة "كي تضمن لمرافقها العامة اقصى مردودها يجب ان تعمل على تامين انسجامها مع الاوضاع الخاصة بالحياة المحلية وبالأدوات الاقليمية ذات المصالح

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٤؛ ينظر: ماسيون، لويس، خطط الكوفة، مطبعة العرفان، (صيدا: ١٩٣٩م)، ص٢١٠.

(٢) العريض، فكر الإمام علي (عليه السلام)، ص٣١٦.

(٣) نهج البلاغة، ص٣٨٨.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٨٨.

المشتركة"[١].

لذلك كانت نظرة الإمام علي عليه السلام الى الدولة نظرة مختلفة تماما عن نظرة زعماء القبائل فالمجتمع الكوفي (بل الإسلامي بأكمله) لم يكن مقتصرا على المسلمين العرب فهو مكون من خليط من اقوام غير متجانسة منها فئات عربية ترى نفسها حاكمة لفضلها في نشر الإسلام ضمنت حقها الاستئثار بكل الامتيازات ومنها فئات غير عربية دخلت الإسلام فرارا من الاضطهاد وبحث عن العدالة والمساواة ولكنها في ظل التعصب العربي لم تحصل على ذلك ثم ان الفئات العربية داخل بنيتها الاجتماعية غير متجانسة ايضا بسبب العصبية القبلية وتفاضل بعضها على البعض الاخر هذا بالإضافة الى عدم تجانسها ايضا مع الفئات غير العربية بسبب النظرة المتعصبة لأولئك الغير المسلمين لذلك فان الزعامات القبلية في المجتمع الكوفي ترى ان جميع امكانات الدولة وقدوتها لكونه عربيا يجب ان يكون قصرا على العرب في القيام بمصالحهم واعطائهم دون غيرهم [٢]، **"لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ وَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لِرَجُلَيْنِ: رَجُل أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُل يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ"**، على العكس من نظرة الإمام علي عليه السلام الذي يرى ان الانتماء الإسلامي اقوى وامتن من انتمائه العربي[٣]، من ذلك ان الاشعث قال له وهو على المنبر غلبتنا عليك هذه الحمراء فقال الإمام علي عليه السلام "من يعذرني من هؤلاء الضياطرة... أ أطردهم إني إن طردتهم لمن الظالمين و الله لقد سمعته يقول و الله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا"[٤].

إذ يبدو ان الإمام علي عليه السلام يرى من منظوره الإسلامي بان التجانس داخل الدولة لا يعني الانتماء الى جنس مميز على غيره، ولهذا السبب بيّن للأشعث ولغيره من زعماء القائل بان احتواءه لأولئك غير العرب لتمسكهم بالدين بمعناه الصحيح واسلوبه القويم فمقياس المواطنة كما نظن في نظر الإمام علي عليه السلام هو الأخوة في الدين مثالا على ذلك ردهُ على المرأة التي طلبت منه عليه السلام ان يفضلها في عطائها على غير العربية " قد قرأت ما بين اللوحتين فما رأيت لولد إسماعيل

---

(١) دوفاير، جاك دونديو، الدولة، عويدات، (بيروت :١٩٧٠ م)، ص٩١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ص٥٢٠.

(٣) دوفاير، الدولة، ص٩١.

(٤) ابن ابي الحديد، ج١٩، ص١٢٤، ويعني بالحمراء (العجم الموالي)، والضياطرة جمع ضيطر: الخضم الذي لا ينفع فيه ؛ حسين، حيدر، المؤسسة الاصلاحية في عهد الامام علي بن ابي طالب دراسة مقارنة (مجلة رسالة الحقوق جامعة كربلاء، ٢٠١١م)، ص١٠٢.

على ولد إسحاق عليهما السلام فضلاً ولا جناح بعوضة"[١]، اذ يمكن ان نستنتج من ذلك القول ان اندماج الاجناس في الدولة في كل متكامل هو السياج المتين الذي يحفظ كيانها ويوجد بين مواطنيها مما يعني ان التصور السياسي لمفهوم الدولة واضح على ما نظن في نظر الإمام علي عليه السلام وان لم يضعه في قالب اصطلاحي لذلك فان مفردة (دولة) [٢]، في نهج البلاغة لا تخرج في معانيها كما اوردها القاموس اللغوي من (تحول او نصرة او استيلاء او تسلط) [٣]، في قوله عليه السلام إذ ذكر ما نصه: "**مَا شَكَكْتُ فِي الحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلالِ**"[٤]، وفي نص "**وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلاَ الجَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ**"[٥]، "**فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الاَعْدَاءِ**"[٦].

وقال في عهده لمالك الاشتر "**ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَد قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْل وَجَوْر**"[٧] وذكر في موضع اخر "**أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَل، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ**"[٨] وقوله في حكم "**صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا**"[٩].

الا ان المتنعم في هذا النص يستطيع فهم ما تعنيه المفردة بمفهومها الاصطلاحي كما في

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص١٤٢.

(٢) وردت مفردة دولة في النهج بصيغة المفرد والجمع في ستة مواضع، ينظر :ص٣٩، "**وَدُوَلِ الضَّلالِ**" ص٢١٦؛ "**ولا الحائف للدول** "؛ ص٤٦١ " **قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَد قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ**"؛ ص٤٩٢ الى الحارث الهذاني "**وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ**"؛ ص٤٩٦ "**وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَل**"؛ ص٥٥٥ " **صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا**"؛ ص٤٦٨.

(٣) الزبيري، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ/)، تاج العروس (بيروت: دار الجيل، ١٩٦٥م)، ج٣، ص٣٠٤.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٩ ؛ الخزعلي، امل هندي، أسس بناء الجهاز الاداري الكفء قداءة في عهد الامام علي ن ابي طالب لمالك الاشتر، (مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١١م)، ص٣٢.

(٥) نهج البلاغة، ص١٣٠.

(٦) نهج البلاغة، ص٣٥٩.

(٧) نهج البلاغة، ص٤٥٨.

(٨) نهج البلاغة، ص٤٩٦.

(٩) نهج البلاغة، ص٥٧٣.

قوله: "**فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا...، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ**"(١)، فالدول على ما نظن تعني في السياق العلاقات الترابطية بين الحاكم والمحكوم داخل اطار معين ولكن اكثر ما ترد مفردة دولة في السياق عند الإمام علي عليه السلام بمعنى التسلط والحكم كما في قوله للأشتر حين ولاه مصر" أَنِّي قدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَد قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ"(٢).

أي سلط وحكومات مختلفة في مدد متعاقبة مع ملاحظة استخدامه لمفردة بلاد عوضا عن اقليم او دولة الا ان ذلك لا يعني التداخل بين مفهومي دولة وحكومة في نظر الإمام علي عليه السلام(٣)، فقد بينا فيما سبق مفهومه للدولة مما يحتم علينا تبيان مفهوم الحكومة عنده.

ب ــ مفهوم الحكومة في نهج البلاغة:ــ

إذا كانت الدولة "هي البنية السياسية بما لها من عادات وتقاليد وبما تقتضيه من العلاقات بين الحكام والمحكومين"(٤)، فان الحكومة هي المؤسسة التي تنظم العلاقات داخل الدولة فالدولة كيان موجود بالفعل اما الحكومة كمؤسسة موجودة بالقوة للحاجة الماسة اليها(٥).

وقد ورد مفهوم الحكومة في نهج البلاغة بما لا يختلف عن مفهومها المتعارف عليه وان ورد استخدام الإمامة في كثير منه المواضع بدلا من الحكومة بتسمية القائم بالأمر (اماما) عوضا عن تسميته (حاكما) لما في معنى الإمامة من جمع بين شؤون الدنيا والدين ولقد استوعب مفهوم الحكومة بكل مشمولاته مساحة واسعة من نظر الإمام علي عليه السلام فتحدث عن اهميتها وعن مكانة الحاكم بالنسبة للدولة وعن الصفات التي يجب ان تتوافر فيه وعن المسؤوليات المناطة بالحكومة(٦)

وأهمية الحكومة ووجوبها ومسؤولياتها كان حديثة مع الخوارج(٧)، أما عن أهمية الحاكم ومنزلته كقائد الدولة فيمثلة قوله: "**مَكَانُ الْقَيِّمِ بِالاْمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ**"(٨).

---

(١) نهج البلاغة، ص٥٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٥٨.

(٣) بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص١٧٩.

(٤) ما كيفر، تكوين الدولة، دار العلم، (بيروت: ١٩٦٦ م)، ص٥٠ ؛ حسين ، المؤسسة الاصلاحية في عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، ص١٠٨.

(٥) مقدمة ابن خلدون، ص٥٥.

(٦) جعفر، نوري، فلسفة الحكم عند الإمام، ط٢، دار المعلم، (القاهرة: ١٩٧٨ م)، ص٧٦.

(٧) صبحي أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، ص٢٦؛ قول الإمام للخوارج عن كلمة (لا حكم الا لله).

(٨) نهج البلاغة، ص٢٣١.

فمحاسبة مركز الحاكم في فكر الإمام علي عليه السلام دقيقة للغاية على اعتبار انه قلب الأمة والجامع لها ولخطورة ذلك المنصب بالنسبة لصلاح الامة فقد كان الإمام علي عليه السلام حريصا على صيانته عن كل ما يسيء فلقد عرض عليه معاوية اقراره على ولاية الشام في سبيل عدم مقاومته والتأليب على سلطته فكان رده عليه السلام "**وَحَاشَ لله أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْراً أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَد مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً**"(١).

فالتسلط في فكر الإمام علي عليه السلام لا يكسب الحاكم في تولي رقاب على المسلمين مهما بلغت قوته لان الحاكم من وجهة نظره من يستطيع امتلاك زمام نفسه وينأى بها عن شهوة الامتلاك لغاية اشباع رغبة جامحة في استعباد الناس والتصرف في حقوقهم ولن يتأتى ذلك الا ان تتوفر فيه مزايا يستطيع من خلالها مباشرة الحكم(٢).

ومن تلك المزايا يتولد الرضا عن الحكومة لان العلاقة بين الحاكم والمحكوم ليست علاقة قهر وانما هي علاقة تبادل حقوق فالحاكم على هذا الاساس مثله مثل أي فرد في الدولة وليس متميزا على احد الا بكونه يحمل من التبعات ما لا يستطيع غيره تحملها(٣).

فمن منظور الإمام علي عليه السلام الديني "**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ**"(٤).

فمسؤولية الحكومة في نظر الإمام علي عليه السلام في الحياة السياسية تكمن في امرين أساسين اقامة الحق بمفهومه الإسلامي ودفع الباطل فاذا لم تتمكن الحكومة من الوفاء بهذين الشرطين فلا قيمة لها ولا جدوى من ورائها(٥)، فيذكر عبد الله بن عباس "**... دخلت على أمير المؤمنين صلوات الله عليه بذي قار وهو يخصِف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمةَ لها! قال: والله لَهِيَ أَحَبُّ إِليَّ من إِمرتكم، إلاّ أَن أُقيم حقّاً، أَو أَدفع باطلاً**"(٦).

فإقامة الحق ودفع الباطل تعنيان في مضمونها كما نظن تنظيم العلاقات بين الافراد بأسلوب قويم ومحكم اساسه الحياة السعيدة لكل فرد من أفراد الأمة تقوم الحكومة بالتخطيط له ومن ثم

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٨٩.

(٢)عبد الهادي، عاصي، المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام، دار الأمير، (بيروت: ١٩٩٦ م)، ص٩٧.

(٣) عبدالهادي، المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام، ص٩٧.

(٤) نهج البلاغة، ص٣٤٧ ؛، ومعنى يقدروا : يقيسوا؛ ومعنى يتبيغ: يهيج به الم الفقر.

(٥) عباس، قاسم خضير، الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ص٣٠٢.

(٦) نهج البلاغة، ص٧٥.

تنفيذه وذلك الاسلوب هو ما نعنيه بالسياسة.

ج ــ مفهوم السياسة الادارية في نهج البلاغة:

تعني السياسة الإدارية بالمفهوم الاصطلاحي المنهاج او الخطة التي تتبعها الحكومة لتدبير مصالح الناس وطريقة التفاهم معهم والسياسة بمفهومها العام(١).

فهي اذن أسلوب تضعه الحكومة على اساس خطة محكمة تتفق ووضع الدولة من حيث الاقتصاد والاجتماع والامن وتتلام مع المحيط الدولي الذي توجد الدولة ضمنه(٢).

ومن الملاحظ ان مفهوم السياسة ذاك يتعلق بالشؤون الدنيوية فقط اما السياسة الادارية بالمفهوم الإسلامي فتعني ارتباطها ارتباطا وثيقا بالدين لكونها من وجهة نظر اسلامية خطة اخلاقية تقوم على "اصطلاح الخلق بإرشادهم الى الطريق المنجي في العاجل والاجل"(٣).

فهي بهذا المعنى تبع للدين تسير في خطاه وتتستتر بهدية وعلى ذلك يمكن التفريق بين المفهوم الاخلاقي وبين السياسة بالمفهوم الانتهازي المرتبط بالمصالح الذاتية لفئة معينة من الناس والمبنية في مجملها على الاحتيال والخداع والمراوغة باتخاذ الدين وسيلة لما يقارب من الدنيا(٤)، بالياس الشهوات صبغة دينية تبرر المأرب المعوجة فالدين "شيء والسياسة شيء اخر لو اريد من السياسة الغدر والنفاق والكذب والخداع"(٥).

واذا ما أردنا الدخول في فكر الإمام علي عليه السلام السياسي للحياة السياسية في ضوء ما ورد في النهج من نصوص يجب ان نضع في اعتبارنا اننا نبحث في سياسة دينية الاخلاق والمبادئ أساسها، فالنظرة المتعمقة منحت المسؤولية في نظر الإمام علي عليه السلام اتساعا لا يقتصر على العلاقات الانسانية بين الحاكم والمحكوم فحسب، بل شملت كل ما يتعلق بالإنسان في محيطة فضمن عرضه لسياسته في اوائل خلافته يقول: "**اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ**"(٦).

فالمسؤولية في السياق تعني الالتزام الذي يترتب عليه حال تركه أو إهماله المحاسبة

---

(١) رضا، احمد، معجم متن اللغة، الحياة، (بيروت: ١٩٥٨ م)، ج٣، ص٢٤٧.
(٢) عباس، قاسم خضير، الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، ص٣٠٢.
(٣) الكفوي، الكليات، ج٣، ص٣١.
(٤) القرشي، باقر، النظام السياسي في الإسلام، دار المعارف للمطبوعات، (بيروت: د.ت)، ص٦٠.
(٥) القرشي، النظام السياسي في الإسلام، ص٦٠.
(٦) نهج البلاغة، ص٢٧٠.

والعقاب، اما المجتمع فقد استوعب جزء من فكر الإمام علي عليه السلام السياسي لكونه الركن الاساس الذي تقوم عليه دعائم الدولة فبالقاء نظرة على ما ورد في خطبه ورسائله عليه السلام من وصايا انسانية سنجد ان قضايا المجتمع قد كانت شغلهُ الشاغل[1]، كما ان استخدامه بكثرة مفردات (امة، جماعة، رعية)[2]، دليل واضح على قيام سياسته على قواعد اجتماعية مرتبطة بالقاعدة المكونة من السواد الاعظم من الفقراء المعدمين، وهو كما نلاحظ يعول على تلك الطبقات ويستمد منها القوة الحقيقية لبقاء الدولة ودلالة ذلك قوله عليه السلام لمالك الاشتر حين ولاه مصر: "**إِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلأنْصَافِ... مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأمَّةِ**"[3].

لذا فقد سارت سياسته الاقتصادية الى جانب أولئك المعدمين برعاية شؤونهم وتدبير مصالحهم وعدم تمكين الفئات المتسلطة من التسلق على حسابهم فالمال مال الجميع ليس لاحد فضل فيه على أحد فحين طلب منه بعض اصحابه تفضيل بعض الزعامات القبلية واشراف قريش بالمفاضلة في العطاء قال لهم عليه السلام: "لا و الله لا أفعل ما طلعت شمس... ثم سكت طويلا واجما ثم قال: الأمر أسرع من ذلك قالها ثلاثا"[4].

فالإمام علي عليه السلام يدرك تماما انه يستطيع تحقيق النصر الشخصي في قضية الحكم بتوظيف

---

(١) جعفر، نوري، فلسفة الحكم، ص٨٧ ؛ ينظر: الخزعلي، أسس بناء الجهاز الاداري، ص٣٨.

(٢) من خلال احصائية قمنا بها في نصوص النهج وجدنا ان كلمة امة قد تكررت فيما يقارب ستة وثلاثين موضعا، ينظر: (خطبة: ٢، ١٧، ٦٦، ٧٠، ٧٣، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٧، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٠، ١٥٧، ١٦٣، تكررت مرتان، ١٧٢، ١٩١، تكررت خمسة مرات، ٢١٤، ٢٢٨، رسائل، ١٠، ١٧، ٢٦، ٤١ تكررت مرتان، ٤٥ تكررت مرتان، ٥٣ تكررت مرتان، ٧٨، حكم ٣٧٦ تكررت مرتان)، اما كلمة جماعة فقد تكررت فيما يقارب احدى عشر مرة ينظر: (خطب: ٣، ١٢١، ١٤٦، ١٧٥، ١٩١، ٢١٦، رسائل، ١٠، ٥٣ تكررت مرتان، ٧٨) وقد تكررت كلمة رعية فيما يقارب ثمان وثلاثون موضعا ينظر: (خطب: ٩٧، ٩٨، ١٥٣، ١٩١ مرتان، ٢١٥، رسائل، ٥، ١٠، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١، تكررت مرتين، ٥٣، تكررت حوالي ٢١ مرة، ٥٩، حكم، ٢٦٣ تكررت مرتان).

(٣) نهج البلاغة، ص٤٦١.

(٤) ابن ابي الحديد، ج٢، ص٢٠٣؛ فقد اورد في نص النهج "**وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ـــ بدلا من قوله عند ابن ابي الحديد :والله لا افعل...** " ثم ان الشريف الرضي لم يورد الزيادة التي اوردها ابن ابي الحديد وهي قول الإمام علي عليه السلام ثلاث مرات "الامر اسرع من ذلك" واما معنى لاح اي ظهر وبان وواسيت اي ساويت واطو ربه اي لا اقربه، ما سمر سمير اي الدهر ابد الدهر ما قام وما ما بقي وما ام نجم اي قصر وتقدم.

المال توظيفا سياسياً لكن ذلك سيكون على حساب المبادئ والقيم وشعوره بالحزن لانزلاق القيم وترديها بأسرع مما يتصوره الانسان علاوة على ما تتضمنه العبارة من ترهيب وترغيب من كتاب الخالق سبحانه، مما جعله بتشدد احاطة سياسية بسياج اخلاقي متين ليتمكن على الاقل من ابقاء نور المبادئ متقد وفي مواجهة ذلك التيار المتكالب على السلطة وجمع الثروات واقتناء الضياع والاماء والعبيد على حساب الفئات المستضعفة فمن خلال نظرة متواعضة في المصطلح السياسي في نظر الإمام علي عليه السلام سنجد ان المفاهيم الاخلاقية في تلك النماذج تكاد تتقابل بين القيم الاخلاقية وبين العيوب والسلبيات التي نجمت في المجتمع مع ملاحظة تركيزه على الجوانب السلبية مما يعني استفحال ذلك بين متسلقي السلطة في عصره وبتحول السياسة عند اولئك الى مفهوم فارغ من اية قيمة اخلاقية واستغلال الفرص للوصول الى الغاية المنشودة بأية وسيلة فالغدر والاحتيال والخيانة واشاعة الفتن ذكاء وفطنة وفهم ففي معرض المقارنة بين مفهوم الحياة السياسية عنده(١).

ومفهومها عند سياسي عصره يقول الإمام علي عليه السلام "**ايها الناس إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ**"(٢).

فالحيلة والخداع والغدر والكذب لا تعني الا هدرا للأخلاق وهدما للدين في قاموس الإمام علي عليه السلام السياسي لان مقياسه لرجل السياسة الصحيح هو الاتفاق بين ما يظهر وبين ما يبطن لأنه هو ذاته "من تماسك الشخصية بحيث لا يتناقض ابدا وهو من سلامة واحالة الفكر بحيث لا يتعارض"(٣)، لاقتران القول بالفعل في كل تصرفاته وهو القائل "**وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ عَلاَنِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدّى الاْمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ**"(٤).

فالإخلاص في القول وفي الفعل قيمتان خلقيتان مرتبطتان في نظر الإمام علي عليه السلام السياسي بالأمانة والعبادة ومن ذلك المنطلق الاخلاقي يقول عن سياسته ازاء يساسة معاوية "**وَاللهِ مَا**

---

(١) طي، محمد، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، الغدير، (بيروت : د.ت)، ص٣٢.

(٢) نهج البلاغة، ص٨٤.

(٣) جرداق، علي صوت العدالة الانسانية، ج١، ص١٦٨.

(٤) نهج البلاغة، ص٤١١.

مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَة فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَة كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

فمن ذلك نستنتج ان الإمام علي عليه السلام قد كان على دراية تامة بما يحدث على الساحة الإسلامية من ألاعيب سياسية في عصره فكان بإمكانه ان يتخذ من اساليب سياسته ما يثبت سلطته ولكنه كان "ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عز و جل رضا و ممنوع اليدين من كل بطش إلا ما هو لله رضا"[2]، للحياة السياسية.

وبالتالي فأن نظرة الإمام علي عليه السلام للحياة السياسية في نهج البلاغة تتمثل في محاولة اصلاح ما فسد في دولة الإسلام بإرجاع الحقوق الى نصابها وبناء المجتمع المثالي القائم على المؤاخاة في الله والتسامح والتعاون فكان ان خطط للمؤسسات التنفيذية في حكومته ما يمكنها من تحقيق تلك السياسية الادارية.

---

(١) نهج البلاغة، ص٣٣٥.

(٢) ابن ابي الحديد، ج١٠ ،ص٢٢٩.

المبحث الثاني

المؤسسات العليا للدولة في نهج البلاغة

من خلال قراءتنا لنصوص نهج البلاغة يمكننا القول إن الجهاز الحكومي الذي اعتمد عليه الإمام علي عليه السلام في تيسير شؤون الدولة الإسلامية يميل الى البساطة وان هذا الجهاز مبني في الاساس على قيم أخلاقية عالية تضع في الاعتبار مصلحة عامة الناس فهو جهاز اجتماعي اخلاقي مكون من:

أولاً: الخلافة :ـ

أعلى مركز سياسي ديني في الدولة الإسلامية وقد استحوذ على مساحة واسعة من فكر الإمام علي عليه السلام فتكرر مصطلحها في النهج ما يقارب من (٢٢ مرة) باسم الإمامة وتكرر ما يقارب من ٩ مرات اسم خليفة[١]، ولو راجعنا النصوص التي عالج فيها الإمام علي عليه السلام فيها مسالة الخلافة فسنجد انه قد عالجها من جوانبها جميعاً من شروط استحقاق[٢]، وطريقة انعقاد الإمامة في نظر الإمام علي عليه السلام يكون بالنص كما في قوله تعالى ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[٣]، وقول الرسول صلى الله عليه وآله "**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**"[٤]، ثم يذكر عليه السلام "أنا من رسول الله ص كالعضد من المنكب و كالذراع من العضد و كالكف من الذراع رباني صغيرا و آخاني كبيرا و لقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري و أنه أوصى إلي دون أصحابه و أهل بيته و لأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال أفعل ثم قام فصلى فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائل اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي فقلت يا رسول الله ما هذا فقال أواحد أكرم

---

(١) ينظر: بنهج البلاغة مصطلح (امامة) (خطب :٢٩، ٦٧، ١٠٥، ١١٦، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٨، ١٧٢، ١٧٩، ١٨١، ٢٠٧، رسائل: ٦، ٣٣، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٥١، حكم: ٧٣، ٢٥٤، ٣٧٣) ومصطلح (خليفة) (خطب :٤٠، ٤٦، ١٨١، ٢٠٤، تكررت ٤ مرات، حكم ١٩٠).

(٢) فقد حصد الاستحقاق عليه السلام في شرطين هي (الاقوى على الامر والاعلم بأمر الله) من خلال قوله عليه السلام "**إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ**" ينظر :ص٢١٧.

(٣) سورة الاسراء، آية:٧١

(٤) نهج البلاغة، ص١٤٠.

منك عليه فأستشفع به إليه"[١].

هذا بالإضافة الى حديث بإسهاب عن المهام المناطة بالخليفة في عدة نصوص بحسب مقتضيات مناسباتها[٢]، فمن مهام الخليفة (النظر في تدبير الجيوش والنظر في الاحكام وتقليد القضاة جباية الخراج وقيضي الصدقات وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق منهما حماية الدين والذب عن الحريم واقامة الحدود في حق الله وتسير الحجيج).

فمن أساسيات المهام عنده "**أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ، وَالْمِصْرَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجِبَايَةَ الاْرْضِ، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ**"[٣].

فالمهام المناطة بالخليفة من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام شاملة لجميع شؤون الدنيا والدين لذا يجب ان يكون متقلداً ذلك المركز قدوة لجميع أفراد المجتمع في القول والفعل فلا يتأثر بشيء دون افقر الناس ولا يقوم بما لا يرضاه لأي فرد طبقا لقوله عليه السلام "**إِنِّي، وَاللهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**"[٤].

وعلى ذلك النهج الاخلاقي تبلور فكره في اختيار ولاته لكونهم يمثلونه ويقومون مقامه في ولايات الدولة.

ثانيا:

يحتل الوالي مكانة كبيرة في حكومة الإمام علي عليه السلام ويمكن اعتباره نائب الخليفة والقائم بمهامه في ادارة شؤون ولايته ورعاية مصالح العباد فيها ولأهمية الوالي بوصفه منفذاً لسياسة الحكومة في نظر الإمام علي عليه السلام فقد تكررت كلمة والي وولاية في النهج ما يقارب من (٤٥ مرة) [٥].

ومن خلال قراءة متواضعة في تلك النصوص يمكننا ان نتحسس الاسلوب الدقيق الذي يتبعه الإمام علي عليه السلام في اختيار ولاته فمن الاوليات التي يضعها في اعتباره فيمن يرشحه للولاية "

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢١٦.

(٢) ابن ابي الحديد، ج٢٠، ص٢٦٩؛ محبوبة، مهدي، ملامح من عبقرية الإمام علي عليه السلام ، ط٢، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٧٩م)، ص٨٣.

(٣) نهج البلاغة، ص١٩٩.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٨٣.

(٥) ينظر: (خطب: ٢، ٤٣، ٥٠، ٦٨، ١٠٣٠، ٢٠٠٤، تكررت مرتان، ٢١٣ تكررت ٧ مرات، ٢١٥، رسائل:٥، ١٠، ٢٥، ٢٧، ٣٤، ٥٠، ٥٣، تكررت ١٦ مرة، حكم :٣٢٤، ٤٦٠).

اللياقة الذاتية للحكم حسب سلوكه الطبيعي والاجتماعي وحسب أيمانه العقائدي"[١].

مما يعني دراسة حالته دراسة مستفيضة من حيث مسلكة الانساني وتصرفاته الاجتماعية ومدى اخلاصه للعقيدة على ان تكون متبوعة بمراقبة دقيقة اثناء ممارسة مهام الولاية لكون الإمام علي عليه السلام يرى انه "إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مذكور في طبعه من الخير و الشر"[٢].

مما يعني في طياته أن الطبع يغلب التطبع فما دام الانسان بعيدا عن واقع العمل فقد تصدق الفراسة فيه وقد تخون خاصة اذا حاول التزيي بما ليس في طبعه اذ سرعان ما ينكشف حين يباشر ما اوكل اليه من اعمال طموحاته في الظهور لتسيق ما في دخيلته من ميول خيرة او شريرة لذا لم يرشح للولاية الا من يرتضيه لدينه[٣]، واضعا الإمام علي عليه السلام شروطا للوالي تكاد تكون نادرة الا في القليل من الرجال، لأن طبعه المثالي وحبه للإنسانية جعلاه يتوق دائما الى المثال في كل ما يتعلق بالإنسان ويمكن حصر الشروط التي يريدها الإمام علي عليه السلام في الوالي المثالي في الصفات الآتية:

الإيمان القوي التام كقوله عليه السلام في وصفه لمالك الاشتر عند توليه مصر كما جاء في كتابه الذي وجهه إلى عماله على الصدقة والذي جاء فيه ما نصه: "**فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الخَوْفِ...**"[٤]، ٢ــ الورع والنزاهة، "**وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الْاَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ**"[٥]، ٣ــ الخوف المؤدي الى محاسبة النفس على كل حقير او عظيم، "**أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرَيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِج، فَاسْمَعُوا لَهُ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ**"[٦].

٤ــ العدل بمعناه الشامل لكل الأشياء وأفراد الولاية جميعاً الفقير قبل الغني، والضعيف قبل

---

(١) محبوبة، مهدي، ملامح من عبقرية الإمام عليه السلام ، ص٨٩.

(٢) ابن ابي الحديد، ج٢٠، ص٢٦٩.

(٣) مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية الإمام، ص٨٩، ويذكر الإمام "**وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**" ينظر: ص١٤٢.

(٤) نهج البلاغة، في وصفه لمالك الاشتر، ص٤٤٠.

(٥) نهج البلاغة، في وصفه لمالك الاشتر، ص٤٤٠.

(٦) نهج البلاغة، في وصفه لمالك الاشتر، ص٤٤٠.

القوي ككتابه لعمال الصدقة "**آمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي سَرَائِرِ أُمُورِهِ وَخَفِيَّاتِ أَعْمَالِهِ، حَيْثُ لاَ شَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلاَ وَكِيلَ دُونَهُ وَآمَرَهُ أَلاَّ يَعْمَلَ بَشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيما ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ عَلاَنِيَتُهُ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدّى الأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ**"(١)، وقوله لعبد الله بن عباس واليه على البصرة "**دع النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنْ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ**"(٢).

٥ــ ثقافة واسعة تمكن الوالي من الدراية التامة بأحوال البلاد، وما در عليها وعلى مواطنيها من حكومات سابقة اتصفت بالعدل أو بالجوار لمقارنة حكمه بحكم اولئك وتلمس الطريق الاصوب والاسلم في سياسته من ذلك قوله للأشتر "**اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ**"(٣).

٦ــ الشجاعة والقوة والجرأة "**لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ**"(٤).

٧ــ الامتثال التام بأمر الخليفة في كل ما يعترضه من مهام خطيرة تتعلق بالبلاد والعباد قبل ان يتخذ راية فيها "**فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا**"(٥).

٨ــ أن يكون قدوة في القول والفعل بالنسبة لمواطني ولايته، "**أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ...**"(٦)، متبعا الصرامة بمكاشفتهم بالأمور المتعلقة بمصالحهم "**فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ... **"(٧).

إضافة إلى ذلك الحلم وسعة الصدر والتعويل على استشارة اولي الالباب في المهمات

---

(١) نهج البلاغة، ص٤١١.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٩٨.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٥٨.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٤٠، سعدون، الفكر الإداري للإمام علي في نهج البلاغة، ص١٧٦.
(٥) نهج البلاغة، ص٤٤٠، سعدون الفكر الإداري، ص١٧٨.
(٦) نهج البلاغة، ص٤٤٧.
(٧) نهج البلاغة، ص٤٦٥.

"**وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلكَ إِلاَّ بِالاْهْتِمامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ... وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الاْمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الاْمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾**"[1].

وحضور البديهة في كل مهمة والنظر في مجريات الأحداث ومعالجتها بما يتناسب والشرع ولو كان في ذلك اجحاف بالحكومة واحرار بمصالحهم الدنيوية "**إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الاْقْسَامِ**"[2].

وهو إذ يضع تلك الشروط الدقيقة فيمن يتوخاه لتحمل اعباء الولاية لانه يعتبره شريكه فيما اوكل اليه من امانة يقول لعبد الله بن عباس واليه على البصرة "فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذلكَ"[3].

والشراكة التي يقصدها الإمام علي عليه السلام تعني ان مهام الوالي في ولايته تكاد تكون نفس مهام الخليفة أي بمعنى أوضح انها ولاية اختيارية عامة[4].

حسب ما وضحه الماوردي الذي جعل اختصاص الوالي العام في سبع نقاط هي:

١ــ النظر في تدبير الجيوش.

٢ــ النظر في الأحكام وتقليد القضاة.

٣ــ جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق منهما.

٤ــ حماية الدين والذب عن الحريم.

٥ــ اقامة الحدود في حق الله.

٦ــ الإمامة في الجمع والجماعات.

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٥ سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٧١ ــ ٤٧٢.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٠٤، اربع :اي ارفق وقف عند حدود ما تعرف.

(٤) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٢٧.

٧ــ تسير الحجيج [١].

ولو عقدنا مقارنة بين ما أورده الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة عن مواصفات للوالي وبين ما أورده الماوردي في أحكامه نجد ان هناك مزقاً كبيراً النظر في العلاقات الانسانية بين الناس والستر على عيوب الرعية ما امكن "**وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا...**"[٢]، ورعاية كل طبقة بما يصلحها "**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض**"[٣].

بالإضافة الى الطريقة المثلى في السياسة تجاه العدد في وقت الحرب والسلم "**وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّ كَ لله فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكِ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً...**"[٤].

من صلح وكتابة معاهدات الى غير ذلك من شؤون تتعلق بمصلحة البلاد والعباد وهو بذلك جعل مهمة الوالي متسعة باتباع ولايته اذ يدخل ضمنها كل بيت من بيوتها وتشمل الرعاية لكل شخص بل حتى البقاع وما يدب عليها من حيوان، وعلى ذلك فان الشروط التي ارادها في شخص واليه في منتهى المثالية والندرة ولكنها هي المؤهلات لصاحبها القيام بمهام الولاية طبقا لمعاني الحق في نظر الإمام علي عليه السلام الذي يدرك تماما[٥] بان "**الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَام طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ**"[٦]، وبطبيعة الحال فان الاختصاصات الواسعة التي اوكلها الإمام علي عليه السلام لواليه حدد له واجبات لإدارة نظامه السياسي:

– رقابة الإمام علي عليه السلام السياسية الادارية على ولاته في نهج البلاغة:

مهما بلغ الولاة من الجدية والإحكام والإخلاص فإنه لا يمكن الاستمرار في السير في الطريق السليم ما لم تكن تحت إشراف الخليفة.

ولا يمكن للخليفة أو الحاكم ان يلم بكل التبعات الثقيلة الا بمعاونته من جهاز يمكن الاعتماد

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٧.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٠.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٦٢.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٧٣.
(٥) عاصي، المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام ، ص١٠٢.
(٦) نهج البلاغة، ص٤٧١.

عليه في معرفة سير أمور الدولة سيرا سليما، لذلك على ما نظن استخدام الرقابة الادارية كمؤسسة قائمة بذاتها يمكنه من خلال موظفيها معرفة سير الولاة وأصول الولايات اذ يبدو من الكثير مما ورد في النهج من النصوص انه وعن طريق اولئك الرقباء قد كشف كثيراً من الولاة واختلاساتهم[1]، وهنا واضح في كتابه عليه السلام إلى قاضيه "**بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً...**"، "**وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لَاَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الاَمْرِ، وَالسَّلَامُ**"، "**فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الاَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللهِ أَعْظَمُ**" واخر "**فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي وَأَدَاءِ الاَمَانَةِ إِلَيَّ. فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ... وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلَا الاَمَانَةَ أَدَّيْتَ...**" فكان رد ابن عباس على كتاب أمير المؤمنين عليه السلام "فقد أتاني كتابك تعظم علي ما أصبت من بيت مال البصرة و لعمري أن حقي في بيت المال أكثر مما أخذت" فقال أمير المؤمنين عليه السلام "فإن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين".

وقد بلغ من دقة أولئك المراقبين في اطلاعه حتى على فحوى الرسائل التي كانت تصل الى بعض عماله من أعدائه ومناوئيه[2].

والظاهر أن جهاز المراقبة عند الإمام علي عليه السلام لا يقتصر على مراقب واحد لكل أقليم او مؤسسة لأن ذلك احجافا بحق الوالي، اذ قد يكون ذلك المراقب ممن يحمل ضغنا او عداء لذلك المسؤول مما يجعل الحكم في حقه جائرا فقد تعدد المراقبين "**ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الاَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ الاَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ**

---

(١) ينظر: ص٣٩٢؛ وكتابه عليه السلام الى زياد بن ابيه عامله على الاهواز وفارس وكرمان، ينظر: ص٤٠٥؛ وكلام اخر الى عامله على البصرة حينئذ وهو ابن عباس، ينظر: رسالة ٤٠ــ٤١؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٣١٨.

(٢) من كتابه إلى زياد بن أبيه وخديعة معاوية له باستلحاقه بنفسه، فكتب عليه السلام اليه قائلا "**وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ...**" ينظر: نهج البلاغة، رسالة ٤٤، ص٤٤٦.

أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ"(١).

واننا نستنتج من النصوص أن الإمام علي عليه السلام قد اعتمد في اختياره للمراقبين الاداريين عدم معرفة بعضهم البعض حتى يتجنب الاتفاق في بينهم على باطل وقد اشترط مسبقا ان يكونوا من "**مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ**"(٢)، حتى اجتمع رأيهم عند ولي الأمر على اتهام مسؤول بالتقصير او الخيانة فانه "**يكتَفِيْ بِذلِكَ شَاهِداً**"(٣) لمعاقبة الجاني بما يستحق وبذلك ضمن لنا الإمام علي عليه السلام سياسة عادلة هدفها سعادة الانسان وبث الطمأنينة في النفوس.

فقد زخر نهج البلاغة بالأمثلة التي تمثل حقيقة الرقابة السياسية والتي مارسها على الولاة ومسؤولي الدولة ومن هذه الأمثلة.

١ــ حينما تحدى الإمام علي عليه السلام عما بلغه من أمر دعوة ابن حنيف واليه على البصرة الى وليمة كبيرة كي يستمال، وجه اليه الإمام كتابا شديد اللهجة جاء فيه "**أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ**"(٤).

٢ــ حين بعث الى مصقلة بن هبيرة الشيباني في عامله على اردشير خرة يحاسبه على اموال المسلمين فيقول له "**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهَكَ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلاَ تُصلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**"(٥).

٣- كتابه عليه السلام الى قثم بن العباس عامله على مكة يحدد له واجباته وضرورة أن يجعل جل همه الشعب وقضاء شؤونهم وترعيتهم والاهتمام بقضايا دينهم إذ جاء في بيانه "**أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ**

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٥٧.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٥٨.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٥٨.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٤٧.
(٥) نهج البلاغة، ص٤٤٧.

لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ"[1].

وكتاب آخر له أيضاً بعد أن تقصى عن طريق عيونه التي يبعثها الى الأمصار يستكشفوا احوال الراعي والرعية جاء في قوله الي "**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى المَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُمِّ الاسْمَاعِ، الْكُمْهِ الابْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ،...فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطِيعِ لإِمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، وَلاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً، وَالسَّلاَمُ**"[2].

٤ــ كتابه الى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان يبين له ماهية وظيفته التي هي واجب رسالي لا يجوز الخلط بينها وبين وظيفة الكد على العيال ولا يحق له عوال ان يستغل مركزه في خدمة ماربه الشخصية "**وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلاَّ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ، وَالسَّلاَمُ**"[3].

٥ــ كتابه الى زياد بن ابيه عندما كان عامله على البصرة يحذره من الخيانة ويصرح له بان هذا الامر لا يمكن ان يتهاون عنه بل سيلقى الوالي ومن يخلفونه مصيرا شديدا شانهم في ذلك شان الرعية بل "اشد بحكم موقعهم والامانة التي حملوا اياها"[4] وفي هذا يقسم الإمام على ذلك بقوله "**وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لاَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ**"[5].

٦ــ كتابه الى احد عماله يدعوه الى الرفق بالرعية والابتعاد عن القسوة حتى يحكم بما امر الله ويكسب ود الرعية بقوله "**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لاَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلاَ أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ**

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٩١.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٣٥.
(٣) نهج البلاغة، ص٣٩٥.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٠٥.
(٥) نهج البلاغة، ص٤٠٥.

التَّقْرِيبِ وَالادْنَاءِ، وَالابْعَادِ وَالاقْصَاءِ، إِنْ شَاءَ اللهُ"[1].

٧ــ عهده الى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر، فوضع له منهجاً للعمل في الرعية بالمساواة والعدل واشاعة الطمأنينة وتحقيق التقوى باجلي مصاديقها والابتعاد عن الظلم وعدم الدعون الى الدنيا "**فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ**"[2].

٨ــ حينما كتب الى احد عماله ايضا يرسم اسلوب التعامل مع الشدائد وطرق التعامل مع الرعية "**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَحْوَةَ الاثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ. فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لاَ تُغْنِي عَنْكَ إِلاَّ الشِّدَّةُ، وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالاشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَالسَّلاَمُ**"[3].

وقد حدّث به بعض عماله: استعمالي الإمام علي عليه السلام على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لي والناس حضور "انظر خراجك وجد فيه ولا تترك منه درهما واذا اردت ان تتوجه الى عملك فمر بي" فاتتيه عليه السلام فقال لي "اياك ان تضرب مسلما او يهوديا او نصرانيا في درهم خراج او تبيع دابة عمل في درهم فإنما أمرنا ان نأخذ منهم العفو"[4].

٩ــ الوثيقة الشرعية الدستورية التي سطرها الإمام علي عليه السلام الى مالك الاشتر في العهد المعروف حين ولاه مصر وقد قال الشريف الرضي عنه بانه "اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن وقد احتوى على جميع ما يحتاج اليه الوالي من الامور الاجتماعية والسياسية للرعية "[5].

يرى الإمام عليه السلام ان امارة الوالي وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعي ولا يجوز ان تمنح الا للذين لا يخضعون للرغبات والأهواء، فلا يجوز ان تمنح محاباة في الولاية فيقول الإمام علي عليه السلام في رسالته لقاضيه رفاعة بن شداد "وأعلم يا رفاعة أن هذه الإمارة امانة فمن جعلها خيانة

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٨٠.
(٢) نهج البلاغة، ص٤١٢.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٥١.
(٤) ابن ابي الحديد، ج١٧، ص٥.
(٥) رسالة ٥٣، ص٤٥٧؛ ينظر: الامين، السيد محسن، ص٢٨٩.

فعلية لعنه الله الى يوم القيامة ومن استعمل خائنا فان محمدا ﷺ بريء منه في الدنيا والاخرة "[1].

وكان عليه السلام اذا شعر من أحد أن له ميلا لذات الامارة فلا يرشحه لها لأنه قد يتخذ الحكم وسيلة لتحقيق ماربة واطماعة ولما اعلن طلحة والزبير عن رغبتها الملحة في الولاية امتنع عليه السلام عن اجابتها ونظرا لتوسع رقعة الدولة الإسلامية فقد تراكمت الواجبات الملقاة على كاهل الوالي وتعددت وقد تضمن عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر في تحديد هذه الواجبات والتي تأتي الرقابة العامة السياسية غيرها على راسها وقد اعتبر الإمام علي عليه السلام الإمارة هي حصن الحماية للمواطن من قبل الوالي وهي الامان له من الاعداء فيقول عليه السلام "اما بعد فانك فمن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واس دبه لهاة الثغر المخوف "[2].

ومما تقدم يبين لنا دقة المعايير الرقابية التي وصفها الإمام علي عليه السلام والتي ضمها خطبة في نهج البلاغة، وهذا يفسر لنا نجاح إدارة الإمام لمؤسسات الدولة وأسد به، هذا من جهة ومن جهة أخرى حرص الإمام على أن يكون الوالي دقيقاً في عمله سوى أكان عمله الإداري أم السياسي والعسكري. ولقد ركز الإمام على كافة الصفات التي يجب ان يتحلى بها الوالي ولم يهمل لا صغيرة ولا كبيرة فنجده على المتابعة لولاته ليجسد تعاليم القرآن والسنة وبالتالي فقد مثل عصره عليه السلام الحكومة المثالية التي نص عليها القرآن الكريم...

(١) الناصري، محمد، نظام الولايات في الدولة الإسلامية، ص٤٧.

(٢) الناصري، نظام الولايات في الدولة الإسلامية، ص٤٧. (بيروت: دار صادر، د. ت).

المبحث الثالث

الجهاز الإداري في نهج البلاغة

أولاً :

الوزير لغة هو المساعد والمعين كما جاء في القرآن الكريم ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي**﴾[1]، أي معينا ومساعدا.

ويضع الإمام علي عليه السلام الوزير في مرتبة المستشار الذي لا تتعدى صلاحياته الاستشارة وياتي في مرتبته دون الوالي ويستدل على ذلك من قوله لمالك الاشتر ما نصه: "**ان شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلاْشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً**"[2].

مما يعني ضمنيا تفويض الإمام علي عليه السلام للوالي أمر اختيار المستشارين والوزراء الذين يعول على آرائهم وحكومتهم وقد وردت مفردة (وزير) ومشتقاتها كمصطلح سياسي في النهج مرات متعددة وتدل في معظم سياقاتها على ان اهمية الوزير تأتي دون اهمية الوالي ولا تتعدى صلاحياته وصلاحيات المستشار سوى النصح وابداء الرأي اذا طلب منه من ذلك قوله عليه السلام للناس لما ارادوا مبايعته على الخلافة بعد مقتل عثمان "**وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أميراً**"[3]، أي معاونا ومستشارا لكم بالآراء التي تصلحكم في امور دينكم ودنياكم كما كنت في ايام الخلفاء السابقين مع ملاحظة ان مصطلح وزير بمعنى انسيابه العامة والمكانة المدموقة قد ورد في النهج في موضع واحد على لسان الرسول صلى الله عليه وآله في شخص الإمام علي عليه السلام بقوله "**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلكِنَّكَ وَزِير**"[4].

أي في شراكتك إياي في المعاونة والقوة وتثبيت دعائم الدين أما الشروط التي يجب ان تتوافر في المستشار أو الوزير كما حددها الإمام علي عليه السلام فهي: ــ

ان لا يكون بخيلا أو جبانا أو حريصا لأن "**الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا**

---

(١) سورة طه: الآية: ٢٩.
(٢) نهج البلاغة، ص ٤٥٧.
(٣) نهج البلاغة، ص ١٤٢.
(٤) نهج البلاغة، ص٣٨٨.

سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ"[1].

أن يكون ذا ماض مشرف ونظيف، ولم يشارك الأشرار في حكومات سابقة حتى ولو كان مؤهلا لذلك المنصب "**شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً**"[2].

أن يكون شديدا في أمر الله لا ينافق في الحق، ولا يعرف سواه طريقا "**أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَ آثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً**"[3].

ثانياً :

من خلال قراءتنا في نصوص النهج المتعلقة بالجند والحرب نجد أن الإمام علي عليه السلام قد اعطى المؤسسة العسكرية من الأهمية ما يضعها على رأس الطبقات التي يوصى عماله بها خيرا يقول الإمام عليه السلام لمالك الاشتر "**فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الاْمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ**"[4].

فالجند في نظر الإمام علي عليه السلام البناء والسلام والجهاد والوسيلة على الاستقرار والأمن، مما يعني ان لهم مؤسستهم الخاصة القائمة بذاتها التي عادة ما تكون تحت إشراف الوالي المباشر ومن اهم الشروط التي يجب ان تتوفر لها كي تقوم بتأدية واجبها على اسس اخلاقية متينة منها:

أن يكون الانخراط فيها تطوعيا، لأنها مؤسسة ذات طابع اخلاقي هدفها الاسمى تثبيت القيم وازهاق الباطل ويجدر بالمتطوع اليها ان يكون مؤمنا بذلك وان تكون المادة عنصرا ثانويا بالنسبة اليه لان الجهاد بمعناه العقائدي يكون بقوة الايمان بالقيم التي تدفع الانسان الى الاستشهاد في سبيلها لذلك وردت جميع الخطب الداعية الى الجهاد في النهج خالية من أية اغراءات مادية دنيوية[5].

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٥٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٥٧.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٥٧.

(٥) العريض، فكر الإمام علي بن ابي طالب، ص٣٣٦؛ الآصفي، محمد مهدي، الثقافة القيادية والإدارية في الإسلام، (النجف الأشرف، مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام ، ٢٠٠٧م)، ص٣٠.

أن يكون الترابط بين الجنود وقادتهم محكما، لذلك عول الإمام علي عليه السلام على قاعدة في اختيار قادة الجيوش قوامها الكفاءة القتالية المقرونة بالأخلاق العالية، يقول عليه السلام لمالك الأشتر "**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ**"[1]، ذلك من الناحية الاخلاقية.

اما اختيار القادة من حيث الخيرة فيبلورها نظر الإمام علي عليه السلام في ذوي النسب والشرف والمجد من الشجعان الكرام "**ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ**"[2].

الذين لا يبطرهم المركز لكونه لا يرفع من منزلتهم ولا يزيدهم شرفا، وكما نلاحظ ان الخبرة والاخلاق عنصران متلازمان ومتداخلان عنده بحيث يصعب الفصل بينهما.

أن تكون العلاقة بين قادة الجند وجندهم علاقة انسانية تحكمها الرأفة والعطف والحب بعيدة عن روح التسلط فافضل أداة الجند عند الإمام علي عليه السلام "**وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ**"[3].

إن انخراط الجندي الطوعي في الجيش لا يعني حرمانه من المادة فقد يتبادر الى الذهن ان الإمام علي عليه السلام لم يكن يضع للمادة أي اعتبار او أي أثر في اصلاح الجند، ولكن الذي نقرأ في النهج ذلك، فالإمام علي عليه السلام لم يقتصر الدخول في الجيش على العمل المجائي بل جعل التطوع في المقام الأول لكونه واجبا دينيا يحتم على كل مسلم قادر مباشرته اذا دعت الحاجه الا انه في نفس الوقت قد وضع للمادة اعتبارها وتأثيرها في الروح القتالية بالنسبة للجند فهو يرى ان اعطاءهم " مَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ"[4].

يجعلهم يدركون أن من ورائهم حكومة تتفقد امورهم الدنيوية بما يكفل لهم ولأولادهم ونساءهم وعجزتهم الحياة الكريمة، فيكون في ذلك اخلاصهم فيما كلفوا به من قتال في وقت الحرب وتفانيهم في بث الطمأنينة واشاعة الامن بين الناس وقت السلم حيث "**وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ**

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٥٧، الآصفي، الثقافة القيادية والإدارية في الإسلام، ص٣١.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٤٥.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٥٧.

الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ أُمُورِهِمْ"(١).

٦ــ ثم انه لما كان للحوافز المادية اثرها الفعال في اخلاص الجند فقد جعل لها الإمام علي عليه السلام مكانة في فكره العسكري بوصيته لولاته وامراء جنده "**فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُوالْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِىء مِنْهُمْ مَا أَبْلَى**"(٢).

مع تجنب المحاباة على أساس المكانة والنسب مال تقسيم مثل الحوافز "**وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىء إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَضَعَةُ امْرِىء إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيماً**"(٣).

هذا بالنسبة لتكوين الجيش في فكر الإمام عليه السلام، اما سياسته العسكرية فيمكن حصرها في اربعة نقاط أساسية:

١ــ علاقة الخليفة بأمراء الجيوش. ٢ــ علاقة أمراء الجيوش بالجند. ٣ــ العيون. ٤ــ الصفات التي ينبغي للجندي ان يتحلى بها.

١ــ علاقة الخليفة بأمراء الجيوش :ــ

إن علاقة ولي الأمر أو الخليفة بقادة الجند تنبني على تبادل الحقوق في نظر الإمام علي عليه السلام الذي يرى ان من حق القادة الاطلاع على جميع اسرار الدولة العسكرية والامنية الا فيما يختص بحرب او يتعلق بحكم من الضروري كتمانه حتى صونه، كما ان على الخليفة او من يقوم مقامه ان لا يفضل قائدا على آخر في رتبته الا بما يمتاز به بلاء ويلتزم ايضا باداء جميع حقوقهم المالية والقانونية فاذا ما استوفوا كل ذلك فمن حق الخليفة ليهم "**الطَّاعَةُ، وَأَن لاَّ يَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَة، وَلاَ يفَرِّطُوا فِي صَلاَح، وَأَنْ يخُوضوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ**"(٤).

علاقة أمراء الجيوش بالجند: ــ

من واجب أمير الجيش في نظر الإمام علي عليه السلام أن يراعي راحة جنده ولا يرهقهم بالقيادة

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٤.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٤، الآصفي، الثقافة القيادية والإدارية في الإسلام، ص٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٥٤.

بمجهودات شاقة تحول بينهم وبين تأدية الواجب على أتم وجه ففي اثناء مسيرهم نحو معركة ما او لإخماد فتنة في اقليم ما يجب عليه ان يختار الأوقات المناسبة، ففي وصيته لاحد امراء جيوشه يقول "**وَلاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ، غَوِّرْ بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ، وَلاَ تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ**"(١).

فالراحة البدنية والترويح عن الجنود تجعلهم في حالة نفسية مرتفعة أثناء الحرب، ولكن ليس معنى ذلك استخدام الليونة التي تؤدي بالجندي الى انتهاك على ملذات الدنيا ومن ثم الانهيار فالإمام علي عليه السلام يرى ان من مميزات رجل الحرب ان يتحمل خشونة العيش وصعوبة الحياة(٢)، يقول الإمام عليه السلام: "**... أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدىً، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ! وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الاْقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ**".

والتعود على البعد عن الأهل فكان اذا شيع جيشا لحرب او حشر جندا في معسكر استعدادا لحرب يوصيهم من ضمن نصائحه بقوله: "**اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ**"(٣).

اذن فراحة الجنود التي يرمي الإمام علي عليه السلام إليها هي الاطمئنان النفسي والراحة الجسدية المبنيان على الرائفة والرحمة بجانب عدم التهالك على الشهوات المادية تهالكا يؤدي بالجندي الى الانهيار(٤).

وعن علاقة القائد بجنده حين ملاقاة العدو يرى الإمام علي عليه السلام ان من واجبه ان ينظم صفوفه باتخاذه الموقف الوسط من جنده ويضبط نفسه ويكبح جماح حماسه باستخدام العقل فلا

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٠٠؛ ومعنى (سر) البر دين اي وقت برودة الارض والهواء من صر النهار بمعنى ان السير يكون اما في الصباح او في العصر ومعنى (غَوِّرْ بالناس أي انزلْ بهم وقت القائلة في منتصف النهار حين يشتد الحر. ومعنى (رفّه: هوّن ولا تتعب نفسك ولا دابتك) ؛و (ينبطح السّحَر: ينبسط، مجاز عن استحكام الوقت بعد مضي مدة منه وبقاء مدة منه).

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ص٤٤٩.

(٣) نهج البلاغة، ص٥٥٩، ومعناها كما يقول الشريف الرضي اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهن وامتنعوا عن المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح في معاقد العزيمة.

(٤) العريض، ف كر الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ص٣٤١.

يدنوا من عدوه كما هو واضح في كتابه الى معقل بن قيس حين ارسله الى الشام "**وَلاَ تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلاَ تَبَاعَدْ منهم تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**"[1].

اما اذا اضطره العدو لذلك فمن "واجبه ايثارا للسلم" وحفاظا على الارواح ان يدعوهم لما فيه خير وامن البلاد والعباد ولا يلجأ الى الحرب الابعد ان يستنفذ كل ما لديه من أعذار سلمية[2]، قوله عليه السلام: "**وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالاْعْذَارِ إِلَيْهِمْ**" نهج البلاغة.

لأن سلامة أرواح الناس عند الإمام علي عليه السلام فوق كل اعتبار ما لم يتعارض ذلك مع الغاية النبيلة المتمثلة في إحقاق الحق وتقربة دعائم الدين فالقائد بالنسبة كجنوده اب رحيم[3]، يذكر عليه السلام لمالك الاشتر :"**أَنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ... وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ**"، وبالنسبة لأعدائه داعية سلام اما الحرب فهي العلاج الاخير.

العيون والطلائع:

نعني بالعيون هنا (المخابرات العسكرية) والتي تعتبر من اهم الدعائم التي اعتمدتها الدول لحفظ أمنها منذ اقدم العصور[4]، اذ عن طريقها تعرف تحركات العدو وما يمتلكه من سلاح وعتاد ومواضع الضعف والقوة في دفاعته ورسم الخطط والخطط المضادة لهجوماته المباغته لذلك فقد اهتم بها الإمام علي عليه السلام اهتماما عظيما وجعلها ضمن مخططات مؤسسته العسكرية فقد كانت له عيون بالشام ترصد له تحركات معاوية[5]، كما كانت له بعض العيون في جيش معاوية بصفين[6].

هذا بالإضافة الى الطلائع التي كان يرسلها الإمام عليه السلام في مقدمة جيوشه فالطلائع في اللغة تعني الفرق الاولى التي تكون في المقدمة ؛والطليعة من الجيش هو اول ما يطلع على العدو لذلك

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٠٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ص٤٠٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، ص٤٦٤.

(٤)الاطلاع على قدم انشطة الاستخبارات العسكرية، ينظر: مناصرة، عبد الله، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، (بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٧م)، ص١٥.

(٥) وخير دليل على ذلك ان الإمام علي عليه السلام كان يعرف ما يدور في الشام وما يفعله معاوية، ينظر؛ ينظر: نهج البلاغة، ص٣٢، ٣٧، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٦٤، ٦٥، ٧٣، ٧٥.

(٦) ابن مزاحم، صفين، ص٤٦٨.

يذكرها الإمام علي عليه السلام ضمن وصيته لجيش من جيوشه "**وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَومِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ**"(١)، يقول الإمام علي عليه السلام في هذا النص "**فَإِذَا نزَلْتُمْ بِعَدُوّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الاْشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الاْنْهَارِ، كَيْما يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، وَدُونَكُمْ مَرَدّاً، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْه وَاحِد أَوِ اثْنَيْنِ، واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَة أَوْ أَمْن وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَومِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً**" ؛ان نقلي لهذا النص بأكمله وذلك لما يحويه من نصائح عسكرية جليلة ومهمة، وذلك يعني ان الإمام علي عليه السلام كان على علم واسع بالشؤون العسكرية التي يعتبرها من الركائز الاولى لاستقامة الحياة السياسية للدولة.

فعمل العيون لم يقصرها الإمام علي عليه السلام على الناحية العسكرية دون غيرها من النواحي الأمنية الأخرى ففي كتاب له عليه السلام لقثم بن العباس(٢)، واليه على مكة يقول عليه السلام "**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى المَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ**"(٣).

لكن الإمام علي عليه السلام لم يحاول استخدام هذه العيون للقمع على الاطلاق لأنه كان يستنكف الاساءة لأي انسان في سبيل توطيد سلطته فهو كقائد يتحلى بروح الفروسية في انبل معانيها ويجد ان "ألم الناس من سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جائر"(٤).

الصفات التي يجب ان يتحلى بها الجندي في نهج البلاغة:

مما ذكر عن الإمام علي عليه السلام من توجهات ونصائح كان يزود جنده بها اثناء توجههم الى أية معركة يمكننا التعرف على صفات الجندي المثالي عنده عليه السلام.

فالإمام علي عليه السلام كما عرفنا لم يبدأ بحرب قط(٥)، فالقتال من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام هو الحل الأخير الذي يلجأ اليه مضطرا بعد أن تنفذ كل جهوده السلمية ؛ لأنه إماما مصلحا لا

---

(١) نهج البلاغة، ص٣٩٩.

(٢) ثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله استعمله الإمام علي عليه السلام واليا على مكة فلم يزل واليا عليها حتى قتل الإمام علي عليه السلام سار ايام معاوية الى سمر قند فمات بها شهيدا؛ ينظر :ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص٩٢.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٣٥.

(٤) ابن ابي الحديد، ج٢٠، ص٣٠٣.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، ص٩٤.

مسلطا يسعى الى الحكم بأية وسيلة ؛كما في قوله " **فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ** ﷺ"، "ولم يقاتل يوما من اهل القبلة فمن خالفه حتى يدعوهم"[١]، الى الاحتكام للعقل لذلك فقد أراد لجنده ان يقتدوا به ويأخذوا بنهجه في ضبط نفوسهم وتحكيم عقولهم ولا يبادروا بمقاتلة اعدائهم الا اذا بدأواهم بذلك وينطلق من نظرته تلك على اعتبار ان في بدء القتال عدوانا واستصغارا للقيم وانهزاما داخليا للنفس المعتدية يؤدي بها الى الانهيار كما جاء في نصحه لابنه الإمام الحسن عليه السلام قوله "**لاَ تَدعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَة، وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ، وَالبَاغِيَ مَصْرُوعٌ**"[٢]، لاعتداد شجاعته وقوته دون ارتكازه على قاعدة خلقية يؤدي به الى الغرور فتكون هزيمته حتمية.

أما اذا اضطر الجند الدخول في مواجهة حتمية مع العدو ضمن واجب كل جندي ان يعرف موقعه ويلتزم بتوجهات قيادته ليدفع عن نفسه الهلاك ويحقق النصر فقيل تشوب آية معركة يجب على جميع المقاتلين ان يلتزموا بقاعدة عسكرية فحواها تقدم اصحاب الدروع من الجند[٣].

وتأخر المحاصرين من ليس لديهم ما يدرأ عنهم حرب السيوف وطعن الرماح "**فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الاْضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ**"[٤].

هذا من ناحية التحرك العسكري في مواجهة العدو اثناء احترام القتال فيرى الإمام علي عليه السلام انه من الأحرى بالجند اثناء التحامهم بالأعداء ان يعضوا على أضراسهم بشدة "**وَعَضُّوا عَلَى الاْضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ**"[٥]، وقد ورد ضمنها نصائح عسكرية اخرى تتعلق بالرايات وكيفية حملها ومن هو المؤهل لتلك المهمة الخطيرة والصعبة كما جاء في نص قوله عليه السلام "**ورَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا وَلاَ تُخِلُّوهَا، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حفَافَيْهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا، لاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا**".

كي تمنح تلك العملية رؤوسهم صلابة وقوة قد تحول دون سيوف الأعداء ثم أن العض على

---

(١) ابو يوسف، كتاب الخراج، ص٢١٤.

(٢) نهج البلاغة، ص٥٤٨.

(٣) مناصرة، الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ص١٦-١٧.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٠٨.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، ص٢٠٨.

الأضراس يزيد من شدة المقاتل في الضرب، لما لتلك العملية من تأثير نفسي وجسمي في حشد القوة لمواجهة الصعوبات والتغلب عليها بإصرار ويجب على الجند ان يتحاشوا رماح الاعداء اثناء اشتجارها بيقظة وانتباه واستخدام لياقتهم البدنية للانعطاف عن اسنتها في خفة وحذق يجنبهم اصابتها(١).

ومن عوامل النصر من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام العامل النفسي المتمثل في طرد الخوف والاقبال على القتال بقلوب قوية وعزيمة صادقة لذلك فمن الاجدى للجنود اثناء احترام القتال غض ابصارهم عما تهرق من دماء وتزهق من ارواح "**وَغُضُّوا الأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ**"(٢).

ولم كان تعاون الجند فيما بينهم من أهم عوامل النصر، فلقد ركز عليه الإمام علي عليه السلام واضعا نصب عينيه احتمال أن يصاب الجندي بانهيار نفسي اثناء مشاهدته الموت من حوله وفي مثل هذه المواقف يجب على أخيه الجندي أن يقف بجانبه ويشد أزره ليمنحه الاحساس بالاطمئنان فيكون ذلك دافعا له على مواصلة القتال وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام "**وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ**"(٣).

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى الجند بها من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام ألتزام اخلاق الفرسان بتجنبهم كل ما يحط من القيمة الأخلاقية أثناء المعركة وبعد ان تحسم لصالحهم ويمثل ذلك قوله "**اذا قاتلتموهم فلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح واذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من اموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، وصلحاءكم**"(٤).

فالحياة السياسية العسكرية عند الإمام علي عليه السلام بشقيها الاداري والتربوي مع الاخلاق المتمثله في الايمان بالقيم والتعاون والبناء والأخذ بالأساليب الإنسانية في مواجهة الاعداء لان خبرته العسكرية وشجاعته "هما بمنزلة التعبير عن الفكر أو بمثابة العمل من الإدارة لأن محورها الدفاع عن طبع في الحق وإيمان بالخير"، "**لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ،**

---

(١) "**وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ**" ينظر: نهج البلاغة، ص٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة، ص٢٠٨.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٠٣.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٠٣.

وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالاَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ"[1]، تبين لنا مما تقدم أن السياسة العسكرية التي اتبعها الإمام عليه السلام كانت مثالية لدرجة أنه أعطى لهذه الفئة من الأهميّة ما لم يعطها لغيره، لأنه كان يرى بأن المؤسسة العسكرية والقائمون عليها هم عماد الدولة وسدها المنيع لذلك فأنه فصل من خلال خطبه كل مايتعلق بمواصفات القائد والجندي ولم يترك حتى أقل التفاصيل إلا وذكرها حرصاً منه على سلامة هذه المؤسسة من الدخلاء خاصة وان المرحلة التي فعلت خلافة كانت مليئة بالمتناقضات بالإضافة إلى عوامل كثيرة تتعلق بالإغراءات المادية التي حاول الأمويون من خلالها استمالة قادة معسكر الإمام.

القضاء في نهج البلاغة

كان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرون القضاء بأنفسهم[2]، ويرجع ذلك الى الاهمية التي اولاها الإسلام له واسوة بالنبي صلى الله عليه وآله الذي كان يقضي بين المسلمين في المدينة بنفسه ويرسل من يتولى عنه المستضعفين من صحابته للقضاء بين الناس في الولايات البعيدة ومن اولئك الذين اعتمد عليهم صلى الله عليه وآله في القضاء "علي بن ابي طالب عليه السلام وهو من اجل القضاة "[3]، وقد اهتم الإمام علي عليه السلام بالقضاء في دولته لسببين الاول لمكانة كمنصب ديني يهم الناس كافة في الخصومات واخذ الحق للمظلوم ودرع الظالم واقامة الحدود بما يتطابق واحكام القران والسنة النبوية[4].

أما السبب الثاني القضاء بنفسه على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وعهد الخلفاء من بعده وتمرسه في ذلك جعله على دراية تامة وخبايا تلك الوظيفة الحساسة، وما تحتاجه من علم وخبرة وسعة اطلاع في طبائع البشر لمعرفة ألاعيب المحتالين الى غير ذلك من أمور يحتاجها القاضي اثناء مزاولته القضاء فمن خلال تجربته في مباشرة ذلك المنصب يقول الإمام علي عليه السلام "لو يعلم الناس ما في

---

(١) معنى الفِهْر ــ بالكسر ــ: الحجر على مقدار ما يدق به الجوز أو يملا الكف واما الهِرَاوَة ــ بالكسر ــ: العصا أو شبه. ينظر: نهج البلاغة، ص٤٠١ ــ٤٠٢، التستري، محمد تقي، قضاء أميرالمؤمنين عليه السلام، ط١٠، (بيروت: الأعلمي، ١٩٨٣م)، ص٢١٤.

(٢) جرداق، علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية، ج١، ص٨٠.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٧٥.

(٤) جرداق، علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية، ج١، ص٨٠ ــ٨١.

القضاء ما قضوا في ثمن بعدة ولكن لا بد للناس من القضاء"[١].

لذلك يرى الإمام علي عليه السلام ان على القاضي ان يتحرى الحق وان يحكم بالعدل دون أي التباس لأن القاضي الجائر والقاضي المخطئ وان كانت نيته العدل كلاهما في النار من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام[٢].

ويبدو أن الاغراءات المادية والسعي وراء الشهرة في صدر الإسلام أدى بكثير من الناس الى الجري وراء ذلك المنصب مما جعل الإمام علي عليه السلام يحمل حملة شعواء على مثل اولئك المتطفلين على الوظيفة، وقد ورد ذلك في نصين في النهج: **الأول** منهما يبين خطورة القاضي الجاهل بعلم القضاء وما ينجر عن جهله من كوارث على الناس جاء في طاقته "**جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهلات، عَاش رَكَّابُ عَشوَات، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْس قَاطِع...، لاَ يَحْسَبُ العِلْمَ في شيْء مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَ يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ منه مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ الدِّمَاءُ، وَتَعَجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ**"[٣].

أما النص الثاني فيتمثل في اختلاف فتايا القضاة في قضية واحدة بعينها بحيث يحكم فيها كل قاض بخلاف وحكم الاخر ثم يجتمعون عند من "**اسْتَقْضَاهُم، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلهُهُمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ ــ سُبْحَانَهُ ــ بِالاخْتِلاَفِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ**"[٤].

لذلك وضع شروطاً شاملةً ودقيقة فيمن يصلح لتولي ذلك المنصب المهم فيها شروط اخلاقية وثقافية ونفسية فالشروط الاخلاقية وحصرها في وجوب كون القاضي م من افضل الرعية عند ولي الأمر أخلاقا[٥]، وتتجلى هذه الاخلاق في الصبر والتاني والثبات فلا[٦] في مجلس القضاء وان لا يكون اعسر الخلق لجوجا حتى يمكنه تجنب استخدام اساليب الضغط اثناء طلبه من احد

---

(١) وكيع، محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، أخبار القضاة، (بيروت: عالم الكتب، د. ت) ج١، ص٥ ــ ٢١؛ نهج البلاغة ص٥٠، التستري، محمد تقي، قضاء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٣م)، ص٢٠٢.

(٢) وكيع، اخبار القضاة، ج١، ص١٨.

(٣) معنى تعج يرتفع صوتها مولولة ويقول محمد عبده ان صراخ الدماء وعج المواريث تمثل لحدة الظلم وشدة الجور؛ ينظر: نهج البلاغة، ص٥١؛ هامش ٧، ص٥٢؛ التستري، قضاء أميرالمؤمنين، ص٢١٦.

(٤) نهج البلاغة، ص٥٣.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٦٥.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٦٥.

المتخاصمين الادلاء بحجته فهو الخصيصة الاخلاقية[١].

واذا مازل على احد المتخاصمين وشعر بذلك فمن الواجب عليه ان يراجع نفسه فلا "**يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ**"[٢] واذا ما اخطا واستبان فلا يصر عليه[٣].

أما الشروط الثقافية بالإضافة الى تجد القاضي في الشريعة الإسلامية يجب ان يكون مزودا بثقافة موسوعية عامة فلا يقصر نظره في قضايا الناس على ما يستبين له من براهين لاول وهلة يجب ان يستقصي في دراسته لتلك البراهين على الادلة الشرعية بل يجب ان يستقصي في دراسته لتلك البراهين كل الادلة الشرعية الناتجة عنها "**فلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقصَاهُ**"[٤].

وقد تثبته في الشبهات ولا يبت في حكم الا بعد ان يطمئن الى عدالته "**وأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ**"[٥].

ثم انه يجب ان يكون ممن يعتمد في قضائه على سماع جميعاً اقوال المتخاصمين ويزنها بميزان العدل بإرجاعها الى الأصول المعتبرة ومقارنتها بمثيلاتها ومن ثم يصدر حكمه بناء على قوة الحجج لا من حيث الجدال وقوة الأسلوب ولكن من حيث قوة المنطق ومطابقته للحق "**وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الاْمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ**"[٦].

فالإمام علي عليه السلام حين يضع لمنصب القضاء تلك الشروط المثاليه فهو على وعي تام بان الحصول على مثل أولئك الرجال قليل "أُولئِكَ قَلِيلٌ"[٧]، ولكن قلتهم لا تمنع من البحث عنهم بين الناس لحاجة المجتمع اليهم الا انه في الوقت نفسه واحترازا من الوقوع في الخطأ واطمئنانا على حقوق الناس أوجب على ولي الأمر مراقبة القضاة ومراجعة أحكامهم من حين إلى آخر "**ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ**

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٥.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٦٦.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٦٦.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٦٦.
(٥) نهج البلاغة، ص٤٦٦؛ التستري، قضاء أميرالمؤمنين عليه السلام، ص٢١٧.
(٦) نهج البلاغة، ص٤٦٦.
(٧) نهج البلاغة، ص٤٦٦؛ كاظم، سعيد جعفر، دولة الإمام علي عليه السلام نظامها السياسي والإدارية، (بيروت: دار العلوم، ٢٠١٢م)، ص٣٠٣.

الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ"[1]، فهذا الاكتفاء يجنب القضاة الانزلاق في هاوية الحاجة بقبول الرشاوي والاغراءات المادية.

ولاستقلالية القضاء مكانه عالية في نظر الإمام علي عليه السلام لأنه كما نظن يرى ابعاد القاضي من أي ضغط من شأنه الزيادة في نزاهة الحكم او بأية وسيلة اخرى وحتى يكون حكم القضاة نافذا في كل الاوقات وعلى جميع الناس فقد اوصى عليه السلام اولياء الامور ممن يوكل اليهم اختيار القضاة ان يكون اصحاب تلك المناصب تحت اشرافهم المباشر "**وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلَكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الاَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا**"[2].

ــ العمال في نهج البلاغة:

نعني بالعمال اولئك الذين يباشرون جمع الزكاة وجباية الخراج وعمال الصدقات ومراقبة الاسواق وقد اهتم الفرس قبل الإسلام بالخراج فوضعوا له الديون بعد ان مسحوا الارض واحصوا الانفس وعرفوا ما يمكن جبايته من كل فرد[3]، وقد خصصوا رجالا ذوي كفاءة لجمع الضرائب واشترطوا فيهم الرأفة بالعباد والامانة للمحافظة على ما يجبون من اموال[4].

ولما فتح المسلمون فارس اقتبسوا ذلك النظام من الفرس[5]، فوضعوا على كل ارض ما يناسبها من خراج وعلى كل انسان لا يرغب في الدخول في الإسلام ان يدفع مقدارا معينا من المال اطلق عليه (جزية) وقد أوكلت جباية الاموال في بدايتها الى الولاة وتقديراتهم[6].

ومن ثم اختص بها موظفون خاصون تحت إشراف الخليفة او الوالي اقتداء بعمل الرسول صلى الله عليه وآله، ولعمال الخراج وعمال الصدقات وغيرهم من مراقبي الأسواق اهمية كبيرة في نظر الإمام علي عليه السلام لاتصالهم المباشر بالناس على مختلف طبقاتهم هذا بالإضافة إلى اطلاعه الواسع في احوال الفرس والنظام المالي عندهم واساليبهم في فرض الضرائب وذلك عن طريق احتكاكه

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٦.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٧.

(٣) الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص٤.

(٤) الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص٤.

(٥) دانيل دينيت، الجزية في الإسلام، (بيروت: دار الحياة، د. ت)، ص٤٥.

(٦) يذكر ابن ابي الحديد ان عمر بن الخطاب جعل ابا هريرة عاملا على هجر واليمامة واقاصي البحرين بالإضافة الى جباية اموالها وكذلك كان استعماله لعمرو بن العاص على مصر، ينظر :شرح النهج، ج٢، ص٤٢ ــ٤٣.

بهم[1]، بمجالسته اياهم في مجتمع الكوفة فأضاف ذلك لافداء ثريا الى زاده الثقافي العميق الذي اكتسبه من الإسلام بمعاشرته الروحية للنبي ﷺ، قال عليه السلام: «**ثم أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة فأنهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فأنهم أكرم اخلاقاً وأصح أعراضاً**»[2].

خاصة وان الإمام علي عليه السلام قد كان يوحي ولاته بدراسة ما في الامم التي يتولون رعايتها وما حدث عليها من عدل او جور في ظل الحكومات المتعاقبة عليها[3]، حتى يتسنى لهم تفادي سخط الناس مما يعني انه كان يعمل بذلك وعليه فان عمله الواسع بشرائع الإسلام واستلهامه احوال الماضين من خلال قصص القران الكريم وعبره منحه كل ذلك زادا فكريا في معرفة احوال الناس وطبائعهم وطرق التعامل معهم فاتاح له بذلك اختطاط سياسة ترتكز على التعامل مع الجميع على اسس انسانية عمادها الاخلاق فكان اختياره للعمال نابعا من تلك الاسس الايمانية والاقناع الفكري حين وضع شروط اختيارهم وصفاتهم وكيفية التعامل معهم لانهم كما يقول الإمام علي عليه السلام "**خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاَءُ الأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ**"[4].

واهم المميزات التي يجب ان يتحلى بها هؤلاك الرجال في هذا الجهاز المالي الدقيق في نهج البلاغة هي الاعتماد على النزاهة في تعيين افراده بالابتعاد عن المحاياة والوساطة "**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً**"[5]، مع تجنب الاستجابة لأي فرد يلح على العمل في هذا الجهاز لان من يتهالك في الحصول على مثل هذه الوظيفة دون غيرها في نظر الإمام علي عليه السلام "**فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ**"[6]، ومحاولة الثراء على حساب الامة لذلك لا يصلح لمثل هذه الاعمال الا "**أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإسلام الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ**

---

(١) لاستعماله ﷺ خالد بن سعيد عاملا على صدقات اليمن وقبل على صدقات مزجع، ينظر :ابن الاثير، اسد الغابة، ج٢، ص٩٨.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٨.

(٣) "**ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ...**"، ينظر: نهج البلاغة، ص ٥٣

(٤) نهج البلاغة، ص٤٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٥٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٦٦.

فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً"[1].

لان ارتواء نفوسهم وعمق تجربتهم ورسوخ اقدامهم في الإسلام كل ذلك يجعلهم على فهم واسع لطبيعة الناس الّذين سيتعاملون معهم بالإضافة الى ان التدين وطيب العنصر ومتانة الاخلاق من المزايا التي تردع صاحبها عن قبول الرشوة والتعامي عن الحق والجور على الناس[2].

اما الكيفية التي يجب على ولي الامر التعامل بها مع اولئك الموظفين فأنها تتمثل كما يراه الإمام علي عليه السلام في منع نفوسهم من النظر الى ما في ايدي الناس وتجنيبهم الاغراءات المادية التي تجعلهم عرضه للسقوط وذلك بتوفير الرزق الكافي لهم "**فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ**"[3]، وتكرار الوصايا لهم من قبل الإمام عليه السلام لعامل الصدقات مثلاً قائلاً ما نصه «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا ترو عن مسلماً ولا تجتازن عليه كرهاً ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بها لهم من غير ان تخالط إبياتهم ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار...» [4] من غير عن الاختلاس والسرقة والنهب وحتى اذا ما ارتكبوا خيانة لا اصبح ذلك "**حُجَّة عليهم**"[5]، في التشكيل بهم ولكن العطاء المجزي ليس وحده كافيا بل من واجب الدولة ان تتفقد اعمالهم بين "**وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ**"[6]، لان في شعورهم بالرقابة رادع لهم لتفادي أي مسلك معوج يؤدي الى العقاب.

الكتاب في النـــــــــــهج:

أولى المسلمون الكتابة اهتماما بالغا ففي صدر الإسلام وعلى عهد الرسول صلى الله عليه وآله باشر كثير من الصحابة الكتابة بين يديه فقد كان الإمام علي عليه السلام اولهم وعثمان بن عفان يكتبان الوحيفان غابا كتبه بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجة"[7].

ولأهمية الكتابة والكتاب في الفكر الإسلامي افردت ابوابا خاصة لدراسة احكام تلك الصناعة

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٦.

(٢) محمد، عبد الله، الإمام علي القائد السياسي الامثل، (بيروت: دار الرسالة، د. ت)، ص٦٨.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٦٧.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٦٧.

(٧) الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص١٢.

واهميتها واثرها في العام والخاص من جمهور الناس[١]، كما انفردت كتب خاصة اخرى بأدب الكتاب ومعالجة اساليب الكتابة الى غير ذلك من امور لغوية وبلاغية تتعلق بشؤون المهنة[٢]، اذ يبدو انه كان للكتاب عندهم "**وللكُتاب أحكام بينة، كأحكام القُضاة، يُعرفون بها، ويُنسبون إليها، ويتقلدُون التدبير وسيارة المُلك بها**"[٣]، فقد كان الإمام علي عليه السلام " أهل هذه الصناعة"[٤].

اذ لم يقتصر عمله الكتابي في عهد الرسول صلى الله عليه وآله على كتابة الوحي بل زاول ايضا كتابة العهود فهو كما تحدثنا كتب السير والتاريخ الذي كتب معاهدة صلح الحديبية[٥]، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه فان ما جاء في عهده للأشتر بشان الكتاب نابع من تجربة واقتناع تام بمكانة الوظيفة فوضع شرط الاخلاق الفاضلة على راس شروط اختيار الكتاب " **فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ**"[٦]، لما يحسه من شعور بأهمية مركزهم الذي يدخل ضمنه اسرار الدولة ومصالحها العامة وكيفية التواصل بين القيادة والمصالح في طول البلاد وعرضها "**مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَ وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ**"[٧].

الى غير ذلك من مهام بالغة في الدقة لا يؤتمن عليها سوى الكتاب الشرفاء الذي يعول على اخلاصهم لشعورهم بانهم ينطقون بلسان الحكومة في كل ما يصدر عنهم من قريب او بعيد "**وَفِيَما يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الاْمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ**"[٨].

ومن مميزات المؤهل للوظيفة في نظر الإمام علي عليه السلام هو من يكون "متمتعاً بكرامة"، من

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص١٥٥.

(٢) للمزيد حول (ادوات الكتابة والكتاب)؛ ينظر :الجهيشاري، مقدمة الكتاب، ص١٢ ما بعدها؛ ابن النديم، الفهرست، ص٧.

(٣)ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص١٦٠.

(٤) العقد الفريد، ج٤، ص١٦١.

(٥) ينظر: ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٣١؛ تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٦٣٤، وقد عرضنا صلح الحديبية في الفصل الاول، في هامشها من هذا البحث.

(٦) نهج البلاغة، ص٤٦٨.

(٧) نهج البلاغة، ص٤٦٨.

(٨) نهج البلاغة، ص٤٦٨.

يعمل في خدمته متجنبا الاجتراء عليه في خلاق حول موضوع ما "**بِحَضْرَةِ مَلاَ**"[١]، ومن يكون ذكيا نبيها لا يغفل او يتساهل في مراجعة مكاتبات العمال " **وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ**"[٢].

بما يتماشى والسياسة التي يرسمها له ولي الامر ومن يكون حازما ذا خبرة تامة بأساليب الكتابة التي لا يدخلها الخلل ولدية قدرة فائقة في التحكم بأساليب اللغة فلا "**يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ**"[٣]، عن حل عقد يرى فيه مفرة لامته وامامه من يكون عارفا بقدر نفسه واثقا من مقدرته على اداء ما يناط به من مهام كتابية معتقدا بعلو مكانته عند من يباشر خدمته " **فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ**"[٤]، لذلك فمن واجب ولي الأمر اولا يقوم بدراسة ما فيهم الوظيفي واختيارهم بناء على "**وَوَلُوا الصَّالِحِينَ**"[٥]، قبله لأنه بذلك يتمكن من توظيف "**لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالأُمَانَةِ وَجْهاً**"[٦].

ولضبط الجهاز الوظيفي في الدولة ضبطا جيداً يجب تحديد لمسؤوليات بتعين رئيس لكل اختصاص ويكون ذلك الرئيس ذا شخصية قوية متمرسا في وظيفته "**لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا**"[٧]، وبذلك يضمن الإمام عليه السلام نجاح الجهاز الوظيفي وتتجنب الدولة ما لا يحمد عقباه.

سياسة الإمام المالية :ــ

لا يكاد نهج البلاغة ان يمدنا بالشيء الكثير عن المؤسسة المالية في فكر الإمام علي عليه السلام لكون اعتماد جامع نصوصه منهجاً انتقائياً معيناً، حال بينه وبين نقل جميع ما ذكر عن الإمام علي عليه السلام وقد اشار الى ذلك في مقدمته [٨]، الا اننا لا نترك الخطوط الاساسية لتلك المؤسسة من خلال الاشارات التي تتضمنها خطب ووصاياه وحمه عليه السلام وخاصة عهده لمالك الاشتر الذي تضمن الكثير من أسس بناء الدولة وسياستها ضمن ذلك النص والنصوص الاخرى يمكننا استنتاج اهم موارد بيت المال وطريقة جبايتها والوجوه التي تصرف فيها، اذاً لابد من اعطاء تعريف (لبيت المال) ومن ثم الدخول في تفاصيل موارده هو خزينة الدولة من مهامه الصرف على ديوان الجند

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٨.
(٢) م. ن.
(٣) نهج البلاغة، ص٤٦٨.
(٤) نهج البلاغة، ص٤٦٨.
(٥) نهج البلاغة، ص٤٦٨.
(٦) نهج البلاغة، ص٤٦٨.
(٧) نهج البلاغة، ص٤٦٨.
(٨) مقدمة نهج البلاغة، ص١٥.

وما يتعلق بمشاريع الدولة من اصلاحات واعمار ودفع رواتب الولاة والقضاة والعمال وغيرهم من موظفي الدواوين ومصادرة وموارده (الزكاة، الجزية، الخراج والعشر، التجارة والصناعة)[١].

١ــ الزكاة[٢]:

ينبع الاهتمام بها في الإسلام لكونها ضمن العبادات وهي الركن الثالث في الإسلام استنادا لقول النبي ﷺ " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت " [٣].

وقد اعطى الإمام علي عليه السلام للزكاة مكانه مهمة جعلته يتبع جمعها من المسلمين منذ بداية العملية في اللحظة الاخيرة من توزيعها على مستحقيها وجمع الزكاة في نظر الإمام علي عليه السلام يقوم على دعامة اخلاقية متينة تحول بين جامعيها والقسوة في جبايتها لأنها في الاساس تطهير للنفس من الشح وابعادها عن حب اللذات بالتكالب على المادة ولن يأتي ذلك الا اذا كان المزكي ذا قلب سليم ونفس سمحة.

وخير دليل على ذلك وصية الإمام علي عليه السلام لعماله على الصدقات يأمرهم بالقول "**عِبَادَ اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لأَخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لاَ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ**"[٤].

ثم ان على ذلك العامل الا يأخذ من المتصدق اكثر من حق الله المفروض في ماله "**وَلاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ**"[٥].

---

(١)جعفر، نوري، فلسفة الحكم عند الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ص٧٣.

(٢) الزكاة او الصدقة يعرفها الماوردي " **يَفْتَرِقُ الِاسْمُ وَيَتَّفِقُ الْمُسَمَّى، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي مَالِهِ حَقٌّ سِوَاهَا**" ان الشيعة الإمامية والمالكية يوجبون الزكاة على الكافر كما يوجبونها على المسلم ويوجب الشيعة الإمامية الخمس في كل ما يفضل عن مؤونة سنة الانسان وعياله مهما كانت مهنته ومن نحو حصلت فائدته سواء اكان من التجارة او الصناعة او الزراعة او الوظيفة او العمل اليومي او من الاملاك او من الهبة او من غيرها ولو زاد على مؤونة سنته قرش واحد او ما يعادله فعليه ان يخرج خمسة اما مذاهب السنة فيجدون الخمس في الاموال التي تجنى من الكفار من فئ وقسيمة ؛ ينظر: الماوردي في الاحكام السلطانية، ص ١٠، ٩٩؛ مغنية، الفقه على المذاهب الخمسة، ط٥، (بيروت: دار الجواد، ١٩٨٢م)، ص١٦٦.

(٣)صحيح مسلم، ج١، ص٤٥.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٠٩.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٠٩، كاظم، دولة الإمام علي عليه السلام نظامها السياسي والإداري، ص٣٠٩.

ولا يأخذ من المال الا ما هو رضا لصاحبه "**فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لاَ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَب أَوْ فِضَّة**"(١).

اذ ليس الموافقة تعني دفع الزكاة وأن تقوم السلطة بمحاسبة المزكي محاسبة دقيقة باستخدام التعسف لذا يجب على العامل ان يأخذ ما اعطي اعتمادا على صدق المتزكي واخلاص ايمانه وفي حالة امتلاك المتصدق ابلا او ماشية فعلى العامل ان لا يدخل اليها الا باذنة لان "**فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْها دُخُولَ مُتَسَلِّط عَلَيْهِ وَلاَ عَنِيف بِهِ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلاَ تُفْزِعَنَّهَا، وَلاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَ، فَلاَ تَزَالُ بِذلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ**"(٢).

فالمثالية كما نلاحظ قد بلغت الذروة فلم تقتصر عند الإمام علي عليه السلام على الموافقة على اداء الزكاة، بل تعدتها الى التخير المتناهي في عدالته، وشملت ايضا طريقة التعامل مع المال والحيوان الا ان ذلك لا يعني في نظر الإمام علي عليه السلام القبول باي شيء لا يتناسب ومصلحة مستحقي الصدقة ففي زكاة الحيوان، على سبيل المثال يجب عدم قبول المعيب او المريض "**وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً، وَلاَ ذَاتَ عَوَار**"(٣)، إذ من واجب عامل الزكاة ان لا يقبل الا ما هو صالح للناس.

ثم ان الإمام عليه السلام في مثاليته يسير مع عامله على الصدقات خطوة بخطوة خلال رحلته الشاقة فينهه بان لا يوكل بما اجتمع عنده من مال المسلمين "**إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً، وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّف وَلاَ مُجْحِف، وَلاَ مُلْغِب وَلاَ مُتْعِب**"(٤).

ويجب عليه أن يراعي الله فيما اجتمع من حيوانات حتى تصل الى مستقرها فتقسيم على مستحقيها وهي سليمة غير متعبة فاذا اكتملت عملية جمع الزكاة في كل ولايات الدولة واستقرت

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٠٩، كاظم، دولة الإمام علي عليه السلام، ص٣٠٩.

(٢) ومعنى اصدع اي اقسم، واستقالك اي ظن في نفسه سوء الاختيار فطلب منك ان تعيد عمليه القسمة، ينظر: نهج البلاغة، ص٤١٠.

(٣) نهج البلاغة، ص٤١٠.

(٤) معنى ملغب: المعي من التعب، ينظر: نهج البلاغة، ص ٤١٠.

الاموال في بيوتها فعلى القائم بالأمر ان يباشر بتقسيمها على السعيه الذين خصهم الله تعالى في قوله "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ"(١).

ولا ان يتعدى المسؤول في توزيعها على أولئك السبعة ونظن من كلام الإمام علي عليه السلام في وصية اخرى الى عماله على الصدقات ان المتولي على جمع صدقات البقعة او المنطقة هو الذي يقوم بتوزيع ما اجتمع عنده على المحتاجين والضعفاء وذوي الفاقة من اهل المنطقة ذاتها كما ان على المتولي ان لا يأخذ حقه من الصدقات الا بإذن ولي الامر وبالمقدار الذي يفرضه له وفي ذلك يقول لعامله على الصدقات "**إِنَّ لَكَ فِي هذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَة، وَضَعَفَاءَ ذَوِي فَاقَة، إِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ**"(٢).

وعلى ذلك فانه لا يرجع الى بيت المال المخصص للزكاة الا ما زاد عن حاجة فقراء المنطقة التي جمعت منها وهو ما يشير حسب فهمنا الى ان الإمام علي عليه السلام قد خصص مقدارا معنيا لكل مستحق في دولة الإسلام لأنه عادة ما يأمر ولاته بتوزيع الزكاة على مستحقيها ثم يرسل ما تبقى عنده منها الى عاصمة الدولة ليقوم الخليفة بتقسيمها بما يعطي التوازن بين الولايات كلها، اذ لا بد ان تكون الزكاة في ولاية ما اكثر منها في ولاية اخرى، لذا فقد اوجب على ولي الامر ان يراعي ذلك اثناء جمع الصدقة وتوزيعها، واننا وان كنا لا نملك نصا صريحا بذلك في النهج الا انه يمكن استنتاجه من قوله الى قثم بن العباس(٣) عامله على مكة "**انْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ المَفَاقِرِ وَالْخَلَّاتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا**"(٤).

والتقسيم فيمن قبله على ما نظن لا يعني الكوفة عاصمة الخلافة بالذات بل يعني محاولة العدل في التوزيع بين فقراء المسلمين في كل بقاع الدولة.

١ــ الجزية:

ان اثر هذه الضريبة في موارد الدولة على عهد الإمام علي عليه السلام كان ضئيلا نسبيا لكون الكثير ممن كانوا يدفعونها قد دخلوا الإسلام اما تخلصا من دفعها فلم يبق من دافيعها الا قلة من

---

(١)سورة التوبة: الآية: ٦٠.

(٢)نهج البلاغة، ص٤١١.

(٣) ينظر: ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص٣٩٢.

(٤) نهج البلاغة، ص ٦٧.

اليهود والمسيحيين فيما عدا التغلبين [1]، لذلك لا نرى الجزية اي ذكر في نصوص نهج البلاغة.

يبدو أن سياسة الإمام الرصينة وامكانياته في إدارة الدولة بالإضافة إلى البعد الإنساني الذي اضفى على شخصيته ملكة استقطاب أبناء الحضارات الأخرى وقد جعلت أهل الذمة يتهافتون على دخول الإسلام حباً بالإمام عليه السلام من جهة واعجاباً بطبيعة الحياة السياسية التي كانت سائدة في عهدهُ من جهة أخرى وهذا نجدهُ واضحاً وجلياً بعهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر بما نصه: «... **ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فأنهم صنفان إما أخ لك في الدين وأما نظير لك في الخلق يفرط منهم الذلل وتعرض لهم العلل ويؤتي على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك...**»[2].

ولقد سجل لنا التأريخ أمثلة كثيرة على عمق العلاقة بين الإمام عليه السلام في عصره وكيف كانت هذه الطبقة تلتف حول الإمام وتسانده في كل مفصل من مفاصل الحياة، فقد وجدوا في شخص المنقذ والمنفذ الحقيقي لمبادئ الإسلام على أصولها وخير دليل على ذلك عندما قام بتزويج الإمام الحسن عليه السلام سبط الرسول من أحدى بنات كسرى[3] اللواتي سبين في عهد عثمان بن عفان.

وأيضاً «**الإمام علي عليه السلام الغاضب على مقولة الأشعث بن قيس وهو على المنبر: غلبتنا عليك هذه الحمراء فقال له الإمام عليه السلام: «من يعذرني من هؤلاء الظياطرة... أأطردهم؟ وأني ان طردتهم لمن الظالمين والله لقد سمعته أي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والله ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم برءاً**»[4] فقد كان علي عليه السلام يجالسهم ويتحادث معهم ويستقرئهم أحوال ملوكهم السابقين وسياستهم بما يشعرهم بقيمتهم الإنسانية مثلهم مثل أي مسلم آخر وهذا الموقف حسده الإمام علي عليه السلام على ما نصه «... واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غني ببعضها عن بعض فمنها: جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل

---

(١) يذكر ابي يوسف ان مر بن الخطاب صالح نصارى بني تغلب ان يضاعف عليهم الزكاة عوضا عن الجزية شريطة الا يشتركوا في حرب ضد المسلمين وان لا ينصروا اولادهم ينظر: أبو يوسف، يعقوب إبراهيم (ت١٢٨هـ/ ٧٩٨م) كتاب الخراج، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ص ١٢٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٥٨.

(٣) سلافة: هي والدة الإمام علي بن الحسين ابنة يزدجرد وكانت من خيرات النساء وكان يقال للإمام علي بن الحسين عليه السلام ابن الخيرتين لقول رسول الله صلى الله عليه وآله لله من عباده خيرتان من العرب وقريش ومنه العجم فارس ينظر: المبرد محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، الكامل في الأدب، (القاهرة نهضت مصر، د. ت)، ج٢، ص١٢٠.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٤٥.

ومنها عمال الأنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سعى الله له سهمه ووضع على حده فريضةٍ في كتابه أو سنة نبيه ﷺ»[١].

٢ــ الخراج والعشر:

الخراج أو ضريبة الأرض وقد اهتم المسلمون بها اهتماما بالغا لكونها المصدر الرئيس لتعويل مشاريع الدولة وصرف رواتب الجند والقضاة والعمال وغيرهم من الموظفين ومن دواعي الاهتمام بها فقد دخلت تلك الضريبة في كتب الفقه الإسلامي كموضوع قائم بذاته فافرد لها ابو يوسف (ت: ١٨٢هـ /٧٩٨م)[٢] فصولا عرفها فيها، بالإطاحة الى كيفية جمعها من الفلاحين وملاك الارض ايضا ابو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ/ ١٤٢١م)[٣] وحظيت ايضا باهتمام يحيى بن ادم (ت: ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)[٤] وعرض الماوردي لها[٥].

ولو رجعنا لنهج البلاغة لنستقرى ما قاله الإمام علي عليه السلام في ضريبة الارض تلك فسنجد ان اهتمامه قد انصب اولا وقبل جباية الاموال على العامل او الفلاح ومن ثم على الارض التي يعملون عليها وهما كما نلاحظ دعامتا الثروة الرئيستان في المجتمع الزراعي الذي كانت الدولة الإسلامية تعتمد عليه في معيشة سكانها وفي ادارة دفة الحكم، يقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الاشتر "**وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صلاَحِهِ وَصلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لاَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ**"[٦].

فالخراج في النص كناية عن الأرض وليست الضريبة المفروضة عليها ثم ان اهل الخراج هم الفلاحون وتفقدهم يعني اصلاح حالهم بإنشاء القنوات ومد الجسور، وحفر الابار، واستصلاح الارض والوقوف الى جانبهم في وقت الكوارث الطبيعة من جفاف او فيضان او جراد، فان كل ذلك يمكن الفلاح من زيادة انتاجه ويعني في نهاية المطاف الزيادة في دخل الخراج[٧].

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٢.
(٢) الخراج، ص ٣٣،٤٧، ٦٣، ١٣٣.
(٣)الاموال، ص ٧٣، ٧٩،٨٣، ١٠٢، ٥٢٤.
(٤)الخراج، ص ٢٢،٦٣، ٨٤.
(٥)الاحكام السلطانية، ص ١٢٤، ١٥٣، ١٦٧.
(٦) نهج البلاغة، ص ٥٣.
(٧) العريض، فكر الإمام علي عليه السلام، ص٣٥٨؛ كاظم، دولة الإمام علي نظامها السياسي والإداري، ص٣١٩.

فمن أجل ذلك يقول الإمام علي عليه السلام للأشتر "**وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لاِنَّ ذلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً**"[1]، لان العمال والفلاحين سيهجرون الارض وبذلك تكثر المجاعات وينهدم الاقتصاد فيختل الامن مما يدعو في النهاية الى زوال نظام الحكم فالعمران ــ كما نظن في نظر الإمام عليه السلام هو ما ينمي الدخل "**وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا،إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لاِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ**"[2].

وهو ما يعني ضمنا أن أحكام السياسة المتعلقة يمكن في ارهاق العباد بفرض الضرائب وجمع الاموال لملء خزينة الدولة، لان دخل الدولة الحقيقي ورصدها المالي هو الانسان ذاته فاذا صح الانسان وصلحت حاله تمكن من العطاء بما يعود عليه وعلى البلاد بالخير.

وفي تاريخ الانسانية كثير من العبر التي يمكن للحكام الانتفاع بها لو تأملوها بعين العقل على تلك الاسس الانسانية المثبتة لذلك باشر الإمام علي عليه السلام سياسته المالية اتجاه الارض مصدر الرزق في عصره، فمن وصية له عليه السلام الى عماله على الخراج يقول ما نصه "**وَلاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاء وَلاَ صَيْف، وَلاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلاَ عَبداً، وَلاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَم، وَلاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَد مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلاَ مُعَاهَد، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاَحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى الإِسلام**"[3].

اذ لا يمكن ان تؤخذ الضريبة من الانسان على ضرورياته الحياتية " من غذاء و كساء و مسكن و أثاث و آلة و حيوان"[4]، وبهذا الاسلوب المثالي السمح تدفقت الضرائب من خراج وعشر على بيت مال الدولة مما جعل العطاء يزيد ويكثر[5] الى الحد الذي ادى بالإمام علي عليه السلام الى طعام اليتامى والمساكين العسل[6].

---

(١) ينظر: نهج البلاغة، ص ٤٦٧.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٥٥.

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م) ج٤، ص٤١.

(٥)البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص١٣٦.

(٦)البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص١٣٦.

٣ــ التجارة والصناعة:

وهما من مصادر الدولة المهمة في الحياة السياسية وان لم تكون في مستوى الخراج اهمية فقد كان عمر بن الخطاب يستوحي بالتجار ويسهر على راحتهم حتى بلغ به الامر حراستهم وحراسة اموالهم بنفسه فما يذكر عنه " انه كان يعس ليلا فنزلت رفقة من التجار بالمصلى فقال لعبد الرحمن بن عوف هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم و يصليان ما كتب الله لهما"(١).

ولأهمية التجارة في حياة الأمة وفي انتعاش اقتصاد الدولة، فقد افرد لها الإمام علي عليه السلام مساحة من فكره الاقتصادي يمثله قوله لمالك الاشتر "**ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا**"(٢).

اذن لتجارة بما يكتنفها من المخاطر والمغامرة بالأموال من قبل التجار الا انها ضرورية بل واساسية في حياة الناس لأنها توفر ما يحتاجونه من اله وكساء وطعام هذا بالإضافة الى ما تدره على بيت المال من دخل يتمثل في جباية الاسواق بالإضافة الى الضرائب التي يدفعها التجار مقابل ما يجلبونه من مؤن وبضائع الى البلاد لذا من واجب الحكومة ان ترعاهم بما يكفل لهم الربح المعقول ويجنبهم الخسارة بتوفير الامن والحماية لهم.

اذ لا يمكن ان تستقر تجارة الا في مجتمع مستقر ولا يمكن للتاجر ان يستثمر امواله الا اذا شعر بالأمان لما في طبعه من خدر وحيطة وجبن فالتجار على العموم من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام "**سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ**"(٣).

ولكن الإمام علي عليه السلام لم يترك التجار بدون محاسبة بحيث يمكنهم التصدق في الاسواق كما يشاؤون فهو في نفس الوقت الذي احاطهم فيه بالرعاية فانه قد نبه الى ان "**أَنَّ فِي كَثِير مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ**"(٤).

---

(١)ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٢، ص١٤.

(٢) المضطرب بماله هو الذي لا يستقر في بلد ما و المترفّق ببدنه المكتسب من عمل يده من بناء ونجار وغيره والمَرَافِق: ما ينتفع بها من الادوات جلابها الذين يأتون بها ينظر: نهج البلاغة، ص٤٦٩.

(٣) بائقته تعني داهيته ومكره ومعنى غائلته عصيانه وتمرده؛ نهج البلاغة، ص٤٧٠.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٦٩.

لذا فمن واجب ولي الامر والسوق مفتوحة للجميع ان يراقب الاسعار ويحول بين التجار والاضرار بالناس، فالتجارة وان كانت ضرورية ومصدرا مهما من مصادر الدخل كما نعتقد في نظر الإمام علي عليه السلام الا انها مفننة بما يتماش ومثاليته المتناهية في تطبيق شرائع الإسلام طبقا للكتاب والسنة[١]، اما الصناعة والصناع الذين وصى واليه الاشتر بهم خيرا[٢].

فان الذي يقصده من وصيته تلك كما نستخلص من سيرته[٣]، انه يريد بذلك حمايتهم وحماية صناعتهم من الانقراض حتى لا يتضرر الناس ويتأثر الاقتصاد فان قلة الحاجة الى بعض الصناعات في وقت ما لا يعني اهمالها وعدم رعايتها فقد تكون تلك الصناعة متوفرة في اقليم ونادرة في اقليم اخر فتعهدها وحمايتها يعني التكامل الاقتصادي فيما بين اقليم الدولة المختلفة لان "اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض وذلك انه من البين ان اعمال اهل مصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون"[٤].

لذا كان الإمام علي عليه السلام فيما نعتقد يأخذ ضمن الجزية والخراج والزكاة بعض الصناعات المتداولة في عصره يقول ابو يوسف "كان علي ابن ابي طالب (ك) فيما بلغنا يأخذ منهم (أي اهل الذمة) في جزيتهم الابر والمسال ويحسب لهم من خراج رؤوسهم"[٥].

وقد ورد عند البلاذري ان الإمام علي عليه السلام كان (يقسم العطور بين نسائنا) [٦].

كما كان يقسم بينهن الابر التي كان يأخذها "من اليهود مما عليهم من الجزية"[٧]، وهو بعمله ذلك انما يهدف الى تشجيع الصناعات والابقاء عليها باعتبارها احد مصادر الدولة.

الفيء

أوضح الإمام علي عليه السلام ان الفيء هو تشريع ألهي قائلاً: «فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثرة وقد فرضها الله من قسمه فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا وعهد نبيّنا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليقل كيف يشاء فأن العامل بطاعة الله

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٦٩.
(٢) نهج البلاغة، ص٤٦٩.
(٣)ابن ابي الحديد، ج٢، ص١٩٩.
(٤) مقدمة ابن خلدون، ص٤٧٢.
(٥) المسال تعني ابر الخياطة الكبيرة التي يخاط بها الخيش، ينظر :الخراج، ص١٢٢.
(٦) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص١٣٢.
(٧) ابن ابي الحديد، ج١٢، ص٩٤.

والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه»[١].

وجاء هذا التشريع من الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢] .

فبعدما أوضح الإمام علي عليه السلام ان الفيء هو تشريع ألهي من القرآن الكريم فيتابع حديثه عليه السلام موضحاً ما قام به الرسول صلى الله عليه وآله في أموال المسلمين قائلاً «**ان هذا القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض والفيء فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه ا لله حيث وضعه والصدقات فجعلها الله حيث جعلها**»[٣].

فيذكر ابن أبي الحديد[٤] «**الأموال الأربعة التي عددها إنما قسمها الله تعالى حين قسمها لأنها أموال متكررة بتكرر الأوقات على مر الزمان الموجود منها ويخلفه غيره فكان الاعتناء بها أكثر والاهتمام بوجوه متصرفها أشد لأن حاجة الفقراء والمساكين وأمثالهم من ذوي الاستحقاق كثيرة ومتجددة بتجدد الأوقات**».

لذلك نجد الإمام علي عليه السلام يكرر ويركز حديثه في النهج على التقسيم العادل للفيء على الرعية فيقول عليه السلام «**إيها الناس ان لي عليكم حقاً ولكم علي حق فأما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا**»[٥].

وركز الإمام علي عليه السلام على أمراً مهماً في حديثه عن الفيء وهو على الخليفة ان يتبع الحق بين الرعية بلا تميز إذ جاء في كلام له عليه السلام مع عبدالله بن زمعة حين قدم عليه يطلب منه مالاً فقال له الإمام علي عليه السلام: «**ان هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم فأن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم**»[٦].

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٦٢.

(٢) سورة الحشر: آية ٦ ــ ٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٦٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج١٩/ ١٣٤.

(٥) نهج البلاغة، ص٤٦٩.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٠١.

لذلك نجد الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة يؤكد على زياد بن أبيه الفيء الابتعاد عن الخيانة معذراً أياه بأنه عليه السلام قد حتم قسماً صادقاً إذا بلغ عنه خيانة في فيء المسلمين فأنه سيعافيه على ذلك قائلاً: «**وأني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك ضنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة ترعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر والسلام**»[1].

وكتاباً آخر لعبدالله بن عباس: «**وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتنوي عزتهم عن فيئهم فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المعونة لأراملهم وإيتامهم، اختطاف الذئب الأزل، دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذِهِ كأنك لا أبا لغيرك حررك إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك**»[2]، يتبين من هذا الكلام وكما هو معهود عن الإمام علي عليه السلام أنه كان سيفاً مسلطاً على كل من يعتدي على حقوق الرعية، فكان توبيخه لابن عباس بتشكيكه في إخلاصه بدينه وفي إيمانه لأن ما فعله من أخذ أموال المسلمين ينافي تعاليم الإسلام ومبادئ المسلمين.

ـ العطاء

ان المساواة في توزيع العطاء كانت من أولويات سياسة الإمام عليه السلام المالية التي هي امتداد لسياسة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فليس لأحد فقل أو امتياز وإنما الجميع على حد سواء وهذا ما نجدهُ واضحاً في عهدهُ لمالك الاشتر عندما ذكر بما نصهُ: «الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمني فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم وأجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلدٍ فأن لأقصى منهم مثل للأدنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فأنك لا تعذر بتضييعيك التافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنك ولا تصعد خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخيشة والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم أعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه فأن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم وكل فأعذر إلى الله في تأويله حقه إليه وتعهد أهل اليتم وذوي الرقعة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفس وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٠٥.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٤٢.

وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق وعود الله لهم»[1].

وهذا النص خبر دليل على حرص الإمام عليه السلام على الرعية والتسوية في العطاء وان لا يميز الوالي في العطاء من أجل كسب ودفئة معينة على حساب الفئة المستضعفة وكان ذلك فيما نص عليه أيضاً «أتأمروني ان أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا أطور به ما سحر سحير وما أنجم في السماء نجماً لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله لهم»[2].

ويؤكد الإمام أيضاً في سياسته بتوزيع العطاء عدم تفضيل الأهل والأقارب على عامّة الناس وفعلاً هذا ما طبقه الإمام علي عليه السلام عندما طلب منه أخيه عقيل بن أبي طالب عليه السلام زيادة في العطاء، قال الإمام عليه السلام في هذه الحادثة ما نصه: «والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودنى مؤكداً وكرر علي القول مردداً فأصغيت إليه مسمعي فظن أني أبيعهُ ديني واتبع قياده مفارقاً طريقي فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل به عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه أتئن من الأذى ولا أئن من لظى»[3]

إذن نستنتج من خلال اطلاعنا على السياسة المالية للإمام علي عليه السلام تتمثل بوضع قواعد وأسس لسياسة عادلة تحافظ على الثروة المالية من استيلاء ذوي النفوس الضعيفة من الطبقة الحاكمة من جانب وإيجاد سبل حقيقية لإنشاء مجمع تتوافر فيه العدالة ولا تسمح لطبقة الحاكمة أن تتحكم بمقدرات المجتمع من جانب آخر.

---

(١) نهج البلاغة، ص٤٧٠.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٢٠؛ الأصفي، الثقافة القيادية، ص٣٦ ــ ٣٧.

(٣) نهج البلاغة، ص٤٨٩.

الخـاتمـة

لعل من بين أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي:

ــ نهج البلاغة قد ضم في طياته توصيفاً دقيقاً للنمط السياسي الإسلامي المستوحى منه القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ﷺ التي ذكرها للإمام علي عليه السلام وبذلك فإن دراسة الحياة السياسية للدولة الحربية تصل بنا إلى تصور كامل لطبيعة الحياة السياسية المثالية التي أرادها الرسول لأمته من بعده، يضمنها طبيعة الشخصية التي تخلف الرسول ﷺ وفق المعيار الإسلامي الرصين، وعليه فإن ما جاء في نهج البلاغة يهدف إلى وضع المسلمين على الطريق الصحيح وإزالة الخلاف.

لعل من بين أبرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة خصوصية نظرة الإمام عليه السلام للحياة السياسية، فهو لم يتخذ مصدراً غير القرآن والسنة لرسم ملامح الحياة السياسية، فالمتتبع لمنظومة الإمام السياسية يجد بأنها خالية من أي أثر خارجي لما فعل غيره ممن أدعى خلافة المسلمين أمثال معاوية.

توصلت الدراسة من خلال تحليل خطب الإمام علي عليه السلام أنه عقد مقارنة رائعة بين الحياة السياسية عند العرب قبل الإسلام وما بين الحياة السياسية في عصر النبوة رغبة منه في إظهار الفارق الكبير بين الممارسات الجاهلية التي تنطوي على ظلم وتعسف وفساد وبين عصر التسامح الذي خلقته النبوة في مجتمع مكة والمجتمعات المحيطة بها.

من أهم النتائج أيضاً هي إشارات الإمام للسياسات التي ظهرت بعد وفاة الرسول ﷺ وتحليله لها وإبراز عوامل الضعف فيها، والإشارة إلى عوامل تقاطع هذه السياسات مع النص الإسلامي في ممارساتها المتنوعة في جعل هذه المادة التاريخية ذات قيمة عليا لرسم ملامح الموسوعة السياسية الإسلامية.

ــ كذلك أوضحت الدراسة رفض الإمام علي عليه السلام السكوت عن حقه في خلافة المسلمين مبيناً موقفه تجاه الخلفاء الثلاثة الذين كانوا قبله مع إبقاء رابطة التعاون معهم في حدود ما يرضي الله ويحفظ للإسلام قوته ووحدته، كما وقف الإمام علي عليه السلام بكل حزم ودونما تهاون في وجه المناوئين لحكومته لا تمسكاً بالحكم ولكن تصدياً لكل ما يسيء إلى تعاليم الإسلام كاستغلال

مفاهيمه الإنسانية لصالح فئة معينة على حساب الفئات المستضعفة.

وأخيراً لابد من الإشارة أيضاً إلى أن الإمام عليه السلام قد حرص من خلال خطبه إلى تحديد معايير غاية في الدقة لكل مفاصل الدولة سواء أكان على الصعيد المالي أو الإداري والعسكري بالإضافة إلى وضعه معايير للإفراد سواء كانوا عامة أو قادة يمكن أن تعتمد لتكون أساساً في تشكيل أي مؤسسة سياسية.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

- **الآبي، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت: ٤٢١/ ١٠٣٠م).**

١- نثر الدر، (القاهرة، الهيئة المصرية، د. ت).

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)**

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، (القاهرة: كتاب الشعب، ١٩٧٠م).

٣- الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٧م).

- **ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)**

٤- جامع الأصول من أحاديث الرسول، ط٤، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٤م).

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، (بيروت، دار الفكر العربي ١٩٧٩م).

- **ابن إسحاق، محمد (ت١٥١هـ/ ٧٦٨م).**

٦- السيرة النبوية، (بيروت: دار احياء التراث العربي، د.ت).

- **الاسكافي، أبي جعفر محمد بن عبدالله المعتزلي (ت: ٢٢٠هـ/٨٣٥م).**

٧- المعيار والموازنة في فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بيروت: دار صادر، د. ت).

- **الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م).**

٨- مقالات الإسلامين واختلاف المصلين، تحقيق: نواف الجراح (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م).

- **الأصفهاني، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ/ ٨٥٢م)**

٩- الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين (قم، شريعت، د.ت).

- **ابن اعثم الكوفي، ابو محمد احمد (ت٣١٤هـ/٩٢٦م).**

١٠- الفتوح، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).

- **الآمدي، عبدالواحد بن محمد التميمي (ت٥٥٠هـ/١١١٦م)**

١١- غرر الحكم ودرر الكلم، (بيروت: دار القارئ، ١٩٨٧م).

- **البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م).**

١٢- شرح نهج البلاغة، ط٢، (بيروت: دار العالم الإسلامي، ١٩٨١م).

- **ابن بكار، الزبير (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).**

١٣- الأخبار الموفقيات (بغداد: ديوان الأوقاف، ١٩٧٢م).
- **البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).**
١٤- معجم ما استعجم، ط٣، (بيروت: عالم الكتاب، ١٩٨٣م).
- **البلاذري، محمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م).**
١٥- أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٤م).
١٦- فتوح البلدان، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٤م).
- **البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ).**
١٧- المحاسن والمساوئ، والقاهرة، نهضة، مصر، ١٩٦١م).
- **البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)**
١٨- اصول الدين ،ط٣،(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٩٨١م)
- **التلمساني، محمد بن أبي بكر (من علماء القرن السابع الهجري)**
١٩- الجوهري في نسب الإمام علي وآله، (دمشق: مكتبة النوري،١٩٨٢م).
- **الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م).**
٢٠- البيان والتبين، ط٣ (القاهرة، الخانجي، د. ت).
٢١- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م).
- **الجهيشاري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)**
٢٢- الوزراء والكتاب، ط٢، (القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٨٠م).
- **الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز (من رجال النصف الأخير من القرن الثالث الهجري).**
٢٣- السقيفة بواسطة نهج البلاغة لابن أي الحديد، (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩م).
- **ابن أبي الحديد، عزالدين عبدالحميد بن هبة الله المعتزلي المدائني، (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).**
٢٤- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٣م).
- **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)**
٢٥- الإصابة في تميز الصحابة، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م).
- **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)**
٢٦- الفصل في الملك والنحل، وضع حواشيه: أحمد شمس الدين (بيروت: دار الكتاب

العلمية، ١٩٧١م).

- **الحسكاني، الحاكم عبيدالله بن عبدالله النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م)**

٢٧- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بيروت: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٧٤م).

- **الحلبي، علي بن برهان الدين (ت: ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م).**

٢٨- السيرة الحلبية، (بيروت: دار إحياء التراث، د. ت).

- **الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)**

٢٩- معجم الأدباء، (بيروت: دار صادر، ١٩٨٤م)

٣٠- معجم البلدان، (بيروت، دار صادر).

- **الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد علي بن ثابت (ن٤٦٣هـ/١٠٧٠م)**

٣١- تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠١).

- **ابن خلدون، عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)،**

٣٢- المقدمة، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠م).

- **خليفة ، ابن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)**

٣٣- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: مصطفى نجيب (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م)

- **الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)**

٣٤- تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠١م).

- **الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)**

٣٥- المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د. ت).

- **الدمشقي، محمد بن أحمد بن ناصر الباعوني (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)**

٣٦- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق محمد كاظم المحمودي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٥م).

- **الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)**

٣٧- الأخبار الطوال، (بيروت: دار المسيرة، د. ت).

- **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)**

٣٨- سير أعلام النبلاء، ط٣، (بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٥م).

- **الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مفضل (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)**

٣٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: محمد الطباع، (بيروت: دار القلم، ١٩٩٩م).

٤٠- مفردات في غريب القران، (استانبول: دار قهرمانة، ١٩٨٦م).
- **الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٦م)**
٤١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: عبد اللطيف الكوهمكري، (قم: مكتبة اية الله المرعشي، ١٩٨٥م).
- **الزبيدي، محمد مرتضى الحسني (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)**
٤٢- تاج العروس، (بيروت: دار الجيل، ١٩٦٥م).
- **سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)**
٤٣- تذكرة الخواص، تحقيق: حسين تقي زادة (بيروت: دار المجمع العلمي لأهل البيت، ١٩٨١م).
- **ابن سعد، محمد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)**
٤٤- الطبقات الكبرى (بيروت: دار بيروت، ١٩٨٠م).
- **ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م).**
٤٥- الأموال، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
- **السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)**
٤٦- الأنساب، تقديم: عبدالله عمر البارودي، (بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨م).
- **السهيلي، عبدالرحمن (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م).**
٤٧- الروض الأنف (بيروت: دار إحياء التراث، د. ت).
- **السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).**
٤٨- الدر المنثور، ط٤، (بيروت: الأعلمي، ١٩٨٢م).
٤٩- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين، (بيروت، الأعلمي، د. ت).
- **الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن جعفر الصادق (ت٤٠٦هـ ١٠١٥م).**
٥٠- خصائص الأئمة عليهم السلام، تحقيق: محمد الأميني، (مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، د. ت).
٥١- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣).
٥٢- نهج البلاغة، شرح: محمد عبدة، تحقيق: فاتن محمد جليل (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، د. ت).
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م)
٥٣- امالي المرتضى، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).

٥٤- رسائل الشريف المرتضى، (بيروت: مؤسسة النور، د. ت).
- **ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسين بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري)**
٥٥- تحف العقول عن آل الرسول، ط٥، (بيروت: الأعلمي، ١٩٧٤م).
- **ابن شهر آشوب، أبو عبدالله محمد بن علي (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)**
٥٦- مناقب آل أبي طالب، (النجف: مطبعة الحيدرية، ١٩٦٥م).
- **الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن الكريم (ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)**
٥٧- الملل والنحل، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).
٥٨- **الصدوق، ابن بابويه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)**
علل الشرائع، (بيروت: دار البلاغة، ١٩٦٩م).
٥٩- من لا يحضره الفقيه، (بيروت: الأعلمي، ١٩٨٦م).
- **أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عباس (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م).**
٦٠- قوت القلوب، (بيروت: دار صادر، د. ت).
- **الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)**
٦١- مجمع البيان في تفسير القرآن، (القاهرة: المعارف، ١٩٧٩م).
- **الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)**
٦٢- الاحتجاج، ط٢، (بيروت: دار الاعلمي، ١٩٨٣م).
- **الطبري، أبو جعفر أحمد المحب (ت٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)**
٦٣- الرياض النضرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).
- **الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠/ ٩٢٢م)**
٦٤- تاريخ الرسل والملوك، ط٤، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م).
- **الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)**
٦٥- أمالي الشيخ الطوسي، (بيروت: دار الوفاء، ١٩٦٥م).
٦٦- تهذيب الاحكام، ط٣، (بيروت: الاضواء، ١٩٨٣م).
٦٧- المبسوط في فقه الامامية، تحقيق محمد باقر (كهران: مكتبة المرتضوية، ١٩٨٧م).
٦٨- مصباح المجتهد، تصحيح: إسماعيل الأنصاري، (بيروت: الوفاء، ١٩٨٣م).
- **العاملي، محمد بن علي (ت: ١١٠٤هـ/ ١٦٩١م)**
٦٩- وسائل الشيعة، (قم: مؤسسة النشر، د. ت).
- **ابن عبدربه، عمر بن أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)**
٧٠- العقد الفريد، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م).

- **ابن اعثم ، احمد الكوفي(ت: ٣١٤/٩٢٦)**

٧١- الفتوح ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م)

- **ابن عساكر، علي بن الحسن (ت، ٥٧٣هـ/ ١١٥٧م)**

٧٢- ترجمة الامام علي(ع) من تاريخ دمشق استخراج: محمد باقر المحمودي، (بيروت: دار التعارف، ١٩٧٥م).

- **الغزالي، أبو حامد (ت٥٥هـ/ ١١١١م)**

٧٣- الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق، علي أبو ملحم، (بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٢م).

- **القاضي الكوفي، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث الهجري)**

٧٤- مناقب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، تحقيق: محمد باقر المحمودي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٨م).

- **القاضي النعمان، بن محمد (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)**

٧٥- دعائم الإسلام ط٣، (القاهرة، المعارف، ١٩٨٥م).

- **ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم (ت٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)**

٧٦- الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٠م).

٧٧- الشعر والشعراء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).

٧٨- عيون الأخبار، (القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٧٣م)

- **القرطبي، عبدالله بن محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)**

٧٩- الجامع لأحكام القرآن، ط٢، (القاهرة: الهيئة المصرية ١٩٦٧م).

- **القشيري، أبو الحسين بن الحجاج مسلم (ت: ٢٦١هـ/ ٨٣١م)**

٨٠- صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

- **القفطي، جمال الدين الحسن بن القاضي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م).**

٨١- انباه الرواة على انباة النحاة، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٦م).

- **القضاعي، أبو عبدالله محمد بن سلامة (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)**

٨٢- دستور معالم الحكم، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨١م).

- **القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)**

٨٣- مأثر الأنافة في معالم الخلافة، (بيروت: عالم الكتاب، د. ت).

- **القمي، علي بن إبراهيم (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م)**

٨٤- تفسير القمي، (النجف الأشرف: مكتبة الهدى، ١٩٥٨م).

- **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)**

٨٥- المختصر في أخبار البشر، (القاهرة: المطبعة المصرية، د. ت).
- **ابو الفرج، قدامة بن جعفر (٣٢٧هـ/٩٣٨م)**
٨٦- نقد النثر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م).
٨٧- ابو الفرج: علي بن الحسن الاصفهاني (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)
٨٨- الأغاني، (تونس، الدار التونسية، ١٩٨٣م).
- **الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٨٤هـ/١٣٨٢م)**
٨٩- عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر. (بغداد: دار الحرية ١٩٧٧م).
- **ابن كثير، أبو الفداء (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)**
٩٠- البداية والنهاية تحقيق: محمد فهيم أبو عبيد، (الرياض، مكتبة النصر، ١٩٨٦م).
- **الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م)**
٩١- الكليات، ط٢، (دمشق: وزارة الثقافة: ١٩٨٢م).
- **الكوفي، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث الهجري)**
٩٢- مناقب الامام علي امير المؤمنين عليه السلام (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٩٨م).
- **الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ/ ٩٣٤م)**
٩٣- الكافي في الأصول والفروع والروضة، ط٤١، (بيروت: دار صعب ١٩٨٠م).
- **الكنجي، الحافظ محمد بن يوسف (ت: ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)**
٩٤- كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب عليه السلام، ط٣، طهران دار إحياء تراث آل البيت، ١٩٨٣م).
- **الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)**
٩٥- الأحكام السلطانية، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٣م).
٩٦- أعلام النبوة (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
- **المبرد، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)**
٩٧- الكامل في الأدب (القاهرة، نهضة مصر، د. ت).
- **المتقي الهندي، علاء الدين بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)**
٩٨- كنز العمال، ط٥، (بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٨).
- **المجلسي، محمد باقر (ت١١١هـ/١٦٩٩م)**
٩٩- بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تعليق: علي النمازي الشاهرودي (بيروت: مؤسسة الأعلمية، ٢٠٠٨).
- **أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامري الأزدي الكوفي (ت١٥٧هـ/)**

١٠٠-تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٩٩).

- **مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري، (ت: ٢٦١هـ/ ٨١م)**

٩٤- صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)

المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)،

١٠١-مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أميرة معن، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠م)

- **المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)**

١٠٢-الآمالي، (بيروت: التيار الجديد، د. ت).

١٠٣- الجمل، (قم، مكتبة الداواري، د.ت).

١٠٤- الإرشاد في معرفة صحيح الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراق (بيروت، دار المفيد، د. ت).

- **ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (٧١١هـ/ ١٣١١م)**

١٠٥-لسان العرب ،(بيروت : دار صادر ،١٩٥٦م)

- **المنقري، ابن مزاحم أبو الفضل نصر (ت: ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)**

١٠٦-وقعة صفين، ط٣، (القاهرة، الخانجي ١٩٨١م).

- **الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م).**

١٠٧-مجمع الامثال ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

- **ابن النديم، محمد بن يعقوب الوراق (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)**

١٠٨-الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٧١م).

- **الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)**

١٠٩- فتوح الشام، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)

١١٠- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٩م)

- **وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م)**

١١١- أخبار القضاة، (بيروت: عالم الكتب، د. ت).

- **أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)**

١١٢- الأوائل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).

- **الهلالي، إبراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م)**

١١٣- كتاب الغارات، (بيروت، دار صادر، د. ت).

- **الهلالي، سليم بن قيس (ت٧٦هـ/ ٦٩٥م)**

١١٤- كتاب سليم بن قيس الهلالي، (بيروت: دار العصرية، ١٩٨٦م).

- **اليافعي، عبدالله بن أسعد (ت: ٧٦٨/ ١٣٦٦م)**

١١٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي ١٩٧٠م).

- **اليعقوبي، ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)**

١١٦- تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، د. ت).

- **اليمني، يحيى بن حمزة بن علي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).**

١١٧- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).

- **أبو يوسف، يعقوب إبراهيم (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م).**

١١٨- كتاب الخراج، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).

***

ثانياً: المراجع:

- **أرفنج، واشنطن**

١. محمد وخلفاؤه، ترجمة: هادي يحيى، (بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م).

- **الآصفي، محمد مهدي**

٢. الثقافة القيادية والإدارية في الإسلام، (النجف الأشرف، مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام، ٢٠٠٧م).

- **أمين، أحمد**

٣. فجر الإسلام، ط١٣١، (القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٨٧م).

- **الأمين، محسن**

٤. أعيان الشيعة، (بيروت: دار المعارف، ١٩٨٢م).

- **الأميني، عبدالحسين بن أحمد**

٥. الغدير في الكتاب والسنة، ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧م).

- **الباقوري، أحمد حسن**

٦. علي إمام الأئمة، (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٥م).

- **بروكمان ، كارل**

٧. تاريخ الشعوب الاسلامية، ط١٠، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)

- **بيترسن، أيرلنك ليروك**

٨. علي ومعاوية في الرواية العربية المبكرة، ترجمة: عبدالجبار ناجي، (بيروت: دار الأميرة للطباعة، ٢٠٠٩م).

- **بيضون، إبراهيم**

٩. الحجاز والدولة الإسلامية دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري (بيروت: دار النهضة، ٢٠٠٨م).

١٠.الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ط٢، (النجف: العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢م).

- **بلاشير، جيس**

١١.تاريخ الأدب العربي، (تونس: الدار التونسية ١٩٨٩م).

- **تامر، عارف**

١٢.الإمامة في الإسلام، (بيروت: دار الأضواء ١٩٩٨م).

- **التستري، محمد تقي**

١٣.قضاء أمير المؤمنين عليه السلام ط١٠١، (بيروت: الأعلمي، ١٩٨٣م).
١٤.بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة، (قم: دار أمير كبير، ١٩٦٥).

- **توشار، جان**

١٥. تاريخ الأفكار السياسية، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٤م).

- **جان، بروا**

١٦. محمد نايليون السماء، ترجمة: محمد صالح، (بيروت دار الأنصاف ١٩٤٧م).

- **جرداق، جورج**

١٧. علي صوت العدالة الاجتماعية، (النجف الأشرف، قسم الشؤون الفكرية العتبة العلوية ٢٠١٢م).

- **جعفر، نوري**

١٨. علي ومناو، علق عليه: مرتضى رضوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٥م).
١٩. فلسفة الحكم عند الإمام علي عليه السلام، ط٢ (القاهرة: دار المعلم، ١٩٧٨م).

- **جعيط ــ هشام**

٢٠. الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، (بيروت: دار الطبعة، ١٩٩٢م).

- **جولد تسهير**

١. العقيدة والشريعة، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٦٤م).

- **حتي، فيليب**

٢. تاريخ العرب، ط١٢، (بيروت: دار الكشاف للنشر، ٢٠٠٧).

- **الحكيم، حسن عيسى**

٢١. الإمام علي بن أبي طالب روح الإسلام الخالد وميزان الحكمة، (قم: مطبعة شريعت ٢٠١٢م).

- **الحكيم، محمد تقي**

٢٢. مقدمة كتاب النص والاجتهاد (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).

- **الحكيمي، محمدرضا**

٢٣. شرح الخطبة الشقشقية، (بيروت: دار الوفاء، ١٩٨٢م).

- **حسين، طه**

٢٤. الشيخان، ط٧، (القاهرة: دائرة المعارف، ١٩٨١م).
٢٥. علي وبنوه، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢).
٢٦. الفتنة الكبرى (عثمان)، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م).

- **الحسيني، عبدالزهراء**

٢٧.مصادر نهج البلاغة، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٥م).

- **الخطيب، عبدالكريم**

٢٨. علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م).

- **الخليلي، جواد جعفر**

٢٩. السقيفة أم الفتن، (النجف: الروضة الحيدرية، ١٩٦٥م).

- **الخراساني، جواد،**

٣٠. الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه، ط٢، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٧٥م).

- **الخوئي، ميرزا حبيب الله**

٣١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ط٢، (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)

- **الخوئي ، ابو القاسم الموسوي**

٣٢. علي امام البررة ، شرح : محمد مهدي الخرسان ، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣م).

- **دانيل دينيت**

٣٣. الجزية في الإسلام، (بيروت: دار الحياة، د. ت).

- **دشتي، كاظم محمدي محمد**

٣٤. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦م).

- **دوفاير، جاك دونديو**

٣٥. الدولة، (بيروت: عويدات، ١٩٧٠م).

- **راجح، أياد كاظم**

٣٦. الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في مؤلفات القرن الثالث الهجري دراسة في دوره السياسي والفكري، (مطبعة جامعة القادسية، ٢٠١٣م).

- **رضا، أحمد**

٣٧. معجم متن اللغة، (بيروت: الحياة، ١٩٥٨م).

- **أبو زيد، شلبي**

٣٨. الخلفاء الراشدون، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٦٧م).

- **زيدان، جرجي**

٣٩. تاريخ التمدن الإسلامي، (بيروت: دار الحياة د. ت).

- **سالم، أحمد**

٤٠. سقيفة بني ساعدة بين الشيعة والسنة دراسة تحليلية لاجتماع الصحابة في السقيفة،

تقديم: محمد طاهر البرزنجي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

- **سالم، السيد عبدالعزيز**

٤١. تاريخ الدولة العربية، (القاهرة: مؤسسة شباب الجامعية، ٢٠٠١م).

- **سعدون، هدى ياسر**

٤٢. الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة،(كربلاء المقدسة، مؤسسة نهج البلاغة، ٢٠١٦م).

- **السيد، جلال السيد**

٤٣. علي بن أبي طالب عليه السلام دراسة عن حياته (بيروت: مطبعة الجهاد: د. ت).

- **شمس الدين، محمد مهدي**

٤٤. حركة التاريخ عند الإمام علي دراسة في نهج البلاغة، (بيروت: الأعلمي للمطبوعات، د. ت).

٤٥. دراسات في نهج البلاغة، ط٣، (بيروت: الدار الاسلامية لنشر، ١٩٨١م).

- **صبحي، أحمد محمود**

٤٦. نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م).

- **الصدر، محمد باقر**

٤٧. فدك في التاريخ، (بيروت: دار المعارف ١٩٩٠م).

- **الصدر، محمد صادق**

٤٨. حياة أميرالمؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وآله (النجف: العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٥م).

- **الطهراني، آغا بزرك**

٤٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٣م).

- **طي، محمد**

٥٠.الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، (بيروت: الغدير، د. ت).

- **الطيب، محمد**

٥١.الامام علي بن ابي طالب عليه السلام نظرة عصرية (بيروت: دار الاعلمية، د.ت).

- **عاقل، نبيه**

٥٢.خلافة بني أمية، ط٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٥م).

- **العاملي، جعفر مرتضى**

٥٣.الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، (بيروت: دار السيرة، ١٩٩٤م).

- **عباس، قاسم خضير**

٥٤.الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، (بيروت: دار صادر، د. ت).

- **عبدالكريم، فتحي**

٥٥.الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي ط٢، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٤م).

- **عبدالمقصود، عبدالفتاح**

٥٦.الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، (النجف الأشرف: العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية ٢٠١٢م).

٥٧.السقيفة والخلافة، (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧م).

- **عبدالهادي، عاصي**

٥٨.المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام، (بيروت: دار الأمير، ١٩٩٦م).

- **العريض، جليل منصور**

٥٩.فكر الإمام علي بن أبي طالب (ع)، (بيروت دار المحجة البيضاء، ٢٠١٤م).

- **العقاد، عباس محمود**

٦٠.عبقرية الإمام علي عليه السلام، (بيروت: دار العصرية للطباعة، د. ت).

- **العلي، صالح أحمد**

٦١.دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها، ط٣، (بيروت: شركة المطبوعات، ٢٠٠٩م).

- **.العسكري ، مرتضى**

٦٢.معالم المدرستين ،(بيروت : مؤسسة النعمان ،١٩٩٠)

- **العواد، انتصار عدنان**

٦٣.السيرة النبوية في رؤية امير المؤمنين عليه السلام دراسة في نهج البلاغة، (العراق: دار الفيحاء، ٢٠١٦).

- **الغفاري، عبدالرسول**

٦٤.الشقشقية دراسة موضوعية لشخصيات تصدت للخلافة الإسلامية، (النجف: الروضة الحيدرية، د. ت).

- **الفضلي، عبدالهادي**

٦٥.الدولة الإسلامية، (بيروت: دار الزهراء ١٩٧٩م).

- **الفكيكي، توفيق**

٦٦.الراعي والرعية، ط٣، (بيروت: دار الوفاء ١٩٨٣م).

- **قاسم، أسعد**

٦٧.أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).

- **القرشي، باقر شريف**

٦٨.الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، (قم، شريعت، ٢٠٠٢م).
٦٩.النظام السياسي في الإسلام، (بيروت: دار المعارف للمطبوعات، د. ت).

- **صبحي، أحمد محمود**

٧٠.نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م).
٧١.العواد، انتصارعدنان، السيرة النبوية في رؤية أميرالمؤمنين، (العراق، دار الفيحاء، ٢٠١٥م).

- **كارليل، توماس**

٧٢.الأبطال، ترجمة: محمد السباعي (بغداد دار الكتاب العربي، د. ت).

- **كاشف الغطاء، الهادي**

٧٣.مستدرك نهج البلاغة، ط٣، (بيروت دار الأندلس، ١٩٨٢م).

- **كاظم، سعيد جعفر**

٧٤.دولة الإمام علي عليه السلام نظامها السياسي والإداري، (بيروت: دار العلوم، ٢٠١٢م) ص٣٠٣.

- **كحالة، محمد رضا**

٧٥.معجم قبائل العرب، ط٥، (بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٥م).

- **ماسيون، لويس**

٧٦.خطط الكوفة، (صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٩م).

- **ماكيفر، روبرت**

٧٧.تكوين الدولة، (بيروت: دار العلم، ١٩٦٦م).

- **محبوبة، مهدي**

٧٨.ملامح من عبقرية الإمام علي (ع) ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٩م).

- **محمد، عبدالله**

٧٩.الإمام علي القائد السياسي الأمثل، (بيروت: دار الرسالة، د. ت).

- **محمود، عرفة محمود**

٨٠.العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضاراتهم، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م).

- **المظفر، محمد حسن**

٨١.دلائل الصدق، (طهران: مطبعة أبو ذر، د. ت).

- **مغنية، محمد جواد**

٨٢.تفسير الكاشف، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨).

٨٣.فقه المذاهب الخمسة، ط٥، (بيروت: دار الجواد، ١٩٨٢)
٨٤.في ظلال نهج البلاغة، ط٢، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م).
- **الملاح، يحيى هاشم**
٨٥.الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام (الموصل: دار الكتب، ١٩٩٤م).
- **مناصرة، عبدالله**
٨٦. الاستخبارات العسكرية في الإسلام (بيروت: دار الرسالة، ١٩٨٧م).
- **الموسوي، علي جميل عبد**
٨٧. الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، (كربلاء المقدسة، مؤسسة نهج البلاغة، ٢٠١٦م).
- **الموسوي، محسن**
٨٨. دولة الإمام علي عليه السلام، (بيروت، دار البيان العربي، ٢٠٠٥م).
- **الناصري، محمد**
٨٩. نظام الولايات في الدولة الإسلامية، (بيروت: دار صادر، د. ت).
- **نوفل، عبدالرزاق**
٩٠. محمد رسولاً نبياً، (القاهرة: مطبعة العلم العربي، ١٩٦١م).
- **الوائلي، الشيخ أحمد**
٩١. هوية التشيع، (بيروت: دار الصفوة ٢٠٠٩م).

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

١-الازيرجاوي، قاسم جودة، أخبار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠١٣م).
٢-الحسناوي، ختام راهي، المعارضة العربية الإسلامية (١١ ــ ٤١هـ/ ٦٣٢ ــ ٦٦١م)، أطروحة دكتوراه منشورة، (جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠).
٣-الحلو، ناصر هادي، الفقه السياسي عند الإمام عليه السلام، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الكوفة كلية الفقه، ٢

٤-صدام، رحيم فرحان، الأسرة الأموية من خلال الشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠١٤م).
٥-القريشي، علي كريم عباس، آل عبدالمطلب وأثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٩م).
٦-الماجدي، زينب سعيد علي، رسائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الولاة والعمال والأمراء والقادة دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠٠٤م).
٧-المياحي، شكري ناصر، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دراية في فكرة العسكري، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٥م).

رابعاً: البحوث والدوريات

١- حسين، حيدر، المؤسسة الاصلاحية في عهد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، دراسة مقارنة، الاصدارالأول، (مجلة رسالة الحقوق، جامعة كربلاء، ٢٠١١م).
٢- الخزعلي، امل هندي، اسس بناء الجهاز الاداري الكفء قراءة في عهد الامام علي بن ابي طالب لمالك الاشتر، الاصدار ٤٢ (مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١١م).
٣- السويطي، محمد حسين علي، مفهوم علم التاريخ واهميته في فكر الامام، المجلد الخامس، (ديوان الوقف الشيعي، ٢٠١٧م).
٤- الكناني، صبيح كرم زامل موسى، جودة، الادارة في فكر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، المجلد الاول، الاصدار١٧، (مجلة جامعة أهل البيت، ٢٠١٥م).

الملاحق

«جدولة النصوص الواردة في نهج البلاغة »

النصوص التي تم استعمالها في الدراسة فيما يخص الحياة السياسية بشكل خاص، ومن الجدير بالذكر أن نذكر النسخ الخاصة في نهج البلاغة المعول عليها حسب ترتيب ورودها في الملاحق، وحسب تسلسلها التاريخي الزمني.

١ ـ الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: عبداللطيف الكوهكمري (قم، آية الله المرعشي، ١٩٨٥م).

٢ ـ ابن أبي الحديد، عزالدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨م).

٣ ـ ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) شرح نهج البلاغة، ط٢، (بيروت: دار العالم الإسلامي، ١٩٨١م).

٤ ـ الخوئي، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ط٢ (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م).

٥ ـ عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، (بيروت: الأعلمي، د. ت).

٦ ـ مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ط٣، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م).

٧ ـ الصالح، صبحي، تحقيق نهج البلاغة، (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣م).

فقد استفدنا من هذه الملاحق الكتب الآتية:

الخراساني، جواد، الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه، ط٢، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٧٥م).

الحسيني، عبدالزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده ط٢، (بيروت: ١٩٧٥م).

دشتي، كاظم محمدي محمد، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦م).

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
الخطبة	الخطبة	إحياء التراث العربي	الأعلمي	دار العالم الإسلامي	مؤسسة الوفاء	مؤسسة التاريخ العربي	دار العلم للملايين	دار الكتاب	صب ورودها في المصادر التاريخية	
٢	«أحمدهُ استعماماً لنعمتهِ...»	ج١/ ص١٠٩	ج١/ ص١٣٢	ج١/ ص٢٣٥	ج٢/ ص٢٦٧	ص٣١	ج١/ ص٧٤	ص٣٠	ذكر اسنادها متصلاً بالإمام الحسين عليه السلام ج١/ ١٠٩.	المفيد، الإرشاد ص١٢٣ قبل الشريف الرضي
٣	«أما والله لقد نقمصها فلان...»	ج١/ ص١١٨	ج١/ ص١٥١	ج١/ ص٢٤٩	ج٣/ ص٣٦	ص٣٣	ج١/ ص٨٣	ص٣٣	الصدوق، علل الشرائع ص١٥٠؛ الآبي نثر الدر، ج١/ ص٢٧٤	قبل الشريف الرضي، معاصر للشريف الرضي
٤	«بنا اهتديتم في الظلماء...»	ج١/ ص١٣٥	ج١/ ص٢٠٧	ج١/ ص٢٧٠	ج٣/ ص١١٧	ص٤١	ج١/ ص١٠٠	ص٤٠	المفيد، الإرشاد ص١٢٥ (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)	معاصر للشريف الرضي
٥	«أيها الناس شقوا أمواج الفتن»	ج١/ ص١٤٣	ج١/ ص٢١٣	ج١/ ص٢٧٦	ج٣/ ص١٣٥	ص٤٢	ج١/ ص١٠٦	ص٤١	سبط ابن الجوزي، تذكرة خواص الأمة، ص١١٧ (ت٦٤٥هـ/ ١٢٥٦م)	بعد الشريف الرضي

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٧	«اتأخذوا الشيطان لأمرهم ملائ...»	ج١/ ص١٥٠	ج١/ ص٢٢٨	ج١/ ص٢٨١	ج٣/ ص١٥٠	ص٤٣	ج١/ ص١١٣	ص٤٤	ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ج٢/ ص٥٠ (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)	بعد الشريف الرضي
٨	«يزعم أنه بايع بيده...»	ج١/ ص١٥١	ج١/ ص٢٣٠	ج١/ ص٢٨٣	ج٣/ ص١٥٤	ص٤٣	ج١/ ص١١٥	ص٤٤	المفيد، الإرشاد، ص١٧٥ ذكر إسنادها متصلاً بالإمام الحسن بن علي عليه السلام	معاصر الشريف الرضي
١٠	«ألا وان الشيطان قد جمع...»	ج١/ ص١٥١	ج١/ ص٢٣٩	ج١/ ص٢٨٥	ج٣/ ص١٦١	ص٤٤	ج١/ ص١١٩	ص٤٥	المفيد، الجمل، ص١٤٤	معاصر الشريف الرضي
١٥	«والله لو وجدته تزوج...»	ج١/ ص١٦٣	ج١/ ٢٦٩ص	ج١/ ٢٩٥	ج٣/ ص٢١٣	ص٤٧	ج١/ ص١٢٩	ص٤٩	ابن اكثم الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، ج١ ص٤٣٣ وذكرها أبو هلال العسكري الأوائل، ص١٣٩	قبل الشريف قبل الشريف

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٦	«ذمتي بما أقول رهينة...»	ج١/ ص١٦٤	ج١/ ص٢٧٢	ج١/ ص٢٩٦	ج٣/ ص٢١٧	ص٤٧	ج١/ ص١٣١	ص٥٠	الجاحظ (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، البيان والتبين، ج٢/ ص٣٠	قبل الشريف الرضي
									أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ/ ٩٨٦م)، قوت القلوب ج١/ ص١٤٢	قبل الشريف الرضي
١٧	«ان أبغض الخلائف عند الله...»	ج١/ ص١٧٣	ج١/ ص٢٨٣	ج١/ ص٣١٠	ج٣/ ص٢٤٧	ص٥٠	ج١/ ص١٤٠	ص٥٣	المفيد، الإرشاد، ص١٢٣	قبل الشريف
									القاضي القضاعي، ص١١٤ (ت٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)	معاصر الشريف
١٨	«ترد على أحدهم القضية...»	ج١/ ص١٧٥	ج١/ ص٢٨٨	ج١/ ص٣٢٠	ج٣/ ص٢٦٦	ص٥٣	ج١/ ص١٤٨	ص٥٦	القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) دعائم الإسلام، ج١/ ص٦٢ ذكرها عن عمر بن أذنية	معاصر الشريف
									الطبرسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) الاحتجاج، ص٢٦١	بعد الشريف الرضي
٢٢	ألا وان الشيطان قد دمر حزبه	ج١/ ص١٧٧	ج١/ ص٢٩١	ج١/ ص٣٢٤	ج٣ ص٢٧٠	ص٥٧	ج١ ص١٤٨	ص٦٠-٦١	ابن كثير، النهاية، ج١، ص١٧١	بعد الشريف الرضي

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٢٤	«ولعمري ما علي من قتال...»	ج١/ ص١٩١	ج١/ ص٢٣١	ج٢/ ص١٤	ج٣/ ص٣٤٣	ص٦٠	ج١/ ص١٧٢	ص٦٤	ابن الأثير (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) النهاية في غريب الحديث ج٣/ ص٢٤٤	بعد الشريف الرضي
٢٦	«إن الله بعث محمد...»	ج١/ ص١٩٨	ج٢/ ص١٩	ج٢/ ص٢٣	ج٣/ ص٣٦٢	ص٦٣	ج١/ ص١٨٠	ص٦٧	ابن قتيبة (ت٣٧٦/ ٩٨٦م)، الإمامة والسياسة، ج١/ ص١٥٤ البلاذري (٢٣٩هـ/ ٨٥٣م)، أنساب الأشراف، ج٢، ص٤٤٣	الشريف الرضي قبل الشريف الرضي
٢٧	«ما بعد فإن الجهاد باب..»	ج١/ ص٢٠٨	ج٢/ ص٧٤	ج١/ ص٢٩	ج٣/ ص٢٨٨	ص٦٤	ج١/ ص١٨٥	ص٦٩	الجاحظ، البيان والتبين، ٢/ ٥٣ الاصفهاني (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، الأغاني ج١٦/ ص٢٠١	قبل الشريف الرضي

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٣١	«لا تلقين ظلمة...»	ج١/ ص٢٢١	ج٢/ ١٦٢	ج١/ ص٥٩	ج٣/ ص٤٢	ص٧٢	ج١/ ص٢٠٧	ص٧٨	الجاحظ، البيان والتبين، ج٣/ ٢٢١ ابن قتيبة، عيون الأخبار (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)، ج١/ ص١٩٥	قبل الشريف الرضي قبل الشريف الرضي
٣٢	«أيها الناس إنا قد أصبحنا...»	ج١/ ص٢٢٨	ج٢/ ص١٧٤	ج١/ ص٦٢	ج/ ص٤٨	ص٧٢	ج١/ ص٢١١	ص٧٨	الجاحظ، البيان والتبين، ٢/ ٦١	
٣٣	«ما قيمة هذا النعل...»	ج١/ ص٢٣٣	ج٢/ ص١٨٥	ج١/ ص٧١	ج٣/ ص٦٠	ص٧٥	ج١/ ص٢١٩	ص٨٣	المفيد، الإرشاد، ص١٣٢	معاصر للشريف الرضي
٣٥	«الحمد لله وان آتى الدهر...»	١/ ٢٣٥	٢/ ٢٠٤	١/ ٤١٨	٣/ ٨٤	ص٧٨	١/ ٢٣١	ص٨٨	البلاذري، انساب الأشراف، ٢/ ٣٦٥ الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ المرسل، ٥/ ٧٧	قبل قبل الشريف

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٣٦	«فأنا نذيركم ان تصبحوا...»	١/ ٢٤٢	٢/ ٢٦٥	١/ ٨٩	٣/ ١١٧	ص٨٠	١/ ٢٣٤	ص٨٩	الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) الأخبار الموفقيات، ص٣٢٥ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٨٤	قبل قبل
٣٧	«فقمت بالأمر حين فشلوا...»	١/ ٢٤٤	٢/ ٢٨٤	١/ ٩٢	٣/ ١٤٠	ص٨١	١/ ٢٣٧	ص٩٠	ابن عبد ربه، العقد الفريد (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) ٤/ ٢٠٣	قبل
٣٩	منيت بمن لايطيع	١/ ٢٤٥	٢/ ٢٨٦	١/ ٩٧	٣/ ١٤٥	ص٨٣	١/ ٢٣٩	ص٩٢	التلمساني، الجوهرة (من علماء القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي) ص٩٦	بعد
٤٠	«كلمة حق يراد بها باطل...»	١/ ٢٤٦	٢/ ٣٠٧	٢/ ١٠١	٤/ ١٨٠	ص٨٤	١/ ٢٥٠	ص٩٣	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٥٢ ابن عبد ربه، (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) العقد الفريد ٢/ ٣٨٨	قبل قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٤١	«إن الوفاء توأم الصدق...»	١/ ٢٥٣	٢/ ٣١٢	٢/ ١٠٤	٤/ ١٨٩	ص٨٤	١/ ٢٥٦	ص٩٤	الآمدي، (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، غرر الحكم ص٣٣	بعد الشريف
٤٣	«إن استعدادي للحرب...»	١/ ٢٥٤	٢/ ٣٢٢	٢/ ١٠٩	٤/ ٢٠٧	ص٨٦	١/ ٢٦٣	ص٩٦	المنقدي (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م) ابن مزاحم ص٤٧٤ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/ ٩٤	قبل قبل
٤٤	«قبح الله مصقلة...»	١/ ٢٥٥	٣/ ١١٩	٢/ ١١٥	٤/ ٢٣٢	ص٨٧	١/ ٢٦٦	ص٩٧	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٤١٧ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥/ ١٣٠	قبل قبل
٤٥	«الحمدلله غير مقنوط...»	١/ ٢٥٥	٣/ ١٥٢	٢/ ١١٧	٤/ ٢٤٢	ص٨٧	١/ ٢٦٨	ص٩٧	الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، من لا يحضره الفقيه، ١/ ٣٠٤٤ الطوسي، (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، مصباح المجتهد، ص٦٠٣	قبل معاصر

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٥١	«قد استطعموكم القتال...»	١/ ٢٦٤	٣/ ٢٤٤	٢/ ١٣٥	٤/ ٣٠١	ص٩٢	١/ ٢٨٦	ص١٠٢	الطوسي، مصباح المجتهد، ص٦٠٣	بعد
٥٤	«فتداركوا عليه تدارك...»	١/ ٢٧١	٤/ ١٢	٢/ ١٤٥	٤/ ٣٢٧	ص٩٤	١/ ٢٩٩	ص١٠٦	الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، محاضرات الأدباء، ٢/ ١٤٣	بعد
٥٦	"ولقد كنا مع رسول الله(ص)	١/ ٢٧٣	٣/ ١٤	٢/ ١٤٧	٤/ ٣٣٠	ص٩٥	١/ ٣٠٠	ص١٠٧	الطوسي، مصباح المجتهد،ص٦١٤	بعد
٥٨	«أصابكم صاحبٌ ولا بقي منك آبر...»	١/ ٢٧٨	٤/ ١٢٩	٢/ ١٥١	٤/ ٣٥٠	ص٩٧	١/ ٣١٠	ص١٠٩	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ١٨١ الطبري، تاريخ المرسل والملوك، ٥/ ٨٤	قبل قبل
٥٩	«مصارعهم دون النطفة...»	١/ ٢٧٩	٥/ ٣	٢/ ١٥٢	٤/ ٣٥٣	ص٩٨	١/ ٣١٣	ص١١٠	المسعودي، مروج الذهب ج٢، ٤١٦	قبل الشريف الرضي
٦٠	«كلا والله إنهم نطف...»	١/ ٢٧٩	٥/ ١٤	٢/ ١٥٣	٤/ ٣٧٤	ص٩٨	٢/ ٣١٥	ص١١٠	البيهقي (ت٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)، المحاسن والمساوئ، ص٤٤٥	قبل الشريف

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٦١	«لا تقاتلوا الخوارج بعدي...»	١/ ٢٧٩	٥/ ٧٨	٢/ ١٥٥	٤/ ٣٨١	ص٩٩	٢/ ٣١٥	ص١١١	الصدوق، علل الشرائع، ص٢١٨ ذكر أسنادها عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦/ ١٥٤	قبل بعد
٦٦	**"معاشر المسلمين اشعروا الخشية"**	١/ ٢٨١	٥/ ٢٨	٢/ ١٥٧	٤/ ٣٨٦	ص١٠٤	٢/ ٣١٨	ص١١٥- ١١٦	ابن قتيبة، عيون الاخبار، ١/ ١١٠	قبل
٦٧	«ما قالت الأنصار؟...»	١/ ٢٨٨	٦/ ٣	٢/ ١٨٣	٥/ ٨٢	ص١٠٥	٢/ ٣٣٧	ص١١٧	الآبي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣١م)، نثر الدر ١/ ٢٧٩	معاصر
٦٩	«كم أداريكم ما تدارى...»	١/ ٢٨٨	٦/ ١٠٢	٢/ ١٨٨	٥/ ١٢٠	ص١٠٦	٢/ ٣٤٢	ص١١٨	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٤٤٧ الطبري، تاريخ الرسل، ٥/ ١٣٤	قبل قبل
٧٣	«أو لم يبايعني بعد قتل عثمان...»	١/ ٢٩٨	٦/ ١٤٦	٢/ ٢٠٣	٥/ ٢١٧	ص١١٢	٢/ ٣٥٧	ص١٢٥- ١٢٦	ابن سعد، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات، ٥/ ٤٣	قبل
٧٤	«لقد علمتم أني أحق بها...»	١/ ٢٩٦	٦/ ١٦٦	٢/ ٢٠٤	٥/ ٢٢٢	ص١١٢	١/ ٣٦٠	ص١٢٥	الطبري، تاريخ الرسل، ٥/ ١٣٦	

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٧٥	«أو لم ينه بني أمية...»	١/ ٢٩٩	٦/ ٣٧٧	٢/ ٢٠٦	٥/ ٢٢٦	ص١١٤	١/ ٣٦٣	ص١٢٦	ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٤/ ٤٦	بعد
٧٧	«إن بني أمية ليفوقونني...»	١/ ٣٠٩	٦/ ١٧٤	٢/ ٢١٢	٥/ ٢٤٢	ص١١٧	١/ ٣٦٧	ص١٢٨	الاصفهاني، الأغاني ٢/ ١٣٧	قبل
٨٣	الحمد لله الذي لابعد له	١/ ٣١٤	٦/ ١٧٩	٢/ ٢١٧	٥/ ٢٤٧	ص١٣٠	١/ ٣٧٢	ص١٤٨	الاصفهاني، حلية الاولياء، ١/ ٧٨	قبل
٨٤	«عجبا لابن النابغة...»	١/ ٣٤٩	٦/ ٢٨٠	٢/ ٢٦٩	٦/ ٧٣	ص١٣١	١/ ٤١٤	ص١٥٢	ابن قتيبة، عيون الأخبار ١/ ١٦٤ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٣٤٠	قبل قبل
٨٧	«عبادة الله، ان من أحب عباد الله اليه...»	١/ ٣٥٠	٦/ ٣٥٠	٢/ ٢٧٩	٦/ ١٢٣	ص١٣٥	١/ ٤٢٢	ص١٥٧	الدينوري (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، الأخبار الطوال ص٥٣ القاضي القضاعي، دستور معالم الحكم، ص٢٣	قبل بعد
٨٨	«أما بعد فإن الله لم يقصم...»	١/ ٣٦٥	٦/ ٣٨٤	٢/ ٥٢٦	٦/ ٢٤٠	ص١٣٨	١/ ٤٤٣	ص١٦١	الكليني، الكافي ٨/ ٦٣ المفيد، الإرشاد، ص١٥٥	قبل معاصر

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٨٩	«أرسله على حين فترة من الرسل...»	١/ ٣٦٦	٦/ ٣٨٧	٢/ ٣٠٩	٦/ ٢٥٩	ص١٣٩	١/ ٤٤٧	ص١٦٢	القمي (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م) تفسير القمي ١/ ٢ الكليني، الكافي، ١/ ٦٠	قبل قبل
٩١	«الحمد لله الذي لا يفرهُ المنع والجمود...»	١/ ٣٧٤	٦/ ٣٩٨	٢/ ٣٢٢	٧/ ٦٠	ص١٤٢	٢/ ٥	ص١٦٧	ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ١٥٢ الصدوق، التوحيد ص٤٩	قبل قبل
٩٢	«دعوني والتمسوا غيري...»	١/ ٤١٨	٧/ ٣٣	٢/ ٣٨٥	٧/ ٦٠	ص١٥٨	٢/ ١٨	ص١٩٣	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٣٤	قبل
٩٣	«أما بعد أيها الناس فإني فقاءت عين الفتنة...»	١/ ٤١٩	٧/ ٤٤	٢/ ٣٨٧	٧/ ٦٩	ص١٥٩	٢/ ٥٢	ص١٩٤	المتقي، الهندي (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) كنز العمال، ١١/ ٢٩٨	بعد الشريف
٩٥	«بعثهُ والناس ضلال في حيرةٍ...»	١/ ٤٢١	٧/ ٦٦	٢/ ٣٩٩	٧/ ١١٣	ص١٦٣	٢/ ٦٦	ص١٩٩	المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٢١٩	بعد الشريف
٩٦	«الحمد لله الأول فلا شيء قبلهُ»	١/ ٤٢١	٧/ ٦٧	٢/ ٤٠٠	٧/ ١١٦	ص١٦٣	٢/ ٦٨	ص٢٠٠	المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ١٢٩	بعد

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٩٧	«ولئن أمهل الظالم فلن...»	١/ ٤٢٨	٧/ ٧٠	٢/ ٤٠٢	٧/ ١٢٠	ص١٦٤	٢/ ٧٢	ص٢٠١	ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/ ٣٠١ المفيد، الإرشاد، ص١٥٠	قبل معاصر
٩٨	«والله لا يزالون حتى لا يدعو الله...»	١/ ٤٣٠	٧/ ٧٨	٢/ ٤٠٩	٧/ ١٣٤	ص١٦٦	٢/ ٨١	ص٢٠٤	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٢ الأبي، نثر الدرر، ١/ ٢٩٦	قبل معاصر
١٠٠	«الحمد لله الناشر في الخلق...»	١/ ٤٣٦	٧/ ٨٤	٣/ ٦	٧/ ١٥٥	ص١٦٨	٢/ ٨٨	ص٢٠٧	الآمدي، غرر الحكم، ص٣٢٩ البيهقي، المحاسن والمساوئ ص٤١	بعد قبل
١٠٤	«أما بعد فأن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ وليس أحد من العرب...»	١/ ٤٤٥	٧/ ١١٤	٣/ ٢١	٧/ ٢٠٩	ص١٧٣	٢/ ١٠٦	ص٢١٥	المفيد، ا لإرشاد، ص١٠٣	معاصر
١٠٥	«حتى بعث الله محمداً ﷺ...»	١/ ٤٤٥	٧/ ١١٧	٣/ ٢٢	٧/ ٢١٥	ص١٧٤	٢/ ١٠٠	ص٢١٧	المفيد، الإرشاد، ص١٤٧	معاصر

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٠٦	«الحمد لله الذي شرع الإسلام...»	١/ ٤٥١	٧/ ١٧١	٣/ ٢٩	٧/ ٢٤٥	ص١٧٦	٢/ ١١٨	ص٢٢٠	سليم بن قيس الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي ص١٠٢ (ت٧٦هـ/ ٦٦٥م)	قبل
									ابن شعبة (من أعلام القرن) تحف العقول، ص١١٤ الرابع الهجري، العاشر الميلادي	قبل
١٠٧	«وقد رأيت جولتكم...»	١/ ٤٥٢	٧/ ١٧٩	٣/ ٣٧	٧/ ٢٧٤	ص١٧٨	٢/ ١٢٧	ص٢٢٣	المنقدي، صفين، ص٢٥٦	قبل
									الطبري، تاريخ الرسل، ٥/ ٣٥	قبل
١١٦	«أرسلهُ واعياً للحق...»	٢/ ١٤	٧/ ٢٧٦	٣/ ١٠٦	٧/ ٩٠	ص١٩٧	٢/ ٢٠٠	ص٢٥٢	المسعودي مروج الذهب، ٣/ ١٤٣	قبل الشريف
									الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٩٢	قبل
١١٩	«ما بالكم أخرسون أنتم...»	٢/ ١٥	٧/ ٢٨٥	٣/ ١١٠	٨/ ١٠٣	ص١٩٩	٢/ ٢٠٨	ص٢٥٥	ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢١٥	بعد
١٢١	«هذا جزاء من ترك العقدة، أما والله...»	٢/ ٢٦	٧/ ٢٩١	٣/ ١١٤	٨/ ١٢٩	ص٢٠١	٢/ ٢١٥	ص٢٥٨	ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٧٣	قبل
									الطبري، الاحتجاج، ص١٨٥	بعد

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٢٢	«أكلكم شهد معنا صفين...»	٢/ ٢٧	٧/ ٢٩٧	٣/ ١١٨	٨/ ١٤٠	ص٢٠٣	٢/ ٢٢٠	ص٢٦٠	الطبرسي، الاحتجاج، ص١٨٥	بعد
١٢٣	«فقدموا الدراع وأضروا الحاسد...»	٢/ ٢٩	٨/ ٩٣	٣/ ١٢٢	٨/ ١٥٦	ص٢٠٧	٢/ ٢٢٩	ص٢٦٢	ابن مزاحم، صفين، ص٢٣٥ الجاحظ، البيان والتبين، ٢/ ٣٨٥	قبل قبل
١٢٤	«إنا لم نحكم الرجال...»	٢/ ٣٦	٨/ ١٠٣	٣/ ١٢٦	٨/ ١٦٩	ص٢٠٩	٢/ ٢٣٤	ص٢٦٦	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٦٦	قبل
١٢٥	«أتأمروننني أن أطلب النصر بالجدر...»	٢/ ٣٨	٨/ ١٠٩	٣/ ١٣٠	٨/ ١٨٢	ص٢١١	٢/ ٢٣٩	ص٢٦٩	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٣ الآبي، نثر الدر، ٣١٨	قبل معاصر
١٢٦	«فإن أبيتم إلا أن تزعموا أني...»	٢/ ٣٨	٨/ ١١٢	٣/ ١٣٢	٨/ ١٩٤	ص٢١١	٢/ ٢٤٣	ص٢٦٨	الطبري، تاريخ الطبري ٥/ ٧٧	قبل
١٢٨	«يا أحنف كأني به...»	٢/ ٤٠	٨/ ١٢٥	٣/ ١٣٦	٨/ ٢٠٣	ص٢١٣	٢/ ٢٥١	ص٢٩٧	الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٩٧	قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٢٩	«يا أبا ذر أنك غضبت لله...»	٢/ ٤٧	٨/ ٢٥٢	٣/ ١٤٥	٨/ ٢٣٦	ص٢١٥	٢/ ص٢٦٣	ص٢٧٥	أبو بكر الجوهري، السقيفة بواسطة شرح ابن أبي الحديد ٨/ ٢٥٢/ من أعلام القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي الكليني، الكافي، ٨/ ٢٠٦	قبل قبل
١٣٠	«أيتها النفوس المختلفة...»	٢/ ٤٧	٨/ ٢٦٣	٣/ ١٤٧	٨/ ٢٥٤	ص٢١٦	٢/ ٢٦٨	ص٢٧٥	الآبي، نثر الدر، ١/ ٢٧٢ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص ص١١٥	معاصر بعد
١٣٣	«وقد توكل الله لأهل...»	٢/ ٥٤	٨/ ٢٩٦	٣/ ١٦١	٨/ ٣٢٠	ص٢٢٠	٢/ ٢٨٢	ص٢٨١	ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٠٥	بعد
١٣٤	«يا ابن اللعين الابتر...»	٢/ ٥٥	٨/ ٣٠١	٣/ ١٦٣	٨/ ٣٢٤	ص٢٢١	٢/ ٢٨٥	ص٢٨٢	ابن اكثم، الفتوح ١/ ٣٧٩	قبل
١٣٦	«لم تكن بيعتكم إياي فلتة...»	٢/ ٥٥	٩/ ٣١	٣/ ١٦٤	٨/ ٣٣٠	ص٢٢١	٢/ ٢٨٥	ص٢٨٣	المفيد، الإرشاد، ص١٣٠	معاصر

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٣٧	«والله ما انكروا علي...»	٢/ ٥٦	٩/ ٣٣	٣/ ١٦٥	٨/ ٣٣٣	ص٢٢٢	٢/ ٢٩١	ص٢٨٣	الطبري، تاريخ الرسل، ٤/ ٤٨٠ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٧١	قبل قبل
١٣٨	«يعطف الهوى على الهدى...»	٢/ ٥٦	٩/ ٤٠	٣/ ١٦٨	٨/ ٣٤٦	ص٢٢٣	٢/ ٢٩٦	ص٢٨٥	المفيد، الإرشاد، ص١٤٧	قبل
١٤٠	«إنما ينبغي لأهل العصمة...»	٢/ ٥٨	٩/ ٧٢	٣/ ١٧٥	٨/ ٣٩٣	ص٢٢٤	٢/ ٣٠٨	ص٢٨٧	ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/ ٢٨٦	قبل
١٤٢	«وليس لواضع المعروف...»	٢/ ٥٩	٩/ ٧٤	٣/ ١٨٠	٨/ ٣٩٨	ص٢٢٦	٢/ ٣١١	ص٢٨٩	الكليني، الكافي، ٤/ ٣١ ابن شعبة، تحف العقول، ص١٣١	قبل قبل
١٤٤	«بعث رسله بما خصهم...»	٢/ ٦٠	٩/ ٨٤	٣/ ١٨٦	٩/ ١٦	ص٢٢٨	٢/ ٣٢٠	ص٢٩٠	الكليني، الكافي، ٤/ ٣٦	قبل
١٤٦	«إن هذا الأمر لم يكن نصره...»	٢/ ٦٧	٣/ ١٩٢	٣/ ١٩٤	٩/ ٤٩	ص٢٣١	٢/ ٣٣٠	ص٢٩٦	الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ١٢٣ ابن اكثم الكوفي، الفتوح، ١/ ٢٩٠	قبل قبل
١٤٧	«بعث محمداً بالحق...»	٢/ ٧١	٩/ ١٠٣	٣/ ١٩٧	٩/ ٦١	ص٢٣٠	٢/ ٣٣٥	ص٢٩٧	الكليني، فروع الكافي، ٨/ ٣٨٦	قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٤٨	«كل واحدٍ منهما يرجو الأمد له...»	٢/ ٧٢	٩/ ١٠٩	٣/ ٢٠٥	٩/ ١٠٤	ص٢٣٢	٢/ ٣٤٤	ص٣٠٠	المفيد، الإرشاد، ص١٣٢	معاصر
١٥٠	«فأخذوا يمين وشمالاً...»	٢/ ٧٨	٩/ ١٢٦	٣/ ٢١٣	٩/ ١٣١	ص٢٣٣	٢/ ٣٥٤	ص٣٠١	فروع الكافي، ج٨، ص٣٨٩ المسعودي، إثبات الوصية ص١٣٢	قبل قبل
١٥٢	«الحمد لله الدال على وجوده...»	٢/ ٨٧	٩/ ١٤٧	٣/ ٢٢٨	٩/ ١٧٢	ص٢٣٨	٢/ ٣٦٩	ص٣١١	الكليني، أصول الكافي ١/ ١٣٩ المسعودي، إثبات الوصية، ص١٣٧	قبل قبل
١٥٣	«وهو في مهلة من الله...»	٢/ ٨٨	٩/ ١٥٧	٣/ ٢٣٩	٩/ ٢٠٨	ص٢٤٠	٢/ ٣٧٨	ص٣١٢	الكليني، فروع الكافي ٥/ ٨٢ ابن شعبة، تحف العقول، ص١٠٨	قبل قبل
١٥٦	«فإن أطعتوني فإني حاملكم ان شاء الله...»	٢/ ٩٧	٩/ ١٨٩	٣/ ٢٥٨	٩/ ٢٩٧	ص٢٤٤	٢/ ٣٩٩	ص٣١٩	المفيد، الآمالي، ص٢٧٦ القاضي القضاعي، دستور معالم الحكم ص٩٤ـ٩٥	معاصر قبل
١٥٩	«أرسله على حين فترة من الرسل...»	٣/ ١٠٥	٩/ ٢١٧	٣/ ٢٧٣	٩/ ٣٢١	ص٢٤٩	٢/ ٤١٨	ص٣٢٥	الكليني، أصول الكافي، ١/ ٦٠ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٤	قبل بعد

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٦٠	«ولقد أصنتُ جواركم وأصطتُ بجهدي...»	٣/ ١٠٦	٩/ ٢٢١	٣/ ٢٧٥	٩/ ٣٤١	ص٢٥٠	٢/ ٤٢٢	ص٣٢٧	الكليني، أصول الكافي، ١/ ٦٧	قبل
١٦٢	«بعثه بالنور المضيء...»	٣/ ١١٧	٩/ ٢٣٧	٣/ ٢٨٨	٩/ ٤٠٤	ص٢٥٥	٢/ ٤٤٠	ص٣٢٨	الصدوق، علل الشرائع، ص١٤٤	قبل
١٦٣	«يا أخا بني أسد أنك...»	٣/ ١١٩	٩/ ٢٤١	٣/ ٢٩٢	١٠/ ٢	ص٢٥٦	٢/ ٤٤٥	ص٣٣٨	الصدوق، علل الشرائع، ص١٤٦ الآبي، نثر الدر، ١/ ٢٨٧	قبل معاصر
١٦٥	«إن الناس ورائي...»	٣/ ١٢٧	٣/ ٣١٧	٣/ ٣٠١	١٠/ ٢٩	ص٢٦٠	٢/ ٤٦٠	ص٣٤٣	الطبري، تاريخ الرسل والملوك٤/ ٣٣٧	قبل
١٦٦	«ليتأس صغيركم بكبيركم... شر يوم بني أمية...»	٣/ ١٤٣	٩/ ٢٨٨	٣/ ٣١٨	١٠/ ٩٠	ص٢٦٨	٢/ ٤٨٠	ص٣٥٦	المفيد، الإرشاد، ص١٥٥	معاصر
١٦٧	**"ان الله سبحانه وتعالى أنزل كتاباً.."**	٢/ ١٤٥	١٠/ ٢٩٧	٣/ ٣٢٦	١٠/ ١٠٨	ص٢٦٨	٢/ ٤٩٦	ص٣٥٨	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٣٥٨	قبل
١٦٩	«يا أخوتاه إني لست أجهل...»	٢/ ١٤٣	٩/ ٢٩١	٣/ ٣٢٠	١٠/ ٩٨	ص٢٦٩	٢/ ٤٩١	ص٣٥٩	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٣٧	قبل
١٧٠	«إن الله بعث رسولاً»	٢/ ١٤٤	١٠/ ٢٩٥	٣/ ٣٢٣	١٠/ ١٠٦	ص٢٧٠	٢/ ٤٩٤	ص٣٦١	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٤٥	قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٧١	«أرأيت لو أن الذين...»	٢/ ١٤٥	١٠/ ٢٩٩	٣/ ٣٢٦	١٠/ ١١٢	ص٢٧١	٢/ ٤٩٥	ص٣٦٣	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٩١	قبل
١٧٣	«وقال قائل: إنك على هذا الأمر»	٢/ ١٥٢	١٠/ ٣٠٤	٣/ ٣٢٩	١٠/ ١٢٧	ص٢٧٣	٢/ ٥٠٤	ص٣٦٥	إبراهيم الثقفي (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) كتاب الغارات ٦/ ٩٤ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٤	قبل قبل
١٧٥	«لمعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد...»	٢/ ١٥٣	١٠/ ٣٣٥	٣/ ٣٣٩	١٠/ ١٥٦	ص٢٧٤	٢/ ٥٠٩	ص٣٦٧	ابن شعبة، تحف العقول ص١٣٠	قبل
١٧٧	«أيها الغافلون غير المغفول عنهم»	٢/ ١٥٤	١١/ ٣	٣/ ٣٤٦	١٠/ ١٧٧	ص٢٧٦	٢/ ٥٢٠	ص٣٧٠	الزمخشري (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، ربيع الأبرار، ١/ ٥٨٠	بعد
١٧٨	«قد كنت وما أصدر بالحرب ولا أرهب بالحرب...»	٢/ ١٥٥	١١/ ١٠	٣/ ٣٤٧	١٠/ ١٧٨	ص٢٧٦	٢/ ٥٢١	ص٣٧٢	الزمخشري، ربيع الأبرار، ١/ ٥٨٠	بعد
١٧٩	«فأجمع رأي ملئكم على...»	٢/ ١٦٧	١١/ ٥٥	٣/ ٣٦٧	١٠/ ٢٤٢	ص٢٨٢	٢/ ٥٤٦	ص٣٧٩	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٨٥	قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٨٠	«لا يشغله شأن ولا يغيره زمان...»	٢/ ١٦٨	١١/ ٥٨	٣/ ٣٦٨	١٠/ ٢٤٥	ص٢٨٣	٣/ ٥	ص٣٧٩	الزمخشري، ربيع الأبرار ١/ ٥٩٣	بعد الشريف
١٨١	الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق	٢/ ١٦٩	١١/ ٦٠	٣/ ٣٧٠	١٠/ ٢٤٦	ص٢٨٧	٣/ ١٠	ص٣٩٢	الطبري، ج٥/ ١١٥	قبل
١٨٢	«أحمد الله على ما قضى من أمر وقدر من فعل...»	٢/ ١٦٩	١١/ ٦٧	٣/ ٣٧٥	١٠/ ٢٧٢	ص٢٩٣	٣/ ١٤	ص٣٨٣	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥/ ١٠٧	قبل
١٨٦	«أسكت قبحك الله...»	٢/ ٢٠٣	١١/ ١٣٠	٣/ ٤٠٨	١٠/ ٤١١	ص٢٩٦	٣/ ٥٠	ص٣٩٥	أبو هلال العسكري، الأوائل (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) ص٢٧٧	قبل
١٨٧	«أما بعد فأن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم»	٢/ ٢٧١	١١/ ١٣٢	٣/ ٤٠٩	١١/ ١٠٦	ص٢٩٦	٣/ ١٦٢	ص٤١٢	ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/ ٣٥٣ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/ ١٧٧	قبل قبل
١٨٩	«الحمد لله الذي أظهر من آثار...»	٢/ ٢٨١	١١/ ١٧٠	٣/ ٤٣١	١١/ ١٨٣	ص٣٠٥	٣/ ١٧٩	ص٤١٦	أبو هلال العسكري، الأوائل، ص٢٨٠	قبل
١٩٠	«بعثه حين لا علم قائم...»	٢/ ٢٨٩	١١/ ١٧٦	٣/ ٤٣٧	١١/ ٢٠٧	ص٣٠٦	٣/ ١٨٤	ص٤٢٢	العقد الفريد، ٣/ ١١٩	قبل
١٩١	الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء..	٢/ ٣٠٠	١١/ ١٨٠	٣/ ٤٤٣	١١/ ٢١٣	ص٣١٣	٣/ ١٩٠	ص٤٢٧	الزمخشري ربيع الابرار ١/ ٤٠٠ الكليني، فروع الكافي ٤/ ١٦٨	بعد قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٩٤	«والله ما معاوية بأدهى مني...»	٢/ ٣٠٦	١١/ ٢١١	٣/ ٤٦٩	١١/ ٣٦٤	ص٣٤٥	٣/ ٢١١	ص٤٧٩	الكليني، أصول الكافي، ٥/ ٣٦	قبل
١٩٦	«السلام عليك يا رسول الله ﷺ	٢/ ٣٠٧	١١/ ٢٦٥	٤/ ٢	١٢/ ٢	ص٣٤٦	٣/ ٢١٧	ص٤٨١	المفيد، الإرشاد، ص٣٠٧	معاصر
١٩٧	«ولقد علم المتحفظون...»	٢/ ٢٨٩	١١/ ١٧٩	٣/ ٤٩٣	١١/ ٢١١	ص٣١٣	٣/ ١٨٧	ص٤٦٨	الزمخشري، ربيع الأبرار، ١/ ص٤٠٠	بعد
١٩٩	«لقد نقمتما يسيراً...»	٢/ ٣٣٠	١٢/ ٧	٤/ ٩	١٢/ ٥٦	ص٣٤٨	٣/ ٢٢٦	ص٤٨٤	الاسكافي (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) المعيار والموازنة ٧/ ٤١	قبل
٢٠٠	«إني أكره لكم ان تكونوا...»	٢/ ٣٣٠	١٢/ ٢١	٤/ ١٣	١٢/ ٨١	ص٣٤٩	٣/ ٢٣١	ص٤٨٥	ابن مزاحم، صفين. ص١٠٣ الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٦٥	قبل قبل
٢٠٣	ما كنت تصنع بهذه الدار...»	٢/ ٣٢٢	١٢/ ٣٢	٤/ ١٦	١٢/ ١٢٠	ص٣٥٠	٣/ ٢٣٨	ص٤٨٧	ابن عبدربه، العقد الفريد، ٧/ ٢٧٣ الكليني، أصول الكافي، ١/ ٤١٠	قبل قبل

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٢١١	«إن في حق من عظم جلال...»	٢/ ٣٥٠	١٢/ ١٠١	٤/ ٤٠	١٣/ ١٢٠	ص٣٥٥	٣/ ٢٧٣	ص٤٩٥	الكليني، فروع الكافي، ٨/ ٣٥٥	قبل
٢١٢	«وأسهُله أنه عدل عدل وحكم فعل...»	٢/ ٣٥١	١٢/ ١٠٣	٤/ ٤٠	١٣/ ١٢٢	ص٣٥٦	٣/ ٢٧٣	ص٤٩٦	الكليني، فروع الكافي، ٨/ ٢٥٧	قبل
٢١٣	«اللهم إني استعديك على قريش...»	٢/ ٣٥١	١٢/ ١٠٩	٤/ ٤٩	١٣/ ١٤٩	ص٣٥٨	٣/ ٢٧٨	ص٤٩٧	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ٥٥	قبل
٢١٤	«فقدموا علي عمالي وخذان...»	٢/ ٣٥٢	١٢/ ١٢١	٤/ ٥٠	١٣/ ١٧٠	ص٣٦٤	٣/ ٢٨٠	ص٤٩٧	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٦	قبل
٢١٥	«أما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقا...»	٢/ ٣٥٢	١٢/ ١٢٢	٤/ ٥١	١٣/ ١٨٤	ص٣٦٤	٣/ ٢٨٢	ص٥٠٠	الأصفهاني، الأغاني، ١٨/ ٢٤١ الآبي، نثر الدر١٥/ ٢٩٥	قبل معاصر
٢١٦	«يا ابن عباس ما يريد عثمان...»	٢/ ٣٥٢	١٣/ ٢٩٦	٤/ ٥٦	١٤/ ١٩٧	ص٣٦٥	٣/ ٣٦٨	ص٥٠٠	ابن عبدربه، العقد الفريد، ٤/ ٣٠٩	قبل
٢١٧	«قد أحيا عقله وأمات قلبه...»	٢/ ٣٥٣	١٣/ ٢٩٧	٤/ ٥٦	١٤/ ١٩٧	ص٣٦٦	٣/ ٢٣٤	ص٥٠٤	الأمدي، غرر الحكم، ص٢٣٣	بعد

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٢١٨	«والله مُستأديكم شكره وموروثكم أمره...»	٢/ ٣٥٣	١٣/ ٢٩٨	٤/ ٨٧	١٦/ ١٩٩	ص٣٦٧	٣/ ٣٦٩	ص٥٠٦	الآمدي، غرر الحكم، ص٤٧١	بعد
٢١٩	"لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا"	٣/ ٣٥٥	١٣/ ٣٠٠	٤/ ٩١	١٧/ ١٢٨	ص٣٧٠	٣/ ٣٧١	ص٥٠٧	البلاذري، انساب الاشراف، ج٢/ ص٢٦١	قبل
٢٢٤	"والله لأن أبيت على حسك"	٣/ ٣٦٣	١٣/ ٣٠٨	٤/ ٩٩	١٧/ ١٣٩	ص٣٧٤	٣/ ٣٧٩	ص٥٢٢	ابن سبط الجوزي، تذكرة الخواص، ص١٤٣	بعد
٢٢٧	«وبسطتم يدي فكففتها...»	٢/ ٣٩٤	١٣/ ٣٠٣	٤/ ٩٩	١٦/ ٢١٩	ص٣٧٩	٣/ ٣٨٩	ص٥٣٠	ابن عبدربه، العقد الفريد ٤/ ٣١٨	قبل
٢٣٢	«إن هذا المال ليس لي...»	٢/ ٤٠٦	١٣/ ٣١٥	٤/ ١٠٧	١٦/ ٢٢٤	ص٣٨٢	٣/ ٣٤٢	ص٥٣٥	الآمدي، غرر الحكم، ص٢٠٢	بعد
٢٣٦	«جفاة طغام وعبيداً قزام جمعوا من كل أوب...»	٢/ ٤١٧	١٣/ ٣٢٦	٤/ ١١٢	١٦/ ٢٢٧	ص٣٨٥	٣/ ٣٤٩	ص٥٣٩	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٩٥	قبل
٢٣٧	«هم عيش العلم وموت الجهل...»	٢/ ٤١٨	١٣/ ٣٢٨	٤/ ١١٣	١٦/ ٢٣٠	ص٣٨٧	٣/ ٣٥١	ص٥٣٩	الكليني، فروع الكافي، ٨/ ٣٩١	قبل
٢٣٨	«أوصيكم أيها الناس بتقوى الله»	٢/ ٤٢٠	١٣/ ٣٣٣	٤/ ١١٦	١٦/ ٢٣٥	ص٣٨٧	٣/ ٣٥٤	ص٥٤٠	الآمدي، غرر الحكم، ص ٢٠٦	قبل
٢٤١	«فجعلت اتبع مأخذ رسول الله...»	٣/ ٤٢٦	١٣/ ٣٥٣	٤/ ٣٢٤	١٧/ ٢٣٦	ص٣٨٨	٣/ ٣٥٨	ص٥٤١	ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٥/ ٢٠١	بعد

الرقم	بداية	الرواندي (ت٥٧٣هـ)	ابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)	ميثم البحراني (ت٦٧٩)	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٢٤٠	«يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا ان يجعني...»	٣/ ٢١٣	١٣/ ٣٦٠	٤/ ٣٣٠	١٧/ ١٢٩	ص٣٨٨	٣/ ٣٦١	ص٥٤٣	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٨	قبل
٢٤٤	«والله مستأديكم شكره ومورثكم أمره...»	٣/ ٢٢٣	١٣/ ٣٦٧	٤/ ٣٣٦	١٧/ ١٣٣	ص٣٨٩	٣/ ٣٦٥	ص٥٤٦	«الماوردي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، أعلام النبوة، ص١١٣ رواها باختصار»	بعد

[الجداول الخاصة بـ(رسائل، كتب الإمام علي عليه السلام)]										
الرقم	بداية الرسائل	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٣	«يا شريح إما أنا سيأتيك...»	٣/ ٨	١٤/ ٢٧	٤/ ٣٤٣	١٧/ ١٤٦	ص٣٩٢	٣/ ٣٨١	ص٥٤٩	الصدوق (ت٣٨١/ ٩٩١م) الأمالي، ص ٢٥٦	قبل
٥	«وأن عملك ليس لك بطعمة»	٣/ ١٠	١٤/ ٣٣	٤/ ٣٥٠	١٧/ ١٧٣	ص٣٩٤	٣/ ٣٨٨	ص٥٥١	ابن عبدربه، العقد الفريد، ٤/ ٢٣٠	قبل
٦	«أنه بايعني القوم الذين بايعوا...»	٣/ ١١	١٤/ ٣٥	٤/ ٣٥٢	١٧/ ١٧٨	ص٣٩٥	٣/ ٣٩٠	ص٥٥٢	ابن مزاحم، صفين، ص٢٩	قبل
									ابن عبدربه، العقد الفريد، ٤/ ٣٢٢	قبل
٧	«أما بعد فقد أتاني منك موعظة...»	٣/ ١١	١٤/ ٥٤	٤/ ٣٥٨	١٧/ ١٧٩	ص٣٩٥	٣/ ٣٩٣	ص٥٥٣	ابن مزاحم، صفين، ص٥٧	قبل
									العقد الفريد، ٤/ ٣٣٤	قبل
٨	«أما بعد فإن أتاك كتابي فأحمل»	٣/ ٢٠	١٤/ ٥٤	٤/ ٣٥٨	١٧/ ١٩٠	ص٣٩٦	٣/ ٣٩٥	ص٥٥٤	ابن مزاحم، صفين، ص٥٥	قبل
									العقد الفريد، ٤/ ٣٣٢	قبل
٩	«فأراد قومنا قتل نبيناً.."	٣/ ٢٢/ ١٤/ ٥٧	٤/ ٣٢٩	١٧/ ٢٠٠	١٣/ ١٩٢	ص٣٩٦	٣/ ٣٩٧	ص٥٥٤	ابن مزاحم، صفين، ص٨٩ـ ٩١	قبل
١٠	«وكيف أنت صانع إذا انكشفت...»	٣/ ٢٣	١٤/ ٧٩	٤/ ٣٦٧	١٨/ ١٩	ص٣٩٨	٣/ ٤٠٣	ص٥٥٦	ابن مزاحم، صفين، ص١٠٨ـ ١٠٩	قبل
١١	«فإذا أنزلتم بعدوكم أو أنزل بكم...»	٣/ ٢٤	١٤/ ٨٩	٤/ ٣٧٦	١٨/ ٢٣	ص٣٩٩	٣/ ٤٠٨	ص٥٥٩	ابن مزاحم، صفين، ص١٢٤	قبل
١٢	«أتق الله الذي لابد لك من لقائه...»	٣/ ٢٥	١٥/ ٩٢	٤/ ٣٧٩	١٨/ ٧٩	ص٤٠٠	٣/ ٤١١	ص٥٦٠	ابن مزاحم، صفين، ص١٤٧	قبل

الرقم	بداية الرسائل	الرواندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٤	«لا تقاتلوهم حتى يبرؤكم فأنكم»	٣/ ٣٥	١٥/ ١٠٤	٤/ ٣٨٢	١٨/ ١٢٤	ص٤٠١	٣/ ٤١٧	ص٥٦٢	ابن مزاحم، صفين، ص٢٠٣	قبل
١٥	«اللهم إليك أفضت القلوب»	٣/ ٣٥	١٥/ ١١٢	٤/ ٣٨٥	١٨/ ١٦٩	ص٤٠٢	٣/ ٤٢٠	ص٥٦٣	ابن مزاحم، صفين، ص٤٧٧	قبل
١٦	«لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة»	٣/ ٣٦	١٥/ ١١٤	٤/ ٥٥٠	١٨/ ٢٢٧	ص٤٠٣	٣/ ٤٢٠	ص٥٦٣	الكليني، فروع الكافي، ٥/ ٤١	قبل
١٧	«واعلم ان البصرة مهبط إبليس...»	٣/ ٣٧	١٥/ ١٢٥	٤/ ٣٩٤	١٨/ ٣٠٩	ص٤٠٣	٣/ ٤٢٨	ص٥٦٤	ابن مزاحم، صفين، ص١٠٦	قبل
١٨	«فأما طلبك إلي الثام فأني لم أكن لأعطيك...»	٣/ ٣٨	١٥/ ١٢٦	٤/ ٣٩٦	١٨/ ٣١٢	ص٤٠٤	٣/ ٤٢٩	ص٥٦٤	ابن مزاحم، صفين، ص٤١٧	قبل
١٩	«أما بعد فأن دهاقين أهل بلدك...»	٣/ ٣٨	١٥/ ١٣٧	٤/ ٣٩٨	١٨/ ٣٢٢	ص٤٠٥	٣/ ٤٣١	ص٥٦٧	البلاذري، أنساب الأشراف ٢/ ١٦١	قبل
٢٠	«وإني أقسم بالله صادقاً...»	٣/ ٣٩	١٥/ ١٣٩	٤/ ٤٠٠	١٨/ ٣٣٦	ص٤٠٥	٣/ ٤٣٥	ص٥٦٨	البلاذري، أنساب الأشراف ٢/ ١٦٤	قبل
٢٥	«أنطلق على تقوى الله وحدهُ...»	٣/ ٥٢	١٥/ ١٥١	٤/ ٤١٠	١٨/ ٣٧٩	ص٤٠٩	٣/ ٤٤٥	ص٥٧٢	الكليني، فروع الكافي، ٣/ ٥٣٦	قبل

الرقم	بداية الرسائل	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٢٦	«أمره بتقوى الله في سرائر وحده...»	٣/ ٥٤	١٥/ ١٥٨	٤/ ٤١٥	١٩/ ٣٥	ص٤١١	٣/ ٤٥٠	ص٥٧٦	القاضي النعمان، دعائم الإسلام ١/ ٣٠١	قبل
٢٧	«فأخفض لهم جناحك وألف لهم...»	٣/ ٥٥	١٥/ ١٦٣	٤/ ٤١٩	١٩/ ٥٨	ص٤١٢	٣/ ٤٥٤	ص٥٧٧	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٥٦	قبل
									ابن شعبة، تحف العقول، ص١٢٣	قبل
٢٨	«أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر...»	٣/ ٦٥	١٥/ ١٨١	٤/ ٤٣١	١٩/ ٩٢	ص٤١٤	٣/ ٤٦٣	ص٥٨٠	ابن مزاحم، صفين، ص٨٨	قبل
									إبراهيم، الهلالي الغارات، ٤/ ٤٩	قبل
٣١	«من الوالد الفان المقر للزمان...»	٣/ ٨٦	١٦/ ٩	٥/ ٢	٢٠/ ٢	ص٤٢٠	٣/ ٤٨٢	ص٥٩٠	ابن شعبة، تحف العقول، ٣/ ١٥٥	قبل
									ابن عبدربه، العقد الفريد، ٣/ ١٥٠	قبل
٣٢	«وأرديت جيلاً من الناس...»	٣/ ١١٦	١٦/ ١٣٢	٥/ ٦٨	٢٠/ ٤٤	ص٤٣٥	٣/ ٥٣٣	ص٦١٤	الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) الأخبار الموفقيات ص٣٣٢	قبل
٣٣	«أما بعد فأن عيني بالمغرب كتب إلي...»	٣/ ١١٦	١٦/ ١٣٨	٥/ ٧١	٢٠/ ٤٨	ص٤٣٥	٣/ ٥٣٥	ص٦١٥	البلاذري، أنساب الأشراف ٢/ ٤٠٠	قبل
٣٤	«أما بعد فقد بلغني موجدتك...»	٣/ ١١٧	١٦/ ١٤٢	٥/ ٧٤	٢٠/ ٥١	ص٤٣٧	٣/ ٥٣٨	ص٦١٦	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٤٠٢	قبل

الرقم	بداية الرسائل	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٣٦	«فسرحت إليه جيشاً كثيراً...»	٣/ ١١٩	١٦/ ١٤٨	٥/ ٧٧	٢٠/ ٥٧	ص٤٣٨	٣/ ٥٤١	ص٦١٨- ٦١٩	الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات ص٣٤٧	قبل
									الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ١٠٩	قبل
٣٧	«فسبحان الله ما أشد لذومك...»	٣/ ١٢٠	١٦/ ١٥٣	٥/ ٨٠	٢٠/ ٦٢	ص٤٣٩	٣/ ٥٤٨	ص٦٢٠	الطبري، الاحتجاج، ص١٨٢	بعد
٣٨	«من عبدالله علي أميرالمؤمنين عليه السلام إلى القوم...»	٣/ ١٢٠	١٦/ ١٥٦	٥/ ٨٢	٢٠/ ٦٣	ص٤٤٠	٣/ ٥٥٠	ص٦٢١	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٩٥	قبل
٤٠	«أما بعد فقد بلغني عنك امرا »	٣/ ١٢٩	١٦/ ١٦٤	٥/ ٨٦	٢٠/ ٧٠	ص٤٤٢	٤/ ٥٥٦	ص٦٢٣	البلاذري، أنساب الأشراف ٢/ ١٧٠	قبل
									ابن عبدربه، العقد الفريد، ٤/ ٣٥٧	قبل
٤١	«أما بعد فأني كنت أشركتك في أمانتي...»	٣/ ١٢٩	١٦/ ١٦٧	٥/ ٨٧	٢٠/ ٧٢	ص٤٤٤	٤/ ٥٥٨	ص٦٢٤	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٢٧٤	قبل
									ابن عبدربه، العقد الفريد، ٤/ ٣٥٧	قبل
٤٣	«بلغني عنك أمر أن كنت فعلتهُ...»	٣/ ١٣١	١٦/ ١٧٥	٥/ ٩٤	٢٠/ ٨١	ص٤٤٥	٥/ ٥	ص٦٢٨	البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ١٥٨	قبل
٤٤	وقد عرفت ان معاوية كتب إليك...»	٣/ ١٣٢	١٦/ ١٧٧	٥/ ٩٥	٢٠/ ٨٤	ص٤٤٧	٥/ ٨	ص٦٢٩	ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) الإصابة في تميز الصحابة، ١/ ٥٧٠	بعد

الرقم	بداية الرسائل	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٤٥	«أما بعد يا ابن ضيف فقد بلغني...»	٣/ ١٤٣	/١٦ ٢٠٥	٥/ ٩٨	٢٠/ ٨٨	ص٤٤٧	٥/ ١٢	ص٦٣٤	التلمساني، الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام، ص٨١	بعد
٥٠	«من عبدالله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام...»	٣/ ١٥٨	١٧/ ١٦	٥/ ١٢٧	/٢٠ ١٤٠	ص٤٥٤	٤/ ٣٥	ص٦٤٤	ابن مزاحم، صفين، ص١٠٧	قبل
٥١	«من عبدالله علي أمير المؤمنين...»	٣/ ١٥٨	١٧/ ١٩	٥/ ١٣٠	/٢٠ ١٤٦	ص٤٥٥	٤/ ٣٩	ص٦٤٦	ابن مزاحم، صفين، ص١٠٨	قبل
٥٣	«هذا ما أمر به عبدالله علي أمير المؤمنين عليه السلام مالك ابن الأشتر...»	٣/ ١٦٤	١٧/ ٣٠	٥/ ١٣٤	/٢٠ ١٥١	ص٤٥٥	٤/ ٤٥	ص٦٤٩	القاضي النعمان، دعائم الإسلام ١/ ٣٥٤	قبل
									ابن شعبة، تحف العقول، ص٩٠	قبل
٥٤	"أما بعد فقد علمتني وان علمتها أي لم أرد الناس حتى أرادوني	٣/ ٢٥٨	٨/ ٥١	٥/ ٢٣٧	/٢٠ ٤٥٠	ص٤٧٨	٤/ ١٩٢	ص٦٨١	ابن قتيبة، الامامة والسياسة ج١، ص٧٦	قبل
٦٢	«أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً»	٣/ ٢١٩	/١٧ ١٥١	٥/ ٢٠٠	/٢٠ ٢٥٥	ص٤٨٤	٤/ ١٤٥	ص٦٩٠	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٥٤	قبل
٦٣	«أما بعد فقد بلغني عنك...»	٣/ ٢٢٠	١٧/ ٢٤٦	٥/ ٢٠٤	٢٠/ ٣٦٤	ص٤٨٦	٥/ ٤٨٦	٦٩٣	الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٠٠	قبل
٦٤	«أما بعد فقد آن لك أن تنتفع...»	٣/ ٢٣٦	١٨/ ٢٢	٥/ ٢١٢	/٢٠ ٣٧٨	ص٤٨٩	٤/ ١٦٤	ص٦٩٥	المجلسي، بحار الأنوار ٨/ ٥٠٧	بعد
٦٧	«أما بعد فأقم للناس الحج...»	٣/ ٢٣٧	١٨/ ٣٠	٥/ ٢١٦	/٢٠ ٣٨٤	ص٤٩١	٤/ ١٧١	ص٦٩٧	ابن مزاحم، صفين، ص١٠٦	قبل

الرقم	بداية الرسائل	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٦٩	«وتمسك بحبل القرآن وانتصحه»	٣/ ٢٣٨	١٨/ ٤١	٥/ ٢١٩	٢٠/ ٣٨٨	ص٤٩٢	٤/ ١٧٨	ص٧٠٣	ابن شعبة، تحف العقول، ص٣٩٦	قبل
٧٢	«أما بعد فإنك لست بسابق أجلك»	٣/ ٢٤٩	١٨/ ٦٠	٥/ ٢٢٨	٢٠/ ٣٩٨	ص٤٩٦	٤/ ١٩١	ص٧٠٨	ابن شعبة، تحف العقول، ص٢٠٧	قبل
٧٦	«سع الناس بوجهك ومجلسك...»	٣/ ٢٥٢	١٨/ ٧٠	٥/ ٢٣٣	٢٠/ ٤٠٦	ص٤٩٨	٤/ ٢٠٠	ص٧١١	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ٨٥	قبل
٧٧	«لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن...»	٣/ ٢٥٢	١٨/ ٧١	٥/ ٢٣٤	٢٠/ ٤٠٧	ص٤٩٨	٤/ ٢٠١	ص٧١٢	الزمخشري، ربيع الأبرار ١/ ٦٦١	بعد
٧٨	«فإن الناس قد تغير كثير منهم...»	٣/ ٢٥٣	١٨/ ٧٤	٥/ ٢٣٥	٢٠/ ٤٠٨	ص٤٩٩	٤/ ٢٠٣	ص٧١٢	الواقدي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، المغازي ص٢٤٩	قبل

(الجدول الخاصة بـ(حكم أمير المؤمنين عليه السلام)									
الرقم	بداية الحكم	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٤	«إذا وصلت إليكم أطراف النعم...»	٣/ ٢٦٥	١٨/ ١١٦	٥/ ٢٤٥	٢١/ ٢٨	ص٥٠٥	٤/ ٢٢٤	ص٧١٩	الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٨٨	قبل
									القاضي القضاعي، دستور معالم ص٢٥	بعد
٩٤	«ان أولى الناس بالأنبياء...»	٣/ ٢٩١	١٨/ ٢٥٢	٥/ ٢٨٨	٢١/ ١٢٢	ص٥٢٠	٤/ ٢٧٢	ص٧٣٨	الآمدي، غرر الحكم، ص١٧٧	بعد
									الطبرسي، مجمع البيان، ٣/ ١١٠	بعد
٩٦	«القلوا الخبر إذ اسمعتموه لقل دراية، عقل رواية»	٣/ ٢٩١	١٨/ ٢٥٤	٥/ ٢٩	٢١/ ١٤٥	ص٥٢٠	٤/ ٢٧٤	ص٧٣٩	الراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) محاضرات الأدباء، ١/ ٣٥	معاصر
١٠٩	«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع...»	٣/ ٢٩٢	١٨/ ٢٧٤	٥/ ٣٨٨	٢١/ ١٦٦	ص٥٢٣	٤/ ٢٨٤	ص٧٤٤	الآبي، نثر الدر، ١/ ٢٩٢	بعد
									الآمدي، غرر الحكم، ص٥٣٧	
١٢٢	«لأنسبن الإسلام نسبة لم...»	٣/ ٣٠٦	١٨/ ٣١٢	٥/ ٣٠٨	٢١/ ١٨٩	ص٥٢٦	٤/ ٢٩٥	ص٧٤٨	الصدوق، الأمالي، ص١٨٥	بعد
١٣٧	«تنزل المعونة على قدر المؤونة...»	٣/ ٣١٠	١٨/ ٣٣٧	٥/ ٣١٦	٢١/ ٢١١	ص٥٣١	٤/ ٣٠٨	ص٧٥٤	الآمدي، غرر الحكم، ص٢٤٢	بعد

الرقم	بداية الحكم	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
١٤٥	«يا كميل إن هذه القلوب...»	٣/ ٣١٩	١٨/ ٣٤٦	٥/ ٣٢٠	٢١/ ٢١٦	ص٥٣٢	٤/ ٣١٠	ص٧٥٥	ابن عبدربه، العقد الفريد، ٢/ ٢١٢	قبل
									ابن شعبة، تحف العقول، ص١١٨	قبل
١٧٨	«من أحد سنان الغضب لله...»	٣/ ٣٢٩	١٨/ ٤١٥	٥/ ٣٣٧	٢١/ ٢٥١	ص٥٤٠	٤/ ٣٢٧	ص٧٦٤	الزمخشري، ربيع الأبرار، ١/ ٤٠٤	بعد
									اليماني (ت٧٤٥هـ/ ١١٤م)، الطراز ١/ ١٦٨	بعد
١٨٤	ما شككت في الحق مذ رأيته	٣/ ٣٤٠	١٨/ ٤١٦	٥/ ٣٤٠	٢١/ ٢٥١	ص٥٤٠	٤/ ٣٢٧	ص٧٦٤	المفيد، الارشاد، ص١٤٧	بعد
١٩٠	«وعجباه أتكون الخلافة بالصحابة...»	٣/ ٣٣١	١٨/ ٤١٦	٥/ ٣٤١	٢١/ ٢٦٢	ص٥٤٠	٤/ ٣٣٢	ص٧٦٤	الآمدي، غرر الحكم، ص٥٠٣	بعد
٢٠٠	«لما قال طلحة الزبير نبايعيك على...»	٣/ ٣٣٣	١٩/ ٢٢	٥/ ٣٤٦	٢١/ ٢٧٢	ص٥٤٣	٤/ ٣٤٠	ص٧٦٨	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ٩٣	قبل
٢٠٧	«لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها...»	٣/ ٣٣٩	١٩/ ٢٩	٥/ ٣٤٩	٢١/ ٢٧٩	ص٥٤٤	٤/ ٥٠٦	ص٧٦٩	الطبري، مجمع البيان، ٢٠/ ٢٦٣	بعد
٢١٣	«الخلاف يهدم الرأي...»	٣/ ٣٤١	١٩/ ٣٦	٥/ ٣٥٢	٢١/ ٢٨٦	ص٥٤٥	٤/ ٣٤٦	ص٧٧١	ابن شعبة، تحف العقول، ص١٥٢	قبل
٢٢٦	«من أصبح على الدنيا حزيناً...»	٣/ ٣٤٢	١٩/ ٥٣	٥/ ٣٥٤	٢١/ ٢٩٦	ص٥٤٧	٤/ ٣٥٣	ص٧٧٣	سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص١٢٦	بعد

الرقم	بداية الحكم	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٢٧٠	«من محاورته مع الحارث بن حوط حول أصحاب الجمل»	٣/ ٣٦٨	١٩/ ١٤٧	٥/ ٣٧٧	٢١/ ٣٤٨	ص٥٦٠	٤/ ٣٧٦	ص٧٨٩	البلاذري، أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٨	قبل
									قدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) نقد النشر، ص٩٩	قبل
٢٧٢	«لو قد استوت قدماي من هذه المداحيض...»	٣/ ٣٦٩	١٩/ ١٥٢	٥/ ٣٧٧	٢١/ ٣٤٨	ص٥٦٠	٤/ ٣٧٧	ص٧٩٠	ابن عساكر، تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي عليه السلام ٣/ ٢١٤	بعد
٢٧٦	«أحبب حبيبك هوناً ما عسى...»	٣/ ٣٧٠	١٩/ ١٥٦	٥/ ٣٧٩	٢١/ ٣٥٣	ص٥٦٢	٤/ ٣٧٩	ص٧٩١	ابو طالب المكي، قوت القلوب، ٢/ ٢١٥	قبل
٢٧٨	«ما قال لعمر بن الخطاب في شأن النص فـ يعني الكعبة...»	٣/ ٣٧٠	١٩/ ١٥٨	٥/ ٣٨١	٢١/ ٣٥٦	ص٥٦٢	٤/ ٣٨٠	ص٧٩١	ابن عساكر (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) تاريخ دمشق، ٣/ ٢١٧	بعد
٢٨٠	«لو قد استوت قدماي من هذه المداحظ لغيرت أشياء...»	٣/ ٣٧٣	١٩/ ١٧٤	٥/ ٣٨٧	٢١/ ٣٧١	ص٥٦٢	٤/ ٣٨٧	ص٧٩٢	الكليني، فروع الكافي، ٥/ ٨١	قبل
									ابن شعبة، تحف العقول، ص١٠٩	قبل

الرقم	بداية الحكم	الراوندي	ابن أبي الحديد	ميثم البحراني	الخوئي	محمد عبده	محمد جواد مغنية	صبحي الصالح	التوثيق	الزمن
٣٤٦	«صواب الرأي بالدول»	٣/ ٣٩٥	١٩/ ٢٥٤	٥/ ٤٠٩	٢١/ ٤٢٤	ص٥٧٠	٤/ ٤١٥	ص٨٠١	الميداني (ت٥١٨هـ/ ١١٤م)، مجمع الأمثال، ٤/ ٥٤	بعد
٤١٣	«وقال عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة دعه يا عمار فأنه...»	٣/ ٤١٦	٢٠/ ٨	٥/ ٤٤٠	٢١ل/ ٤٨٥	ص٥٨٥	٤/ ٤٥١	ص٨٢١	ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/ ٥٠	قبل
٤١٤	«فمنهم المنكر للمنكر...»	٣/ ٤١٦	٢٠/ ٩	٥/ ٤٤١	٢١/ ٤٨٥	ص٥٨٥	٤/ ٤٥٢	ص٨٢١	أبو طالب المكي، قوت القلوب، ١/ ب١٨٧	قبل
٤٢٦	«لا تأمنن على خير هذه الأمة...»	٣/ ٤٢٣	٢٠/ ٢١	٥/ ٤٤٥	٢١/ ٤٨٧	ص٥٩٠	٤/ ٤٦٠	ص٨٢٩	الآمدي، غرر الحكم، ص٣٠	بعد
٤٢٨	«إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا...»	٣/ ٤٢٣	٢٠/ ٢٢	٥/ ٤٤٦	٢١/ ٤٨٨	ص٥٩١	٤/ ٤٦٢	ص٨٣١	الآبي، نثر الدر، ١/ ٣٢٦	معاصر
٤٥٣	"مازال الزبير رجلاً منا.."	٣/ ٤٢٦	٢٠/ ٢٧	٥/ ٤٤٩	٢١/ ٤٩١	ص٥٩٥	٤/ ٤٦٦	ص٨٣٣	ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٢، ص٢٣١	قبل

Ministry of Higher Education & Scientific Research
University of Kufa
College of Arts

Political life in Nahjul-Belagha
A Historical Study

A Thesis

Submitted

By

Reghd Sa'id Chaffat

To:-
The Council of the College of Arts / University of Kufa
As A Partial Fulfillment of The Requirements for Ph.D. Degree in the Philosophy of Islamic History

Supervised by:-

Prof. Dr. Hasen Easa Al-Hakeem

2017 A.D **1439A.H**